

درة الأسرار وتحفة الأبرار

في
أقوال وأفعال وأحوال ومقامات
ونسب وكرامات وأزهار ودعوات

سیدی
أبو الحسن الشاذلی

جمع
الشيخ الحميري المعروف بابن إصباغ

قدم له

أبراهيم الرفاعي

الناشر
دار آل الرفاعي
جهازه قبلی - قوس قنا

إهداء 2005

الأبراهيم منصور الخليل

القاهرة

درة الأسرار وتحفة الأبرار

ف
أقوال وأفعال وأحوال ومقامات
ونسب وكرامات وأذكار ودعوات

سیدی
أبو الحسن الشاذلی

جمع
الشیخ الحمیری المعروف بابن إصباغ

قدم له

أبراهیم الفیاضی

التألیف
دار آل الوقایع

مهاجره قبله - قومن قنا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذى أوجد فى الكون أوليائه ، وتكفل
جل وعلا بحفظهم والدفاع عنهم ، فمن أبى هريرة رضى
الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله
عز وجل قال : من آذى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب
إلى عبدي بشيء أفضل من آداء ما اقترضت عليه ، وما يزال
عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت ممعه
الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها
ورجله التى يمشى بها فلتن سألنى عبدي أعطيته ، ولئن
استأذنى لأعذته »^(١).

وعن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « يروى عن ربه عز وجل قال : من
آذى لى وليا فقد استحل عمارتى »^(٢) . والعلا والسلام على

(١) حلية الأولياء لأبى نعيم .

(٢) حلية الأولياء لأبى نعيم .

الرحمة المهداه الذي من تمسك به هداة ، ومن أخذ من هديه كفاه ، محراب التلقى الآخذ من رب العزة ، القائل صلى الله عليه وسلم : « إن يسير الرياء شرك وإن من حادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة »^(١).

وبعد :

اعلم أخى وفقنى الله وإياك لفهم الأمور أن لأولياء الله عز وجل نعموتاً ظاهرة ، وأعلاماً شاهرة ، ينتقاد لمولاتهم العقلاء والصالحون ، وينبسط لهم الشهداء والنبيون ، وقد أخبر الحبيب الأعظم والرسول الأكرم النبي الخاتم عن ذلك فقال صلى الله عليه وسلم : « إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء ينبسطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله عز وجل ، فقال رجل من م وما أعمالهم ؟ لعنا نجيبهم قال : قوم يتعابون بروح الله عز وجل من غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها بينهم والله إن وجوههم لنور وأنهم لعل منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم .

الناس ثم قرأ « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ^(١) .

ومن نعوّقهم أنهم المورثون جـالّ أسهم الكامل الدكر
والفديدون خلّانهم إشامل البر قال صلى الله عليه وسلم : « قال الله
عز وجل إن أوليائي من عبادى وأحبائي من خلقى الذين
يذكرون بذكرى وأذكر بذكرهم » ^(٢) .

وعن سعيد رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم من أولياء الله ؟ قال : « الذين إذا ردوا ذكر الله
عز وجل » ^(٣) .

وعن أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « ألا أخبركم بخياركم ؟ قالوا بلى : قال : الذين إذا
ردوا ذكر الله عز وجل » ^(٤) .

ومنها : أنهم المسلمون من الفتن الموقون من المحن : قال
صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل صنّان من عباده يُنجزهم

(١) حلية الأولياء .

(٢) حلية الأولياء .

(٣) حلية الأولياء .

(٤) حلية الأولياء .

في رحمته ويحييهم في صافيته إذا توفاهم إلى جنته أولئك الذين
تمر عليهم الفتن كقطع الليل المظلم وهم منها في صافية» (١).

ومنها : أنهم للضرورون في الأطعمة واللباس البرورة
أقسامهم عند النازلة والبأس قال صلى الله عليه وسلم : « كم من
ضعيف متضعف ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره منهم البراء
ابن مالك » (٢).

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « رب أشعث ذي طمرين تنبو عنه أعين
الناس لو أقسم على الله عز وجل لأبره » (٣).

وقد قرأ ابن مسعود في أذن مبلى فأفاق فقال له صلى الله
عليه وسلم : « ما قرأت في أذنه ؟ قال : أرى ابن مسعود قرأت
أخسبتم إنما خلقناكم عبثا » حتى ختم السورة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال » (٤).

وعن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« لسكل قرن من أمي سابقون » (٥).

(٢) حلية الأولياء .

(٤) حلية الأولياء .

(١) حلية الأولياء .

(٣) حلية الأولياء .

(٥) حلية الأولياء :

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « خيار أمتي في كل قرن خمسمائة والأبدال أربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الأربعون كلما مات رجل أبدل الله عز وجل مكانه وأدخل من الأربعين مكانهم قالوا يا رسول الله دلنا على أعمالهم؟ قال: يعفون ممن ظلمهم ويحسنون إلى من أساء إليهم ويتواسون فيما أتاهم الله عز وجل » (١).

وقال صلى الله عليه وسلم: « إن لله عز وجل خواص يتسكنهم الرفيع من الجنان كانوا أعقل الناس فلنا يا رسول الله وكيف كانوا أعقل الناس؟ »

قال كانت همتهن السابقة إلى ربهم عز وجل والمسارة إلى ما يرضيه وزهدوا في فضول الدنيا ورياستها ونعيمها وعانت عليهم فعبهروا قليلا واستراحوا طويلا » (٢).

ورضى الله عن سيدى الإمام أحمد الرافعى فقد قال: القوم بايعوا الله بصدق النيات وخالص الطويات على كثرة المجاهدات وملازمة المراقبات والطاعات والصبر على جميع

(١) حلية الأولياء .

(٢) حلية الأولياء .

المكروهات قال سبحانه وتعالى فيهم : رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ^(١) . بادروا ركوب العزائم بالذم وقوة الحزم فهجروا المنام وتركوا الشراب والطعام وقاموا لله بالخدمة في حنادس الليل والظلام وخدموا بالغشوع والسهر والقيام والركوع والسجود والصيام وتعلموا في محاريبهم بين يدي محبوبهم لنيل مطلوبهم حتى وصلوا إلى مقام القرب ومحل الأنس وظهر لهم سر قوله تعالى : « إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا » فأعطاهم الدرجة العليا والمحل الأدنى ولا ريب فالقريب من القريب قريب والمحب عند أحباب الحبيب حبيب حبيب لهم حبيب لمحبيهم محبوب عند الله ترفه بركة محبته إلى درجة المحبوبة ما شاء الله كان ^(٢) .

ثم قال فضيلته : عليكم بالتقرب من أولياء الله من وإلى ولي الله وإلى الله ومن عادى ولي الله عادى الله من أحب عدوك هل تحبه يا أخى ؟ لا والله . . الله أغير من الخلق ينار ويفعل وينتقم ويقهر من أحب محبك هل تبغضه ؟ لا والله . . الله أكرم من الخلق : يحسن ويحمل وينعم ويكرم وهو أكرم .

(١) الأحزاب : ٢٣

(٢) البرهان المؤيد

الآ كرمين وأرحم الراحمين . نعم الله تعالى تذكر . من قربته
من العزيز فهو قريب . ومن أبعدته عنه فهو بعيد .
أيها البعيد هنا ، المقوت منا . ما كان هذا منك يا مسكين
لو كان لنا فيك مقصد يشهد بحسن استعدادك وخالص حبك
إلى الله وأهله اجتذبتنا إليك وحسبناك علينا شئت وإلا .
لكن الحق يقال حظك منك وعدم استعدادك قطعك
لو حسبناك منا ما تباعدت هنا خذ مني يا أخى علم القلب خذ
منى علم الذوق خذ منى علم الشوق . أين أنت منى يا أبا
الحجاب واكشف لى قلبك^(۱) .

وقال مولانا السيد أحمد الرفاعى رضى الله عنه : الصقوا
بأولياء الله : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
الذين آمنوا وكانوا يتقون »^(۲) الولى من واد الله وآمن به
واقام فلا تحادوا من واد الله . جاء فى بعض الكتب الإلهية
« من أذى لى وليا فقد آذنته بالحرب »^(۳) الله يمار لأوليائه .
ينقم ممن يؤذيهم . ويكرمهم بصون محبيهم . وعون من يلوذ

(۱) البرهان المؤيد لسيدى أحمد الرفاعى رضى الله عنه .

(۲) يونس ۶۲ ، ۶۳

(۳) رواه الإمام أحمد فى مسنده وهو صحيح ، وفى البغارى من أبي هريرة
بلفظ : « من عاد لى وليا » .

فيهم . ثم أخص المخاطبين بآية : (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة)^(١) . عليكم بحببتهم والتقرب إليهم تحصل لكم بهم البركة كونوا معهم : (أولئك حزب الله إلا أن حزب الله هم لفلحون)^(٢) .

ولا يخفى على ذي عقل أن وجود الأولياء في الكون ثابت بالنص القرآني قال جل وعلا : (ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة) فن أنكر وجودهم أو عادهم استوجب عليه معادات الله كما أوضحنا في الحديث القدسي .

والأولياء أخى في الله نوع من الناس بايعوا الله بصدق النيات وخالص الطويات على كثرة المجاهدات : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وملازمة المرافقات والطاعات والصبر على جميع للكرهات قوم أحبوا الله وأبغضوا الله وأعطوا الله ومنعوا الله ، ذكروا الله كثيراً ليس عندهم غفلة ولا فضول ، قوم عظموا شأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) السجدة آية ٣١ .

(٢) المجادلة آية ٢٢ .

وعرفوا أنه صلى الله عليه وآله وسلم الدال على الله المخبر عن الله جل وعلا الآخذ من الله سبحانه وتعالى عرفوا أنه صلى الله عليه وآله وسلم بأبهم إليه وسيلتهم إلى حضرته قوم طلبوا الله بمتابعة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)^(١) وقال تعالى : (قل أطيعوا الله والرسول)^(٢) ، وقال سبحانه : (وأطيعوا الله والرسول)^(٣) وقال جل وعلا : (الذين استجابوا لله والرسول)^(٤) وقال سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول)^(٥) وقال جل وعلا : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) .

فالأولياء قوم صفت أرواحهم وطهرت سرائرهم وغابت عنهم أنفسهم وورقوا إلى معارج الأنس والقرب وجلسوا على عرش المودة وعاشوا في نعيم الذكر ولذة الطاعة وحلاوة الشوق والاشتياق .

الأولياء قوم صاروا في معية الحق جل وعلا : (الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) .

(١) سورة آل عمران آية ٣٢

(٢) سورة آل عمران آية ١٣٢

(٣) سورة آل عمران آية ١٧٢

سورة النساء آية ٥٩

(٤) سورة النساء آية ٨٠

ولا عجب أخى فى الله فقد اقتضت الحكمة العلية أن
يتفاوت الخلق فى المراتب والمقامات قال تعالى : (ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) ، وقال سبحانه :
(يختص برحمته من يشاء) .

الأولياء قوم تولاهم الله فصاروا أهلاً لحضرتة فغابوا
عن خليقته لا يرون فى الوجود إلا الله جل فى علاه شهدوا الله
فى كل شئ .

هؤلاء القوم (الأولياء) منحهم الله سبحانه المعارف
والأسرار والمعلوم والأنوار والكرامات والفتوحات والمواهب .

قال أحد أجدادى من آل الرافعى : الأولياء قوم خافوا
الله فأورثهم أسرار علومه وذلك نور يقذفه الله فى قلوبهم
فمن علامات هؤلاء القوم أنهم إن أرادوا التحدث عن هذه
المنح سبق نور شهودهم إلى القلوب المستمعة فتسرى فيهم على
قدر استعدادهم وصدقهم^(١) .

(١) هو الإمام المعارف بالله صاحب مقام السروف بمبانيات فاضلة بن قرية السكرية
أبو نشت لنا الشيخ على الخوف الرافعى بن الشيخ أحمد بن الشيخ
الرافعى لئلا نزاح من المدينة المنورة سنة ٩٢٥ من الهجرة الملقب بأبو الأولياء وذلك
من كثرة أبنائه وأحفاده أصحاب المقامات العالية للسكان فمريجه برواية يقره بالعبادة
أبو نشت لنا .

فبادر أخى بصحبته والاجتماع بهم والأخذ عنهم
وملاحظتهم وملازمة الأدب معهم وداوم على خدمتهم .

واعلم أن عدم الأدب معهم يُسلب نور الإيمان من القلب .
واعلم أنهم رضى الله عنهم يسمعون بالله ويرون بالله كما
أوضحت من قبل وقد أخبر صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك
فى قوله : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) .

واعلم أخى أنهم هم العلماء بالله وأنهم ورثة الأنبياء
وأنهم يعرفون الخلق ودرجاتهم بل وحركاتهم وسكناتهم
وقد تحقق ذلك فى الصحابة عليهم السلام وفى الصالحين
من بعدهم .

ورد أن رجلا دخل على سيدنا عثمان رضى الله عنه فقال
أمير المؤمنين له : أيدخل على أحدكم وفى عينه أثر الزنا ؟
فقال الرجل متعجبا : أوحى بمدرسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ؟

قال أمير المؤمنين عثمان عليه السلام : لا وليكنها
فراسة المؤمن .

وقصة سيدنا عمر مع سيدنا سارية رضى الله عنهم فيها
الخبر المشهود .

واعلم أخى المحب وقل لغيرك ممن يجهلون حقيقة الأولياء
رضى الله عنهم حتى لا تكون لهم حجة علينا أن الأولياء لهم
حرمة يجب أن تُراعى :

ما حرمة الأشياء إلا حرمة الله
فالتزمها وأحذر معادات الله

هم الخـبراء والآيات دلت
أن سألت يا أخانا عن الله

الوارثون هموا للأنبياء أجمعهم
بذا نصاً رواه أهل السند عن الله
مظاهر أسرار بواعظهم رموزها

أشارات آيات تدل على الله
منطوقهم أوصاف أحكام دقائق

حالمها تسوق السائرين إلى الله
فكم أحيوا وكم وصلوا قلوبا

بآيات من مدد حضرة الله
كلامهم وأرثاداتهم رقائق

عبارتها تتلى بعض من الله
فإنج مطايا القصد في غيباتهم

وابشر بفيل الفوز من الله

أما قرأت في القرآن واصبر
 نفسك مع الذين يُريدون وجه الله
 رسول الله مالى عن عترتك ميل
 بهم نجاه المحبين سبحانه الله
 عليك صلاة الله في كل وقت
 الرافعى بن خلف الله فيه ذكر الله
 وآله وأرضى اللهم عن
 أخوانى وشيخى الموصول إلى الله
 وصحبه وسلم كلما تلى
 تالى آيات من كتاب الله

واعلم أخى وبلغ غيرك أن كرامات الأولياء امتداد
 لمعجزات الأنبياء وأنكارها إنكار لفضل الله وذلك كفر
 لما فيه من تكذيب النص قال محب الدين محمد بن الشحنة
 في منظومته التى شرحها السيد الشريف أحمد الحموى وصفاها
 تعليق القلائد على شرح العقائد :

ونمتد الكرامة من ولى
 كقصّة خالد يوم الدراب

وقال الإمام الثاني في جوهره التوحيد:

وأثبتن للأولياء الكرامة

ومن نقاها فانبذن كلامه

يعنى أنه يجب عليك أيها المكلف إن تعتقد حقيقة
كرامات الأولياء بمعنى جوازها ووقوعها كما هو الحق عند
جهور أهل السنة وهى أمر خارق للمادة غير مقرون بدعوة
النبوة ولا هو مقدمة لها يظهرها الله على يد عبد ظاهر الصلاح
ملتزم لمنازمة نبي كلف بشريعة والكرامة أخى فى الله أكبر
شاهد للأولياء على اختصاص الله لهم :

أثمتنا اذكركم بخير أنهم

تبعوا الرسول بصحة الأقوال

أقامهم الله للدلالة عليه

خبراء بالورثة فافهموا الأقوال

أشار الله عليهم فى قرآنه

فتريشوا وتذوقوا سورة الأنفال

صحت ولايتهم بشاهد حالهم

ودعوتهم لصالح الأقوال والأفعال

م بصر الله وسمعه فاما

به لكشف البدع والضلال

من خادم يستر حديث صحيح
رواه النبي عن ربه المتعال
هم الخبراء والآيات دلت
أن سألت عن ذى الجلال
خادمكم ابن خلف الله إبراهيم آل
الرفاعي يرجوا بكم سادتي نيل الآمال
وعشيرتي وأخــواني والمسلمين
وكل عـب بصدق فيكم قال
وصل ربى على المعصوم
وسيدنا والمهاجرين وأنصاره والآل
والكرامة نوعيين :

١ - كرامة واجبة مثل كرامة سيدنا صر وهو فى
المدينة المنورة فرأى سيدنا سارية على باب نهاوند ببلاد الفرس
وقد كثرت جموع الاعداء وكاد المسلمون ينهزمون فقطع
الخطبة وقال : يا سارية الجبل الجبل . وسمع سارية النداء وتم
النصر المسلمين .

٢ - كرامة لتقوية المريدين : يظهرها الله على يدي
الولى بالمأذون بالدهوة من الله ورسوله وذلك لتثبيتهم فى السير
إلى الله .

وأكرر : فن أنكر هذه الأشياء فقد كذب النص
القرآني وما أخبرنا به الحق عن المطاء الذي منحه لعباده وذلك
مثلا في قصة سيدنا سليمان وطلبه عليه السلام بالآتيان بعرش
بلقيس وقد أجابه رجل مؤمن عنده علم من الكتاب فهذه
كرامة سجلها القرآن الكريم لا ينكرها إلا المماندون أصحاب
الآهواء والنفوس المريضة .

ولابد أخى فى الله من وجود تلك النوعية المخصوصة
فى الأمة ليستقيم منهج الحياة ويتحقق بهم وعد الله سبحانه :
« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »^(١) .

وصدق الله : « واتكن منكم أمة يدعون إلى الخير
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم
المفلحون »^(٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « فى كل خلف من أمى
عدول من أهل بيتى ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين
واتحال المبطلين وتأويل الجاهلين .. ألا وإن أمتكم وقدكم
إلى الله عز وجل فانظروا من توفدون »^(٣) .

(١) سورة الحجر آية ٩ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٤ .

(٣) أخرجه الملا فى سيرته .

وبعد أخى المحب لأهل البيت النبوى فسيدي أبوالحسن
الشاذلى رضى الله عنه واحد من هؤلاء الأولياء الذين ورثهم
الله القطبانية الكبرى وأمر جل وعلا ملكه جبريل بأن
نادى فى خلقى أنى أحب على أبوالحسن عيسى وسمع أهل
الأرض النداء فأحبوه وأجمع الخاص والعام على قطبانيته وعظم
قدره وأنه المشار عليه فى وقته ورضى الله عنه فقد قال :

ذاب رسمى وضح صدق فنأى
وتجأت للسر شمس ضياءى
ونزلت فى العلوم أبدى
ما انطوى فى الصفات بمد صفائى
فصفائى كالشمس تبدى سناها
ووجودى كالليل يخفى سوائى
أنا معنى الوجود أصلا وفصلا
من رآنى فاجد ليهائى
أنا نور لأمله مستبين
أشهدونى فقد كشفت غطاءى

وإلى سيدي أبوالحسن الشاذلى رضى الله عنه انتهت
إليه فى عصره رئاسة العلم والطريق وشهرته فى مصر والشام
والحجاز واليمن والمغرب والهند والسند والروم والمغرب تبنى

عن تعريفه ومناقب الإمام الشاذلى رضى الله عنه ومآثره أكثر من أن تحصر وقد ترجم له جمهرة من العلماء والأحباب ما يثلج قلب المحب وينقى الباحث عن البحث فى أحوال وأقوال ذلك السيد من آل الحسن عليهم السلام ولكنى إذ أقدم هذا الكتاب المعروف بأسم درة الأسرار ونفحة الأبرار للإمام الحيرى رضى الله عنه لالئىء إلا أننى أحب سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه جبالاً يوصف فأردت أن أشرف نفسى بمثل هذا العمل فروح سيدى أبو الحسن رضى الله عنه شديدة الحضور خاصة أن قرأت شئ من أذكاره أو أقواله وتحدثنا بنعمة الله سبحانه وتعالى فقد كنت مهووماً يوماً مامناً أمر أصابنى فرأيت فيما يرى النائم سيدى أبو الحسن رضى الله عنه يسلم على ويقول لى : يا إبراهيم إذا ضاقت بك الأمور نادى وقل يا أبا الحسن وأعلم أن ما فيه أنت الآن قد عايننا منه وعانى منه الأجداد كذلك فاصبر والفرج أنشاء الله قريب .

ثانياً أهجأبى الشديد بهذا الكتاب والذي يعتبر المرجع الوحيد الذي رجع إليه كل من تحدث عن سيدى أبو الحسن الشاذلى لأن هذا الكتاب يتميز ترجمه حقيقية كاملة عن سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه ولا خير فقد جمعت مادة هذا الكتاب فى عهد سيدى أبو الحسن رضى الله عنه .

ولا أطيل أخواني في الله عليكم ونترك الكتاب يتحدث
فهو خير مجيب لكل سائل عن الإمام أبو الحسن رضى الله
عنه .

اللهم يسر لنا أمورنا مع الراحة لقلوبنا وأبداننا والسلامة
والعافية في ديننا ودنيانا وتقبل منا ياربنا أعمالنا واجعل هذا
العمل خالصا لوجهك الكريم ووفقنا للمزيد وكن لنا صاحبنا
في سفرنا وخليفة في أهلنا واطمس على وجوه أعدائنا
وامسحهم على مكاتهم فلا يستطيعون المضى ولا المجيء إلينا .

وصلى اللهم على المصوم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه وسلم ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين ؟

أخوكم

إبراهيم بن خلف الله بن محمد

الرفاعي الصادق الحسيني

دار آل الرفاعي حجازه

قبل قرص قنا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً دائماً أبداً .

يقول العبد الفقير إلى الله سبحانه محمد بن أبي القاسم الحنظلي - عرف بابن الصباغ - رحمه الله :

الحمد لله الذي لم يزل بكلامه القديم محموداً ، الرحيم الذي أوزعنا برحمته شكر ما أوسعنا من نعمته ، وألمنا تحميداً له وتمجيداً ، فأنع نطاق النماء ، ومنطق الثناء ، حين وعد الشاكرين بفضله مزيداً ، ومهد بساط مجالسه للذاكرين تحميداً ، جل عن صفات الأجساد فلا تحويه الأماكن ، قهر الأشياء بحكمه ، وحكمها كما شاء بغيره ، فبإذنه يسكن للعنكبوت ، ويتحرك للساكن ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، مالك البسط والقبض ، عالم الغيب ، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض .

نحمده سبحانه حمد من عرفه حق معرفته ، ونشكره شكر من أقر بعظيم إحسانه ونعمته ، وتشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا يلحقها ارتياب ، ولا يفتق دونها من النبول باب ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، المنتخب من معدن الشرف والهاب ، المحتجب بيت من السؤدد الذي يقصر من عن وصف خصائصه جامع الإطباب .

صلى الله عليه وسلم تسليماً صلاة نبيلتنا إليه ، ونجمتنا عليه يوم العرض والحساب ، ورضى الله عن آله وأنصاره وذريته وآل بيته وأصحابه البررة خير أصحاب ما لاح نجم وطلع بدر وسع على بساط الأرض سحاب .

أما بعد : فإن أفضل ما استعمل اللسان في إنشائه ، وجنى الجنان من مواقع ظهوره وإنشائه إنما هو ذكر ما تخلق به الأولياء للقبول من السير والآثار ، وما تحقّقوا به من الدعوات والأذكار ، وما انتصفوا به من الأحوال والمقامات ، وما خصّوا به من الخوارق والكوامات ، وكان من جملة من الله على ، وعلى من سلف لي تقبّل ما لبسنا الشيخ الولي الصديق العارف الحقّ ، الثوّث القاطب الشريف الحسيني^(١) ، أبو الحسن علي ، المعروف بالشاذلي من الآثار ، وتقييد ما له من الدعوات والأذكار .

وكنّت أطلبها ، وأجتهّد في جمعها ، وأمصرف الرغبة في التوجه إلى من عرف بها ، فنها ما أخذته تلقيناً بقونس ، من سيدنا الشيخ الصالح الولي أبو سلطان ماضي ، تلهّد سيدنا الشيخ أبي الحسن بخادمه ، ومنها ما أخذته من أرض المشرق ، من ولده سيدنا الشيخ أبي عبد الله محمد المدعو بشرف الدين ولد سيدنا الشيخ رضي الله عنه ، ومن سيدنا الشيخ الصالح ياقوت الحبشي ، ومنها ما أخذته من غفرم من مفقدي طريق الشيخ ، وأصحاب من أهل المشرق والمغرب ، حتى اجتمع عندي من ذلك ما يهز سماعه ، ويبرز اجتماعه .

فرغب إلى بعض الإخوان في الله تعالى ، أن أجمع جميع ذلك في ديوان ، لتقع المنفعة به في مستقبل الأزمان في كل مكان ، فاستقبلته وأجبتني إلى ذلك ، رغبة لما أرجوه من جزيل الثواب عليه ، وليكون حافظاً لما في صدرى ، ومذكراً لي عند مطالعته وقسمته على خمسة فصول :

الفصل الأول : في نسبه الكريم ، ومنشئه وأخذه عن شيخه ، ورحلته من المغرب إلى أفريقيا ، ثم إلى بلاد المشرق ، وفيه بها الخلافة والقطبانية .

الفصل الثانى : فى مكاتباته لأصحابه بأفريقيا .

الفصل الثالث : فى دعواته وتوجيهاته وأذكاره .

الفصل الرابع : فى مرثيته وكلامه فى التصوف والحقيقة والوصايا لأصحابه .

الفصل الخامس : فى وفاته واستخلافه سيدى أبى العباس المرسى من بعده .

وأذكر عنه حكايات طريفة ، وسميته « درة الأسرار ونخلة الأبرار »
لسيدنا الشيخ الولى العارف الفارف المحقق الصديق قطب الفوت أبى الحسن
على من الأحوال والمقامات والخواص والكرامات والدموات والأذكار ،
ليكون اسمه موافق^(١) مسجده ومطابقاً لمعتاه .

ومن الله سبحانه برجى القبول ، وبلوغ المأمول ، وهو الحافظ من الغواية
فى الرواية ، وللسعد بالإعانة على الإبانة لا رب غيره ، ولا خير إلا خيره .

(١) فى الأصل : وافق .

الفصل الأول

في نسبه الكريم ، ومنشئه ، والأخذ عن شيعته ، ورحلته من المغرب إلى أفريقيا ، ثم إلى بلاد المشرق ، ونيله بها الخلافة والقطبانية

فأما نسبه الكريم فهو : علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز ، ابن حاتم بن قصى بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن محمد بن أحمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضى الله عنهم .

وأما مولده فبفاره ، دخل رحمه الله مدينة تونس وهو صبي صغير ، وتوجه إلى الدار المصرية ، وحج حجاً كثيرة ، ودخل العراق .

قال رحمه الله : لما دخلت العراق اجتمعت بالشيخ الصالح أبي الفتح الواسطي فمأ رأيت بالطرق مثله ، وكان معللي على القطب ، قال لي بمض الأولياء : أنت القطب بالعراق ، وهو ببلادك ، ارجع إلى بلادك نجده .

فرجع إلى بلاد المغرب إلى أن اجتمع بأستاذه وهو : سيدنا الشيخ الولي العارف الصديق القطب الفوث أبو محمد عبد السلام بن بشيش .

قال رحمه الله : لما قدمت عليه وهو ساكن بمخارة في راقطة في رأس جبل اغتسلت في عين في أسفل ذلك الجبل ، وخرجت عن علي وعلى ، وطلعت إليه فقيراً ، وإذا به هابط إلى وعاليه مرقمة ، وعلى رأسه قلنسوة من خوص ، فقال لي : مرحبا بعلي بن عبد الله بن عبد الجبار ، فذكر نسي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلياً ، ثم قال لي : يا علي طلعت إليفا فقيراً من علمك وملكك^(١) ، فأخذت مناغى الدنيا والآخرة .

(١) في طس : من علمك وملكك .

فأخذني منه الدهش ، وأقت عنده أياما ، إلى أن فزع على بصيرتي ،
ورأيت له خرق عادات .

فنها : أتى كنت يوما جالسا بين يديه ، وفي حجره ابن له صغير ، فخطر
ببالي أن أسأله من اسم الله الأعظم قال : فقام إلى الولد ، ورى بيده في طوق
وهزنى وقال : يا أبا الحسن أنت أردت أن تسأل الشيخ عن اسم الله الأعظم ،
إنما الشأن أن تكون أنت اسم الله الأعظم^(١) ، يعنى أن سر الله مودع
في قلبه .

قال : فتبسم الشيخ وقال : جاوبك فلان عني ، وكان إذ ذاك قطب الزمان ،
ثم قال : يا على ارتحل [إلى] إفريقيا ، واسكن بها بلداً تسمى شاذلة ، فإن الله
هو وجل يسميك الشاذلى .

وبعد ذلك تنقل إلى مدينة تونس ويؤتى عليك بها من قبل السلطنة^(٢) ،
وبعد ذلك تنقل إلى الديار المصرية ، وبها ترث القطيانية .

فقلت له : يا سيدي أوصني ، فقال لي : يا على ، الله الله ، والناس الناس ،
نزه لسانك عن ذكرهم ، وقلبك من التماثيل من قبلهم ، وعليك بحفظ
الجوارح ، وأداء القرائن ، وقد تمت رواية الله عندك ، ولا تذكرهم
إلا بواجب حق الله عليك ، وقد تم ودعك ، وقل : اللهم أرحني من ذكرهم
ومن المارض ونجني من شرهم وأغني بخيرك عن خيرهم وتولني بالخصوصية
من بينهم إنك على كل شيء قدير .

(١) في طت : الاسم الأعظم .

(٢) في طت : السلطان .

قال رضى الله عنه لما دخلت مدينة تونس وأنا شاب صغير وجدت بها جماعة شديدة ، ووجدت الناس يموتون في الأسواق فقلت في نفسي لو كان عندي ما أشتري به خبز الجؤلاء الجياع لفعلت ، فألقى في سري : خذما في جيبيك فحركت جيبي فإذا فيه دراهم فأتيت إلى خباز بباب المنارة فقلت عد خبزك فعده على ثم ناولته للناس فتفاهبوه وأخرجت الدراهم فناولتها إلى الخباز فأعطيته برنسى وكرزيتي رهنا في ثمن الخبز وتوجهت إلى جهة الباب وإذا برجل واقف عند الباب . فقال يا على أين الدراهم فأعطيته إياها فبرزها في يده ثم ردها إلى ثم قال أدفعها إلى الخباز فإياها طيبة فدفعها إلى الخباز فقال هذه طيبة وأخذت برنسى وكرزيتي ثم طليت على الرجل فلم أجده .

فبقيت أياما حائرا في نفسي إلى أن دخلت يوم الجمعة الجامع الزيتونة عند المقصورة في شرق الجامع ، فركمت تحية للسجد وسلمت وإذا الرجل عن يميني فسلمت عليه فتبسم إلى وقال لى : يا على أنت تقول لو كان عندي ما أطعم هؤلاء الجياع لفعلت . تتكلم على الله الكريم في خلقه . ولو شاء لأشبعهم وهو أعلم بمصالحهم منك .

فقلت له : يا سيدى بالله من أنت ؟ فقال أنا أحمد الخضر كنت بالصين^(١) فتبيل لى أدرك ولما عليا بتونس فأتيت مبادرا إليك . فلما صلينا الجمعة نظرت إليه فلم أجده .

وحكى عنه الشيخ صالح أبو فارس عبد العزيز بن فطوح في فضائل أبي سعيد الباجي رحمه الله قال عن سيدى أبي الحسن رحمه الله : أنه قال : لما دخلت

(١) في طس : في الصين .

تونس في إبتداء أمرى^(١) قصدت من فيها من المشايخ وكان عندي شيء أحب أن أعرضه على من يبين لي مافيه فلم يكن فيهم من شرح لي حالا حتى على الصالح أبي سعيد الباجي فأخبرني بحالي قبل أن أبديه ، وتكلم على سري فعملت أنه ولي الله^(٢) فلازمته فانتفعت به كثيرا .

قال الراوى : وسمعت منه ذلك مرارا .

وقال رضى الله عنه : كنت في ابتداء أمرى أطلب علم الكيمياء وأسأل الله فيها ، فقبل الكيمياء في بولك . اجعل فيه ماشئت يعود كما شئت ، فخميت فأسا وأطلقته فيه فعاد ذهباً فرجمت إلى شاهد عقى^(٣) فقلت يارب سألتك عن شيء فلم أصل إليه إلا بمحاولة النجاسات فقبل يا على الدنيا فذرة فإن أردت التذارة ماتصل إليها إلا بالتذارة فقلت : يارب أقلنى منها ، فقبل لي : أرحم الناس تمد حديدًا ، فخميته فعاد حديدًا .

وقال رضى الله عنه : كنت ليلة في سياحة في إبتداء حالى ، فويت لولة في موضع كثير السباع^(٤) ، فجعلت السباع تههم على فجعلت على ربوة عالية وفات والله لأصليين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قال : « من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا » . فإذا صلى على عشرا أبيت في أمن الله .

قال ففعلت ذلك فلم أخف شيئاً . فلما كان عند السحر توجهت إلى غدير ماء لأتوضأ لصلاة الصبح وكان يازأها جبل ، فطرن ولأجبعتهن خفان عظيم .

(١) في المخطوطة : في بدء أمرى .

(٢) في ط : ولي الله .

(٣) في ط : إلى شاهد العقول .

(٤) في المخطوطة : كثير الوحوش .

فأدركنى الدهش فرجعت إلى خافى فخطبت فى سرى ياعلى لمايت البارحة بالله .
لم تحفك (مهمة)^(١) السباع عليك ولما قت اليوم بنفسك أخافك خفقان
ریش المجمل .

وقال رضى الله عنه : كنت فى سياحتى فأتيت ليلة إلى غار لأبيت فيه ،
فسمعت فيه حس رجل ، فقلت والله لا أشوش عليه فى هذه الليلة وبت عند
فم الفار ، فلما كان عند السحر سمعته يقول : « اللهم إن قوما سألوك إقبال
الخلق عليهم وتسخيرهم لهم اللهم إلى أسألك لإعراضهم عنى واعوجاجهم على
حتى لا يكون لى ملجأ إلا إليك » . ثم خرج . وإذا به أستاذى .

قال فقلت له ياسيدى سمعتك البارحة تقول كذا فقال لى ياعلى أيا خير لك
تقول كنى لى أو سخر قلوب عبادك . فإذا كان لك كان لك كل شىء .

ولما توجه رحمه الله من عند أستاذه إلى أفريقيا وأمره بالنفلة إلى شاذلة
وصل إلى مدينة تونس إلى مصلى الميدين ، فلقى بها خطابا من أهل شاذلة
فخرج معه متوجها إليها على نحو ما أمر به الأستاذ فنسى الخطاب حاجة فى
السوق فرجع قاصدا إليها وترك الحمار عنده فلما توجه قال فى نفسه : هذا رجل
غريب يهرب لى بالحمار وأبقى فى عدمه ؟ فناداه الشيخ فرجع إليه فقال له يابنى
خذ حمارك معك وأتظرك حتى تعود إلى لثلا أهرب لك بالحمار على زعمك وتبقى
فى طلبه فبكى الخطاب وقال : والله ما اطاع على هذا إلا الله تعالى فلم يولايه
فجعل يقبل يديه ويسأله الدعاء ثم انصرف لحاجته وعاد إليه فخلف له أن يركب
الحمار وأردنه خلته وقال والله ما كان الحمار يحملنى إلا بعد جهد لضعفه وقلة علفه .

قال : فشينا قدر الميل وإذا بالشيخ نزل وإذا نحن عند الساقية بطواف شاذلة

قال : فأخذني الدهش ثم همت عليه وقلت له : يا سيدي أنا مبتلى بالفاقة^(١)
أحتطب الحطب فأبيعته فما أصل إلى القوت إلا بعد جهد ، وكان في طرفي
شعير اشتريته برسم قوت العميال وعاف الحمار ، فقال لي : هات ذلك الشعير ،
فخلت طرفي فأدخل يده فيه وقال : اجعل ذلك الشعير في قفة وأغلق عليه ،
وادخل يدك ، وكأوا منه ، وما بقيت تشتكي الفاقة أبداً ، أسأل الله أن يفيك
ويفني ذريتك ، فلم ير من ذريته فقير إلى الآن .

قال : فخلعت أدخل يدي وأخرج وأنصرف وحرمت على الحمار وزرعت منه
فوجدت إصابة (خير)^(٢) كثيرة وحلت عنه وكلته فوجدته على نحو ما كان ،
فلما دخلت عليه قال لي : لو لم نكله لأكلت منه ما دام عندكم .

وكان أول من صحبه بشاذلة سيدنا الشيخ الصالح الولي السكاشف أبو محمد
عبد الله بن سلامة الحبيبي ، من أهل شاذلة ، كان يدخل مدينة تونس ويحضر
مجلس سيدنا الشيخ الصالح العارف الفاضل أبو جعفر الجاسوس ، وهو مشتمل
في حولى ، فيقول الشيخ رضى الله عنه : العوالى في الخوالى .

قال : فأخذت بيده يوماً وقلت له : يا سيدي أتخذك شيخى^(٣) ؟ فقال لي :
يا بني ارتقب أستاذك حتى يصل من المغرب ، حسنى من كبار الأولياء هو -
أستاذك ، وإليه تنسب ، فكان يرتقيه وكل من التقوا للداربة يصحبه حتى
قدم الشيخ إلى شاذلة فاجتمع به ، وكان ذلك إكراماً به وسابقة خير له نصحه
ولازمه وتوجه معه إلى جبل زغوان وتعبد معه وجاهد معه وفقاً طويلاً .

(١) في طس : بالفقر .

(٢) الكلمة ساقطة من للطبوعات كلها .

(٣) في طت : أتخذك أستاذى .

وروى عنه كرامات كثيرة :

فما حكى عنه قال : قرأ يوماً على زغوان سورة الأنعام إلى أن بلغ قوله تعالى (وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها) أصابه حال عظيم وجعل يكررها ويتحرك فسكها مال إلى جهة مال الجبل نحوها حتى سكن سكن الجبل .

وحدثنا الشيخ الصالح أبو الحسن على الأبري المعروف بالخطابي قال : قلت يوماً لسيدي أبي محمد عبد الله الحبوبي : أخبرني عن بعض ما رأيت من سيدنا أبي الحسن ، قال : رأيت له أشياء كثيرة وصا حدثكم بعض ذلك :

أفت معه بجبل زغوان أربعين يوماً أفطر على العشب وورق الدفلاء ، حتى تفرحت أشدائي ، فقال : يا عبد الله ، كأنك اشتبهت الطعام ، فقلت : يا سيدي نظري إليك يغنيني عنه ، فقال : غداً إن شاء الله تهبط إلى شاذلة ، وتلقانا في الطريق كرامة .

قال : فهبطنا صباح غد ، فلما هبطنا في وطاء الأرض قال لي : يا عبد الله إذا أخرجت عن الطريق فلا تتبعني ، فأصابه جال عظيم ، وخرج عن الطريق حتى بعد عنى ، فرأيت طيوراً أربعة على قدر البللارجة ، نزلوا من السماء وصفوا على رأسه ، ثم جاء إليه كل واحد منهم وحادثه ، ثم طاروا ومعهم طيور على قدر الخطاطيف وهم أيضاً يحفون به من الأرض إلى عنان السماء ويطوفون حوله ، ثم غابوا عني ، ورجع إلى فقال : يا عبد الله هل رأيت شيئاً ؟ فأخبرته بما رأيت فقال لي : أما الطيور الأربعة فن ملائكة السماء الراجعة أتوا إلى يسألون عن علم فأجبتهم عليه ، وأما الطيور التي على شكل الخطاطيف فأرواح الأولياء أتوا إلى يعتبركون بقدمنا .

وأقام بجبل زغوان زمناً طويلاً وأنبه الله علينا تجرى بهاء عذب وله هناك

مفارة كان يسكنها ويسمع الآن الأذان من أسفل الجبل عند أوقات الصلوات فيصعد إليها فلا يوجد أحد يعمرها فما يعمرها غير أصحابه من الجن المؤمنين .

قال رضى الله عنه : قيل لى : يا على اهبط إلى الناس تنفع بك ، فقلت : يا رب ألقى من الناس فلا طاقة لى بمخالطهم ، فقيل لى : انزل فقد أصبحناك السلامة ، ورفعنا عنك الملامة ، فقلت : يا رب تكفى لى الناس آكل من دريهماتهم ، فقيل لى : افق يا على فأنا الذى إن شئت من الحبيب وإن شئت من الغيب ^(١) .

فدخل إلى مدينة تونس وسكن بها داراً بمسجد البلاط وصحبها بها جماعة من الفضلاء منهم : الشيخ أبو الحسن على بن غلوف الصملى ، وأبو عبد الله الصابونى ، والشيخ أبو محمد عبد العزيز الزيتونى ، وخادمه أبو سلطان ماضى ، من اللسروتين ، وأبو عبد الله البجاوى الخياط ، وأبو عبد الله الخارجى كلهم أصحاب كرامات وبركات نفعنا الله بجمعهم .

وأقام بها مدة إلى أن اجتمع عليه خلق كثير ، فسمع به الفقيه أبو القاسم ابن البراء ، وكان إذ ذاك قاضى الجماعة ، فأصابه منه حسد ، فوجه إليه لينازمه ، فلما يقدر على التمسك منه ، فقال للسلطان : إن همما رجلا من أهل شاذلة سواق الخير يدعى الشرف ، وقد اجتمع عليه خلق كثير ، ويدهى أنه الفاضل ويشوش عليك فى بلدك .

قال الشيخ رضى الله عنه : فقلت : يا رب لم سميتنى الشاذلى ولست بشاذلى ،

(١) هذا ليس بيميد ، فصل الله لا حجر عليه ، وكرامة الله لا ينكر منها التماس والأغراض .

فقال له : يا على ما سميتك بالشافلى ، إنما أفت الشاذلى - بتشديد الدال المعجمة -
يعنى المفرد خلدمتى وصحبى .

وكان السلطان الأمير أبو زكريا رحمه الله تجمع مع البراء جماعة من الفقهاء
فى القضية ، وجلس السلطان خلف حجاب ، وحضر الشيخ رضى الله عنه ،
فسألوه من نسبه مراراً والشيخ يجيبهم عليه والسلطان يسمع ، ويتحدثوا معه
فى كل العلوم فأفاض عليهم بعلوم أسكنهم بها وما استقطاعوا أن يجاوبوه عليها
من العلوم اللو هوية ، والشيخ يتكلم معهم فى العلوم للسكنسية ويشاؤكهم فيها .

فقال السلطان لابن البراء : هذا رجل من أكابر الأولياء ومالك به طاقة ،
فقال له : والله لئن لم يخرج فى هذه الساعة ليدخل عليك أهل تونس ويخرجونك
من بين أظهرهم فإنهم مجتمعون على بابك . قال : تفرج الفقهاء ، وأمر الشيخ
بالجلوس ، فقال : لعل أن يدخل على بعض أصحابى .

فدخل عليه بعض أصحابه فقال له : يا سيدى الناس يتعبدون فى أمرك
ويقولون يفعل به كذا وكذا من أنواع الأدب ، وبكى بين يديه .

قال : فقبس الشيخ وقال : والله لولا أنى أتأدب مع الشرع لخرجت من ههنا
ومن ههنا ، وأشار بيده ، فهما أشار إلى جهة انشق الحائط ، ثم قال له : ايتنى
بإريق ماء ، وسجادة وسلم على أصحابى وقل لهم : ما يقيب عنكم إلا اليوم
خاصة وما يصل المغرب إلا معكم إن شاء الله .

فأتاه بما أمره به فوضأ وتوجه إلى الله سبحانه ، قال رضى الله عنه : فهممت
أن أدمع على الصليطان فقيل لى إن الله لا يرضى لك أن تدعو بالجزع من مخلوق
فألممت أن أقول : « يا من وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما
وهو الغنى العظيم أسألك الإيمان بحفظك إيماناً يسكن به قلبى من هم الرزق

وخوف الخلق وأقرب منى بقدرتك قرباً تمحق به عني كل حجاب محفته من إبراهيم خليفك فلم يحتج لجبريل رسولك ولا لسؤاله منك وحجبت بذلك عن نار عدوه ، وكيف لا يحجب عن مضرة الأعداء من غيبته عن منفعة الأحياء كلامي أسألك أن تعينني بقربك حتى لا أرى ولا أحس بقرب شيء ولا يبعدني عنك على كل شيء قدیر ..

وكان عند السلطان جارية من أعز نسائه عليه أصابها وجع فانت في حينها فأصيب من أجلها ، ففسلت في بيت سكناه واشتغلوا في دفنها فتسيت الجمرة بالنار في البيت فالتهمت النار ، ولم يشعروا بها حتى احترق كل ما في البيت من الثرى والثياب وغير ذلك من الخاثر ، فلم السلطان أنه أصيب من قبل هذا الولي .

فسمع بذلك أخو الملك أبو عبد الله اللحياني ، وكان في خبائه بخارج المدينة فأتى مبادراً إليه ، وكان كثير الاعتقاد والزيارة للشيخ ، فقال لأخيه : ما هذا الذي أوقعت فيه ابن البراء ؟ أوقعت والله في الهلاك أنت ومن معك ، فدخل عليه وجعل يقول : يا سيدي أخي والله غير عارف بمقدارك ، وجعل يقبل يديه ، وبسأله الصمغ عنه ، فقال : والله ما يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، فكيف يملكها لغيره ، كان ذلك في السكتاب مسطوراً .

وخرج الشيخ أبو عبد الله اللحياني بصحبة الشيخ رضى الله عنه إلى داره ، فأقام الشيخ أياماً ، ثم باع ريعه الذي بناه بمسجد البلاط ، وأمر أصحابه بالقلعة إلى الديار المصرية ، ووجه إلى ابن البراء وقال له : تراني أوسع عليك حديثك تونس .

وحدثنا الشيخ أبو الغزائم خادمة قال : لقي الشيخ يوماً ابن البراء ، فسلم

عاهه الشيخ ، فأعرض عنه ، ولم يرد عليه السلام ، وإذا بالفتية أبى عبد الله بن
أبى الحسن حاجب السلطان ، فلما رآه ترجل من بقلته وبادر إلى الشيخ وجعل
يقبل يديه ويهكي ويسأله الدعاء ، فدعا له وانصرف .

فلما دخل الدار قال : خوطبت الآن في هؤلاء الاثنين ، فقيل لى : يا على
وسم عهد بالشقاوة علم الحق وتماهى عنه ، ولو علم ما علم ، ووسم عبد بالسعادة
علم الحق وأتى إليه ولو عمل ما عمل .

قال : وما مع الشيخ أن دعا عليه ولا ذكره بشيء حتى كنا يعرفات يوم
عروة ، قال : أمتوا على دعاى ، فالآن أمرت أن أدعو على ابن البراء ، فقال :
اللهم طول عمره ، ولا تنفعه بملءه ، وأفنته في ولده ، واجعله في آخر عمره
خادماً للقلمة .

قال : ولما توجه رضى الله عنه فضع السلطان فقير نظروجه من بلاده فوجه
إليه من يرده ، قال للشيخ : ما خرجت إلا بنية الحج إن شاء الله ، ولكن إن
قضى الله حاجتى أعود إن شاء الله ، فلما توجهنا إلى المشرق ودخلنا الإسكندرية
عمل ابن البراء عقداً بالشهادة : أن هذا الواصل إليكم شوش علينا بلادنا ،
وكذلك يفعل ببلادكم ، فأمر السلطان أن يعقل بالإسكندرية .

فأقنا أياماً وكان السلطان رعى رمية على أهل البلد وم أشياخ البلد ،
يقال لهم القبائل ، فلما سمعوا بالشيخ أتوا يطلبونه في الدعاء ، فقال لهم : غداً
إن شاء الله نساقر إلى القاهرة ونتحدث مع السلطان فيكم ، فسافرنا وخرجنا
من باب السدرة ، والباب فيه الجناشرة والوالى وما يدخل أحد ولا يخرج حتى
يفتش ، فاكلنا أحد ولا علم بنا .

فلما وصلنا القاهرة أتينا القلمة فاستوفرن عليه السلطان ، فقال : كيف ونحن

أمرنا أن يعقل بالإسكندرية ، فأدخل على السلطان والقضاة والأمراء ، فجلس معهم ونحن ننظر إليه ، فقال له : ما تقول أيها الشيخ ؟ فقال له : جئت أشفع إليك في القبائل ، فقال له : أشفع في نفسك ، هذا عقد بالشهادة فيك وجهه ابن البراء من تونس بعلامته فيه ، ثم ناوله إياه .

فقال له : أنا وأنت والقبائل في قبضة الله ، وقام الشيخ ومشى قدر المشرين خطرة ، فحركوا السلطان فلم يتحرك ولم ينطق ، فبادروا إلى الشيخ وجعلوا يقبلون يديه^(١) ويرغبونه في الرجوع إليه .

قال : فرجع وحركه بيده ، فتحرك ونزل عن كرسیه ، وجعل يستقبله ويرغب منه الدعاء ، ثم كتب إلى الوالي بالإسكندرية : أن يرنع الطلب من القباطل ويرد جميع ما أخذ منهم ، وأقام عنده في القاعة أياماً ، واهتزت بنا الديار المصرية إلى أن طلعنا إلى الحج ورجعنا إل مدينة تونس ، وسكن الشيخ بداخل باب الحديد بيطحاء الشربة ، داراً تفتح للجوف ، وأقام بها زمناً طويلاً إلى أن قدم الشيخ الولي : أبو العباس المرسى ، الذي ورث مقامه — وسيأتي إن شاء الله ذكره — بعد ما جاء من بلاد الأندلس صغيراً ، وأخوه أبو عبد الله محمد ، وكان معلماً للعبان بالإسكندرية .

فلما اجتمع بالشيخ قال : ما ردني لتونس إلا هذا الشاب ، فزباه وسلكه وسافر معه إلى الشرق .

قال رضى الله عنه : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي : يا علي

(١) ما جاز أن يكون معجزة لني جاز أن يكون كرامة لولي ، والفرق أن المعجزة مقرونة بالتحدي بخلاف الكرامة ، والمعجزة لتأييد وحى ، والكرامة لتأييد نبى مرسل .

انتقل إلى الديار المصرية ترى بها أربعين صديقا ، وكان في زمن الصيف ، وشدة
الحر ، قلت : يا سيدي يا رسول الله الحوشديد .

فقال لي : إن النعام يظلكم .

فقلت : أخاف المطش .

فقال : إن السماء تمطركم في كل يوم أمامكم .

قال : فوعظني بسبعين كرامة في طريق . قال : فأمر أصحابه بالحركة ،
وسافر متوجها إلى الديار المصرية ، وكان من صحبه في سفره الشيخ الولي الصالح
أبو علي بن السباط ، فعمما الله ببركتها في الدنيا والآخرة .

حدثني والدي رحمه الله قال : حدثني الشيخ الصالح المقرئ أبو علي الداسغ
قال : توجهت صحبتهما في خدمة الشيخ أبي علي ، فلما وصلنا إلى مدينة
طرابلس ، قال الشيخ : توجه على الطريق الوسطى ، واختار الشيخ أبو علي
طريق الساحل .

قال : فرأى الشيخ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا أبا علي ، أنت
ولي الله ، وأبو الحسن ولي الله ، ولين يحمل الله قولي على ولي سبيلا ، أمش على
طريقك التي اخترت ، وهو على طريقه التي اختار .

قال : فافترقا إلى أن اجتمعنا بمقربة الإسكندرية ، قال : فلما صلينا الصبح ،
توجه الشيخ أبو علي إلى خباء الشيخ أبي الحسن ، ونحن صحبتيه ، فدخل عليه ،
وجلس بين يديه ، وتآدب معه أدبا ما اعفاده منه ، وتحدث معه بكلام
ما فهمنا منه كلمة .

فلما أراد الانصراف قال له : يا سيدي ، هات يدك أقبلها ، فقبض يده
وانصرف وهو يبكي .

قال : فتمعننا من حاله معه . فلما كان في أثناء الطريق التفت لأصحابه وقال :
وأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لي : يا يونس ، كان الشيخ
أبو الحجاج القصورى بالديار المصرية ، وكان قطب الزمان ، فسات البارحة ،
وأخلفه الله بأبي الحسن الشاذلى ، قال : فأنقته حتى بايعته بيعة القطاية .

قال : فلما وصلنا الإسكندرية وخرج الناس يلقون الركب ، رأيت الشيخ
أما على يضرب ييسده على مقدم الرجل ، ويقول وهو يهكي : يا أهل الإقليم ،
لو علمتم من قدم عليكم في هذا الركب لهابت أخفاف بمره ، قدمت والله
عليكم البركة .

وقال أبو عبد الله الناسخ أيضاً : كنت أمشى خلف أبي الحسن وهو
راكب في محارة ، فرأيت رجلين يمشيان تحت ظل المحارة ، فقال أحدهما للآخر :
يا فلان ، رأيت فلانا بسمك منك العشرة ، وأنت تحسن إليه . فقال له : هذا
من بلدى ، وأنا أقول كما قال الشاعر :

رأى المجنون في البيداء كلباً مجزول من الإحسان ذيلاً
فلامسه على ما كان منه وقالوا : لم أنلت الكلب نولاً
فقال : دعوا للام فإن عيسى رآته مرة حي ليلى

قال : فأخرج الشيخ رأسه من المحارة وقال له : أعد عني ما قلت يا بنى .
فأعاد مقالته . فتعحرك الشيخ في محارته وقال :

... دعوا للام فإن عيسى رآته مرة حي ليلى

وجعل يكررها مراراً ، ثم رمى له غفارة زبيبة اللون ، وقال له : خذ هذه
والبسها ، فأنبت أولى بها منى ، جزاك الله يا بنى عن حسن عهدك خيراً .

قال : فأشرت إليه وقلت له : ناوليها ، فأخذتها وقبلتها ، ثم عدت إلى

دراهم كثيرة وناولته إياها ، فقال لى : والله لو أعطيتنى مثلها ذهباً ما بعتها به .
هذه والله ذخيرة خصلت عندى ، لأجطينها فى كفى والله .

والله ما أنا أمشى تحت ظل هذه الحارة لعل الله يرحمنى بما أسمع من
أذكاره ، وأعلم أن الرحمة تنصب عليه ، فلعلى أنال منها شيئاً .
فعلت أنه أعلم به منى .

وقال رضى الله عنه : لما قدمت إلى الديار المصرية ، قيل لى : يا على ، ذهبت
أمام الحن ، وأقبلت أمام المن ، عُسراً يَسُراً ، اقتداءً بمحمد صلى الله عليه وسلم .

وكان مسكنه رضى الله عنه فى الإسكندرية ببرج من أبراج السور ، حبسه
السلطان عليه وعلى رزيقه ، دخلته عام خمس عشرة وسبعمائة ، فى أسفله ما جل
كبير ومرباط للبهائم ، وفى الوسط منه مساكن للفقراء ، وجامع كبير ، وفى
أعلىه أعلية لسكناء ولعياله .

وتزوج هناك ، وولده أولاد ، منهم : الشيخ شهاب الدين أحمد ،
وأبو الحسن على ، وأبو عبد الله محمد شرف الدين . أدركته بدمتمور قاطناً بها
ومن البنات : زينب ، ولها أولاد ، رأيت بعضهم . وعريفة انظر أدركتها
بالإسكندرية ، وما عرفت غير هؤلاء . وسأذكر ما عرفت عنهم من البركات
إن شاء الله بعد هذا .

وأقام أعواماً يجمع عاماً ويقبى عاماً آخر .

حدثنى من أتق به قال : كان فى العام الذى يجمع فيه حركة التتر على أهل
الديار المصرية ، فاشتغل السلطان بالحركة عليهم ، فلم يجهز الجيش لاركب .
فأخرج الشيخ خبائه إلى البركة ، وأتبعه ناس . قال : فاجتمع الناس بالفتية

القاضي المنقح عز الدين بن عبد السلام ، وسأله عن السفر فقال : لا يجوز السفر على النور وعدم الجيش .

فأخبر الناس بذلك الشيخ ، فقال : اجمعوني به ، قال : فاجتمع به في الجامع يوم الجمعة ، واجتمع عليهم ما خاف كثير ، فقال له : يا فقيه ، أرايت لو أن رجلاً جعلت له الدنيا كلها خطوة واحدة ، هل يباح له السفر في الخواف أم لا ؟ فقال القاضي : من كان بهذه الحال فهو خارج عن الفتوى وغيرها .

فقال له الشيخ : أنا بالذي لا إله إلا هو ممن جعلت له الدنيا كلها خطوة واحدة إذا رأيت ما يخيف الناس أنخطي بهم حيث آمن ، ولا بد لي ولك من اللقاه بين يدي الله عز وجل حتى يسألني عن حقيقة ما قلت لك .

وسافر رضى الله عنه ، فظهرت له في الطريق كرامات كثيرة منها :

أن القصص كانوا يأتون الركب بالليل ، فيجدون عليه سوراً مضيماً كأنه مدينة ، فإذا أصبحوا يأتون إليه ويخبرونه ، ويقولون إلى الله تعالى ، ويسافرون صعبة الشيخ إلى الحج .

فلما قضى الشيخ الحج رجع ، ودخل أول الناس إلى القاهرة ، فأخبروا بما رأوا من مواهب الله تعالى له ، قال : فخرج الفقيه عز الدين بن عبد السلام رحمه الله ، ليأتمه بالبركة ، وهو موضع خارج القاهرة على شقة أميال .

فلما دخل عليه قال له : يا فقيه ، والله لولا تأدبي مع جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأخذت الركب يوم عرفة ، وتخطيت به إلى عرفات . فقال له للفتى : أمت بالله . ثم قال له الشيخ : انظر إلى حقيقة ذلك ؟ فنظر كل من حضر إلى السكبة ، وصاح الناس ، وحط الشيخ رأسه بين يديه وقال له : أنت شيخى من هذه الساعة . فقال الشيخ : بل أنت أخى إن شاء الله تعالى :

وحدثني الشيخ الصالح أبو العزائم ماضي رضى الله عنه قال : تحدث الشيخ رضى الله عنه في حقيقة الشيخ مع أصحابه فقال : أن تكون يده عليهم يحفظهم حينما كانوا . قال : فاعترضت ذلك في نفسي وقلت : لا يكون ذلك إلا لله عز وجل .

فلما أصبحت أخذتني ضيقة شديدة في نفسي ، فخرجت لخارج الإسكندرية ، وجلست على ساحل البحر اليوم كله ، فلما صليت العصر زينت ، يعني : أدخلت رأسي في طوق ، وإذا بشيء يحركني فظننت أنه بعض الفقراء يمازحني .

قال : فأخرجت رأسي من طوق ، وإذا بها امرأة حسناء ، عليها لباس حسن ، وحلى ، فقلت لها : ما تريد مني ؟ قالت : أنت ، فقلت : أعوذ بالله . فقالت : والله ما لي عنك راح ، فداقها عن نفسي ، فأخذتني في حضنها ، ولعبت بي ، كما يلعب الطفل بالمصفور : وما ملكت من نفسي شيئاً ، ورمتني بين فخذيهما .

فحنت نفسي إليها ، وإذا بيد أخذتني من أطواق ، وإذا أنا بالشيخ يقول لي : يا ماضي ، ما هذا الذي تقع فيه ؟ ورماني عنها ، فظننت أن الشيخ اجتاز بذلك للسكان ، فرفعت رأسي ، فما وجدت الشيخ ولا المرأة ، فجمعت من ذلك ، وعلمت أني أصبت باعتراضى عليه^(١) .

فاستغفرت الله ، وصليت للغرب ، وأتيت إلى الباب الأخضر ، وقد غفقت أبواب البلد كلها . فلما دنوت منه انفتح ودخلت للدينة ثم أغلق . وهذا الباب لا يفتح إلا بعد صلاة الجمعة ، يخرج منه الأمير والناس إلى الساحل ثم يفتق .

(١) قد يقع هذا في حاله التال لتأديب المريد أو لإقامة حجة ولاية للشيخ على من شك فيها .

قال : وأقيمت القلمة ، ودخلت بيتي مخفياً من الفقراء ، فلما صلى الشيخ العشاء الأخيرة صرف الناس ، وكان يعمل في كل ليلة ميعاداً ، يأتي إليه الناس من البلدان يستمعون كلامه .

قال : ثم دخل الخلوة وقال : أين ماضى ؟ قالوا : ما رأيناك اليوم . قال : اطلبوه في بيعه ، فأتوا إلى قنلت لهم : إنا مريض ، وكان كذلك ، فإني ما أتيت إلا بحال عظيم ، فقال : احموه بيبكم .

قال : غموني إليه وأدخلوني عليه ، وأمرهم بالانصراف ، فجلست بين يديه وأنا أبكي ، فقال لى : يا ماضى ، لم قلت بالأمس كذا وكذا ، فاعترضت أفنت على ، أين كانت يدي اليوم مفك ما أردت أن تقع في المصيبة من لم يمكن من ذلك فليس بشيخ .

وحدثنا أيضاً قال : كنا بدممهور الوحش ، فلما صلينا العصر أعطاني كعابا للشيخ التقي فخر الدين الفاتري بالإسكندرية ، برسم حاجة عرضت له . فقلت له : يا سيدى ، إذا كان غداً إن شاء الله أسافر بكرة - وهذا الموضع مسير يوم للقارس - فقال لى : اليلة تسافر وتعود إلى بالجواب إن شاء الله تعالى .

قال : فتقلدت نمشة كانت عندى ، وخرجت متوجها ، فوصات إلى الإسكندرية في أقرب وقت ، وأعطيت الكتاب للشيخ ، ورجعت إليه قبل اصفراء الشمس - وكنت مررت بمجال الحاجز في طريقى ، فسمع بها دوا ، وحس للشئ ، فأظن أنهم اللصوص يعترضون في طرف النهار ، فأرسل النمشة وأبقى منتظرا . قال : فإرايت أحداً .

قال : فلما جلست بين يديه تبسم وقال لى : يا ماضى ، تجبذ نمشتك تلقى بها اللصوص ؟ الدوى الذى كنت تسمع دوى الملائكة ، والله ما خرجت من بين

يئدي حتى تسكن بك ثمانون ألفاً من الملائكة يحفظونك من أمر الله حتى
وصلت إلى الإسكندرية ، وعدت إلينا .

وجدنا أيضاً الشيخ أبو العزائم ماضى للذكور رحمته الله قال : بعثني
الشيخ من الإسكندرية إلى دمياط في بعض حوائجه ، وكان عندنا رجل من
أهلها ، فأراد السفر معي ، فاستأذن الشيخ فأذن له في السفر .

فلما توجهنا لباب السدرة — باب من أبواب الإسكندرية — أخرج الرجل
دراهم ليشترى بها خبزاً وإداما .

فقلت له : ما تحتاج إلى شيء . فقال لي : نجد دكان فلان في الصحراء ،
وأشار إلى دكان حلوانى بالإسكندرية . فقلت له : حسن إن شاء الله .

وكنت معها سافرت لا أحمل معي زاداً ، فإذا أصابني جوع أسمع كلامه
من خلق يقول : يا ماضى ، أخرج عن يمينك تجد ما تأكل ، وكذا إذا عطشت
فأجد طعاماً طيباً وماء عذبا .

قال : فخرجنا عن الإسكندرية ومشينا ، وجدنا السير حتى تعلو النهار بنا
فقال لي : يا ماضى ، أطمعني فإني قد جعت . وإذا بكلام الشيخ على العسادة
يقول : يا ماضى ، جاع ضيفك ، أخرج عن يمينك تجد ما تطعمه .

قال : فخرجت عن يميني فوجدنا محفلة مملوءة بكثافة سكرية ، مغلطة بالمسك
وماء الورد ، فأكلنا حتى تملينا ، فبسكى الرجل وتمجب عما رأى .

فقلت له : أيهما أطيب ، هذا الطعام ، أو ما أشرت إليه في دكان الحلواني؟
فقال : والله ما رأيت مثل هذا ، وما صنع مثله قط في قصر ملك من الملوك ،
وأراد أن يرفع بقيته فدمعه ، وتركها على حالها ، ومشينا يسيراً ، فمطشنا .

وإذا بكلام الشيخ يقول : يا ماضى ، أخرج من يمينك تيمد الماء . فوجدنا عين ماء مذب في الرمل ، فشرينا ، واضطجعنا ساعة ، وقمنا فم وجدنا قطرة ماء .

فقال الرجل : أين الماء الذى كان هذا ؟ فقلت : لا علم لى به . فقال : والله لقدمكن لهذا الشيخ تمكيما عظيما . والله لا رجعت إلى أهلى حق أنا ما نال هذا الشيخ أو أموت فى الله تعالى .

فخلى فروته عندى ، ومشى فى البرية يقول : الله . والله .

قال : فلما قضيت سفرى ، ورجعت إليه قالى : يا ماضى ودّرت (أهلكت) ضيفك . فقلت له : أنت الذى ودّرت . الذى أحطمت الكنافة السكرية فى البرية ، وأستقيته الماء العذب فى الرمل . فقال لى : سر فى الداهيين إلى الله تعالى .

وجدنا الشيخ ماضى رحمه الله أيضاً قال : حجبت سعة من السفين عن إذنه ، فلما قضيت مناسك الحج وأتيت أطوف الوداع ، قام أهل مكة على من يقى فى الحرم من الحجاج فهبوم ، وكانت عندى أمانات للناس . فدخلت فى الحِجْر ووقفت تحت الليزاب ، وقلت : إن خرجت الدبت ، وإن جلست جلست بأموال الناس .

فمحوت فى أمرى ، فناديت بالشيخ ، وإذا به واقف عند باب الندوة ، يشير لى ، فبادرت إليه ، فولى خارجا عنى ، فأتيته ولم أقدر على الوصول إليه حق دخل الركب ، ودخلت إلى الركاب ، فطلبته فلم أجده .

فلما دخلت الدار المصرية وأتيته وسلمت عليه ، سألتى من حالى^(١) وقال لى : يا ماضى ، لما اشتهد الحال عليك ، وناديت بنا ، وأتينا إليك ، وخلصناك مما كنت فيه .

(١) له طيس : عن حالى .

وحدثني سيدي ماضي أيضاً قال : حبيبت معه سنة من السنين ، فلما وصلنا المدينة المسكومة وقف على باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطلب الإذن بالدخول عليه ، وقال هذا موضع قال الله فيه : يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا ... حتى أذن له في الدخول ، ووقف قبله وجه النبي صلى الله عليه وسلم ، وكشف عن رأسه وجعل يقول صلوات الله وملائكته ورسوله وأنبيائه وجميع خلقه من أهل سماواته وأرضه عليك يا سيدي يا رسول الله وعلى أصحابه أجمعين . وجعل يكررها وهو في حال عظيم إلى أن سكن عنه الحال وجلس في جهة من الحرم وقال : لما كنت أسلم عليه كشف لي عنه ، فكنت أسلم عليه فيرد علي السلام بسبابته .

قال : ودخل علينا في تلك الساعة أبو محمد عبيد العزيز الزيقوني ، وكان نائلاً على طعام الفقراء فقال له : يا سيدي مات لنا بهر ، وبقي حمله على الأرض . فقال : والله يا سيدي ما عندي في هذه الساعة لا صفراء ولا بيضاء ، وأسرهم بالجلوس ، فجلس معنا وسخن حلقه وأثرين عليه ، فأدخل رأسه في طوقه ساعة ثم أخرج رأسه وقال : يا محمد ، أدن مني فدنا منه فقال : أدخل يدك وخذ ما في جيبي ، فأدخلها وأخرجها مملوءة ذهباً ، وقال : انظروا إليه ما ضربه ضارب ، ولا صاغه صائغ وإنما قيل لي : يا علي ، خذ ما في جيبيك . ثم قال له : اشتر بطلا وما تحتاج إليه من أزودة الفقراء .

وكان الشيخ أبو محمد عبيد العزيز من كبار أصحابه . دعا الشيخ يوماً على عرفات ، واختصه بالآبين على دعائه وحده ، فلما فرغ من دعائه قال : والله لقد دعاك بطل وخليقة . فقال : يا سيدي من البطل ومن الخليقة . فقال : أنت البطل وأنا الخليقة .

وحدثني الشيخ الفقيه الملقب جمال الدين يوسف العراقي بمدينة القاهرة

خمسـة عشر وسبعـمائة ، قال سمعت سيدهى الشيخ الولى العارف بالله تعالى أبا العباس المرسى نفع الله بركاته يقول : صليت خلف سيدهى الشيخ الأستاذ أبى الحسن صلاة الدشاء ، فقرأ سورة الشورى ، فلما بلغ إلى قوله تعالى : يهب لمن يشاء إنافاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراً وإناثاً ، ويجعل من يشاء عقيماً فوق فى نفسى من ذلك شىء من طريق المعنى .

فلما سلم الشيخ من الصلاة (قال لى : يا أبا العباس : يهب لمن يشاء إنافاً والعبادات والمعاملات)^(١) . ويهب لمن يشاء الذكور : الأحـوال والعـلوم والمقامات . أو يزوجهم ذكراً وإناثاً يجمع ذلك فيمن يشاء من عبادى . ويجعل من يشاء عقيماً بلا علم ولا عمل . فتعجبت من ذلك ، فقال : والله ما دجس فى خاطر أحد شىء فى تلك الصلاة إلا وقد أطلمنى الله عليه

وحدثنى الشيخ الصالح أبو الزائم ماضى قال : كان لشيخ ولد اسمه على . فلقبته بالإسكندرية سكراناً بالغمر ، فأثبت به إلى الدار وضربته ضرباً وجيعاً حتى تعلق بأمه ، فحذبتـه حتى خرج بخيوط رأسها فى يده ، فصاحت وبكت ، فدخل عليها الشيخ فقال لها : ما يبكيك ؟ فأخبرتـه بالقصة ، ولم تخبره بسكره ، فتغير الشيخ لذلك ، فلما دخل الزارية قال لى : يا ماضى ، لم فعلت كذا وكذا ؟ قلت : لأنه وجدته سكران بالغمر ، والله لو تعلق بك لجلدته الحد قال لى : هكذا هو . وتغير وجهه ودخل الخلوة ساحة واستدعانى ، فدخلت عليه فوجدته فرحاً متبسراً فقال لى : دخلت إلى هذا المسكان ، وهمت أن أدعو على ولدى فقيل لى : يا على ، مالك ولوايى دعه حتى ينفذ ما قدرته عليه . فلم تمض إلا مدة يسيرة حتى خرج فى سياحة ، وظهر بأرض المغرب ، وظهرت ولايته .

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من طت و طس .

وحدثني من أثنى به قال : لما بلغ ولد أبي العباس أحمد المدعو بشهاب الدين الحلم قالت له أمه ياسيدي إن ولدي أحمد يبلغ مبلغ الرجال ، فقال لها : اثنى به حتى أوصيه وأعلمه بما يجب عليه من حقوق الله قال : فاستدعته .

قال : فاستدعته وجلس بين يديه ، فجعل يعطّر لآتيه ساعة ويقفّس فيه ثم يلقي عنه قال له : قم يا بني أرشدك الله ، ودعاه بدعاء كثير . فلما انصرف قالت له أمه : ياسيدي ماسمعوك أوصيته ولاخاطبته بكلمة . فقال لها : لما جلس بين يدي أطلعني الله على عواقب أمره . فما وجدت في عمله شيئاً أوصيته عليه ، فاستجيت من الله أن أكله .

وحدثني حفيده بالقاهرة بالجامع الأزهر : شككت في اسمه وهو ابن ابنة الشيخ رضى الله عنه قال : لما تزايدت والدتي للشيخ دخل والذي رحمه الله وهو على الدمنهورى على الشيخ ليهدئه بها فقال له الشيخ : إنها زوجتك ، وكان والذي إذ ذاك شيخاً كبيراً فقال في نفسه : كيف يكون ذلك وأنا في هذه السن قال : نعم . تزايدي فلان وفلان وعد عليه الأولاد . وقال : فإن الله أطلعني على ذلك . قال : فكان زوجها ، وتزايدي ما أخبره به . ثم مات رحمه الله في الإسكندرية .

قال المؤلف : واجتمعت بالإسكندرية بابتنته الصالحة الفاضلة عريفة الخير ، وتسكنى بالوجهية وهي إذ ذاك مكثوفة البصر ، وسألتهما عن اسمها لم سميت باسمين فقالت : لما ولدت كان والدي بالقاهرة ، فسكتب لوالدتي وهو يقول لها : كنت متوجها في خلوتي فعملت أن تزايدي لى ابنة ، وأمرت أن أسميها عريفة الخير ، فلما وصل إلى الإسكندرية قال لوالدتي : أين الابنة ؟ فرفعتني أى لآتيه ، فجعلني في حجرة ، وتقل في في وقال : مرحباً بالوجهية : أى التي

حرف بها في حال توجهه . وكانت هذه المرأة من أولياء الله تعالى ، ممن يحود عليها القرآن بالسبح من خلف ستر وكانت سيدة فاضلة .

حدثني الشيخ الصالح أبو محمد ابن الشيخ الولي أبي عبد الله محمد بن سلطان قال : حدثني من أثق به في الإسكندرية قال : حضرت دفن الحرة الناضلة هريفة الخيزر بالإسكندرية . فلما حطت في قبرها نزل بعض قوابتها ليلعدها فطلع من القبر وهو مبسم . قال : لما كشفت عن وجهها لألحدها انفتحت إلى ثم ضحك ، فقلت لها : ما هذا ؟ قالت : بما رأيت من أفضال الله تعالى علي ، وأعرفك أنك ستلخص بي بعد ثلاثة أيام . وتوفي رحمه الله بعد ثلاثة أيام . وقال : لما توفيت إذا مناد ينادي بالإسكندرية هلموا إلى الصلاة على الحرة الصالحة عريفة الخيزر التي خرجت من الدنيا ثلاث خراجات . من بطن أمها ، وإلى دار معلها ، وإلى قبرها .

وكان ممن صحبه بقونس الشيخ العارف أبو علي سيدي سالم التليسي ، وكان مسكنه بالمصريين . سمى سيدي الشيخ ماضى رحمه الله يقول : كان لسيدي سالم ولد اسمه علي ، فوقعت حوشة في المصريين بين أهل البلد وجماعة من البرابرة مسكان الخليام ، وكانوا واطفين عليهم ، فأثنى أبو الحسن على ابن الشيخ سالم وبهده عكاز يحجز بينهم ، فجاء العكاز في عين رجل من البرابرة ، فطار عينه ، فاجتمعوا عليه وأرادوا قتله ، ففرج أبو علي سيدي سالم عنهم وقال لهم : إذا كان صبيحة غدا إن شاء الله يأتي أخى أبو الحسن يحكم فيما بينكم وبينه . فلما أصبح اليوم الثاني وإذا بالشيخ قادم عليهم ، ففرشوا له خلافة على باب الغرفة التي يسكنها سيدي سالم وخرج إليه الشيخ وقال له : إنني أتيت بسبب علي ولدك .

قال : فاجتمع الجميع بين يديه فقال لهم سيدي أبو الحسن : اختاروا إما أن

تأخذوا أخى سالمًا فى عين صاحبكم ، وإما أن تأخذوا خمسمائة دينار . فقالوا :
ياخذ الخمسمائة دينار على ألا ننصرف إلا لقبضها . فقال لهم الشيخ : كأنكم
تسجرون الفقراء من المال ، وأدخل يده تحت الخلالة وقد والله فرشت على
الأرض وأنا أنظر إليها فجعل يخرج لهم الدرهم وهم يمدون حتى استوفوا
وانصرفوا . ثم التفت إلى سيدهى سالم وقال له : يا أخى . باعوك بالقراريط .
لو أخذوك لأخذوا على الدنيا والآخرة فوالله ما يأتى آخر هذا الشهر حتى نذهب
عنهم ويحتاجون إلى الفقراء . قال : فارتحلوا عن المصرين فذهبوا ورجعوا إليها
فقراء محتاجين يطلبون ما يستقرون به من الزاوية .

قال : ولما توفى هذا الشيخ المبارك بالمصريه سيدهى سالم خرجوا صعبه الشيخ
رضى الله عنه لحضور جنازته . قال : فلما دخلنا البيت الذى هو به قال الشيخ :
سلام عليكم . فقال له من وراء حجاب : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ،
وكان بين أيديها صبي صغير حفيد الشيخ فخرج يقول : جدى والله حى رد السلام
على سيدهى الشيخ أبى الحسن .

قال : ففلسه الشيخ بيده وكففه ، ثم قبله بين عينيه وقال : يا أخى بالله عليك
لا تنسى العهد الذى كان بينى وبينك . قال : فرأيت الله فتح عينيه وقال :
نعم يا أخى . فلما صلينا عليه ودفنناه قلت للشيخ أبى الحسن يا سيدهى ما هذا
العهد . قال : كنا تماهدنا الله أن من مات منا قبل صاحبه كان له وسيلة عند
الله تعالى ودفن بالمصريه رحمه الله تعالى .

وحدثنى من أثنى به قال : سمعت الشيخ الصالح أبى مروان عبد الملك المعروف
بالقاسط ، قال لما توجهت للديار المصريه ودخلت الإسكندرية ، قضدت سيدهى
الشيخ فوجدته جالساً رحمه جماعة من الناس ، وكان يفاظهم فى علم فسليت
عليه وجلست بين يديه نقل : ما اسمك . ومن أين جئت وأى شئ تستحل .

فأخبرته باسمي وبليدي وأن شفلي كتاب الله عز وجل ، فقال لي : اقرأ لي آية من كتاب الله

قال : فعمدت وأطلق الله على لساني : « فكل على الله إنك على الحق للبين ... إلى قوله تعالى ... فوق القول عليهم بما ظنوا فهم لا ينطقون » . فقهل وجه الشيخ ثم التفت إلى الحاضرين وقال : ما بعد بيان الله سبحانه بيان قال : فعرفت أنهم جماعة من المنزلة ، وأن الشيخ كان يظاظرهم في مذهبهم فأجرى الله على لساني من كتاب الله ما اعتقدوا به . إلى الحق فأقلموا عن مذهبهم ، وتابوا بين يديه ورجعوا إلى الحق والسنة .

فقال لي رضى الله عنه : اطلب مني ما تحب . فقلت له ثلاثة أشياء : يكسوني كسوة ، وتداني على من أجود عليه ، وتدعوني بخير . فأعطاني كسوة جيدة ، ودلني على أستاذ جيد يقال له ابن الدهان وقال لي : عطف الله عليك قلوب الأخيار . وبارك لك فيها أعطاك ، وختم لك بالسعادة . فوالله لقد رأيت الدهوتين . وأرجو الله في الثالثة .

ومن وصاياه : هليك بطاعة الله والاعتصام بالله والإخلاص في دين الله . ألم نسمع إلى قوله تعالى : « إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين » ، ولم يقل من المؤمنين . فتأمل هذا القول إن كنت فقيهاً والسلام .

وتعلم أبا محمد عبد الله بن سلامة أنا كعبنا لأبي عبد الله بن أبي الحسن كتاباً في حق علي من خصيب على ما أشار إليه ، وهو صحيحة هذا الكتاب .

وكعب لبعض الفضلاء من رسالة : وأبتم أيديكم الله أهل بيعة السامة عن إقامة حججهم والخروج مما لا يلزمهم واللفظن لما ينفعهم في الوصول إلى حقوقهم ودفع ظلم من متعهم أو ترتب عليهم في أخذها .

والمستول من إحسانكم أيدكم الله معاملة هذا الصهر المذكور في هذا العلم بما لا يجب عليكم ، ولا يتمتع في حقكم بإمعان النظر وإرشاده إليه ، فأنا وإياكم إن شاء الله من سؤال ذلك بل العلماء الحكم اتساع النظر وإجراء الأحكام على حسب الوقائع وأسبابها وما يتعلق بها ويترتب عليها من المصالح والمقاسد ونظركم وعنايتكم كافية مغنية عن مزيد تأكيد في حقه .

وكتب إلى سيدى على بن مخلوف بقونس

وهو مدفون بها بالراج رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم . والحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين .

هذا من على بن عبد الله عرف بالشافلى إلى ولده الطيب المبارك الصفى الزكى المبرأ من سبل المهالك : على ابن مخلوف الصقى سلام عليك ورحمة الله وبركاته .

علم أيدك الله بنور البصيرة وصفاء التحيزه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له من أولياء الله قال : الذين إذا رؤوا ذكر الله . فافهم معنى قوله إذا رؤوا . فاعدل من رؤية الأجسام إلى رؤية المعانى والأوسام عن رؤية البصر العامة التى الشركه فيها مع الأنعام التى لا بصيرة لها واعتد بنور الله المسقودع فى القلوب الذى به نظروا وعبروا ووقفوا وتحققوا .

وأولئك فيهم قال الله تعالى : وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون . هذا صريح فى أطلب الخلق وأبصرهم به وبنوره ، وبطيهه طاب كل شئ .

وإنه لأمر عجيب فى إيشاره الطيب باتفاق من العلماء أن راعتهه أطلب من كل طيب . فافهم وأدخل فى ديوان معرفته صلى الله عليه وسلم . ومالك لا تقول كما قال : والله ما أكل إلانا ولا شرب إلانا ولا نكح إلانا ،

نم كذلك لا طيب إلا لنا . فهو إذن أصل كل طيب وبهاء كل معدن وهو معدن المعادن ، فاقبس من نوره ، واعترف من حبه واشرب من معرفته وتزين بطاعة فتكن الأشياء طوع يدك .

اللهم أنه العلم الأدنى والعمل الصالح والرزق المفيد واجعل الأشياء طوع يده وزهده فيها مع اللئالك لها واجعله من آل إبراهيم ، نقد آتيتها آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً . واجعله اللهم من آل محمد .

فانظر إلى هذا الرشد والحوه عن نفسك واكتمه من أبقاء جنسك إلا من يفاوضك في أمرك . فأين تجده بعد نصيب أنوار النبوة ومعدن الصديقية إلا من خص باسمه الأعظم المقرون بكن ، بل من أشرف على القضاء الأول والقدر الجامع للأقدار .

وبه وقع الرضا الذي لا ضلله ، وعندا تفرعت الأقدار والأفضية إلى محل التقسيم والأضداد ، حيث نادى الشرع بما يحب ويهضر . فن جهل هذا أوتوهم فاضرب مثلاً بآدم صلى الله عليه وسلم وهو الموجود الأول الإنساني الجامع للبشر ، وهل تجد فيه شيئاً يهضر ؟ كلا وهو الجامع لكل مؤمن وكافر ومطيع وعاص وموحد ومشرك ومخلص ومذائق .

فلما تفرقت منه المتفرقات نادى الشرع بالحلب واليهض والرضا والسخط ، والأصل ليس إلا مرضى محبوب وهو آدم ، والقدرة انطارجة منه كما فصلت لك . وكذلك القضاء الأول مع الأقدار المتفرقة . وعكف القهوجون والرسولون والأنطاب بأسرارهم عليه فلا يشهدون إلا الله وقضاؤه ، وبينوا ونصلوا وشرعوا وشرعوا المن دونهم حتى يأتي أمر الله لمن شاء من صديق وصفي مصطف لكشف هذا العلم مع علم المبدأ وعلم الروح وعلم الحجة وعلم البرزخ قبل مفتتح الوجود .

ومنهم انفصات البرازخ في كل شيء بين الأضداد والأمثال والأنداد .
ومن ظن أن هذا العلم أعنى علم الروح وغيره مما ذكر وما يذكر لم يحظ به
الخاصة العليا أهل البدء الأول الأعلام قد وقع في عظامتين ، جهل أولياء الله
إذ وصفهم بالقصور عن ذلك ، وظن بربه أنه معهم .

وكيف يجوز أن يظن على مخصوص . ربرى به التكذيب إلى القدرة
والشرع بقوله عن اليهود والعرب كما تضمن الخلاف ، وسألتك عن الروح
قل الروح من أمر ربي . فما الدليل لك منها على جهل الصديقين وأهل
خاصة الله العليا .

والكشف من هذا أن السؤال يقع بأربعة أحرف بهل وكيف ولم ومن ،
« فهل » يقع السؤال عن الشيء أموجود هو أو معدوم ، « وكيف » يقع
السؤال عن العلة . وليس في الآية شيء من هذا .

إن قلت : فيها معنى هل . ومعنى هل يقتضى هل الروح موجود أو معدوم
وهل عرف وجوده من قبل ولولا ذلك لما قل وسألتك عن الروح . فثبت
أنهم عرفوا وجوده فانبطل هذا . وليس في هذا سؤال عن الحال كيف هو
ولا سؤال عن العلة لم . ولو كان سؤالهم عن هذين لما قفموا بقوله قل الروح
من أمر ربي . ولتقموا ونددوا إذ ذاك . شغلهم وعادتهم وإرادتهم .

فسبب إنما كان عن الشيء أين هو بدليل الجواب والبيان الظاهر الشافي :
قل الروح من أمر ربي إذ الرسول عالم بما سألوا عنه ، فأجاب عن الله بذلك
كما تقول : آدم نسألك عنه وفهم للسؤال سؤالهم فقال آدم من تراب ، فإذا
رضى الجواب وقنع وليس يرجع العدو إلا بفهم عظيم من المولى العظيم الذى
لا مرد له . فكيف يزعم الزاعم أنه لا يعرف ولا يجوز أن يعرف .

وقد أوجب الله علينا معرفته ولا مثل ، ولو مثل ، ولو ضيعناها لكنا

كفاراً أو عصاة ، فكيف بوجود مخلوق أمثاله كثيرة ، هذا عين الجهل أن يقال لا يجوز أن يعرف ، ومن له المثل والنظير وهو روح ويوجب معرفة من لا شبه له ولا نظير ، نموذجاً له من جهل الجاهلين وظلم الظالمين .

والذي أقول به أن الله أسراراً لا يسم فيها الرسم ، ولا يليق بها السكت إلا يرسم في الدواوين لعلماء البصائر وضعماء الفخائر ، ولا يليق بها السكت لوضوحها وشدة ظهورها ، فلا تعبان بهم مع كثرة حججهم ، ودل للحق ، واخضع له فيما هم فيه ، أو عرض عنهم فيما لا علم لهم به .

وقد أمر الله سبحانه نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بالافتداء بإبراهيم عليه السلام وسائر الأنبياء عليهم السلام وهو الفاضل الذي لا يصل إليه أحد ، ويقول قد شاركهم في النبوة والرسالة والهداية والأمر الطارئة على النفوس والأبدان والقلوب والأرواح ، واقتدى بهم فيما فيه الشراكة ، وما خصصناه ففهمنا وإيماناً .

كذلك أيضاً من فهم هذا السر وأن الله مع عامة المؤمنين ومع أوساطهم ومع الأعلين وفارقهم فيما هو مخصوص بمخصوصين .

فإن تسكن منهم فازدد بملك وعلمك فقرا إلى الله وتواضعاً للعباد واعطف بالرحمة على عامة المؤمنين ، وإن كانوا ظالمين إلا حيث أسرك بالنظرة عليهم مع الدعاء الصالح والدفع عنهم .

فإذا ذكرت هذا مع علمك بعدم التحقيق بما هو دونه هذا لئلا تهتز النفوس فتدعى ما ليس . واجلس مع الباب نظفر بكل ما تريد من رب الأرباب والزم أهدب الحضرة إن كنت عالمياً بها ، وإن لم تعلم فانهم من أهلك ما تسر به .
فذوا الحضرة لا أربع مواطن كلها مراکز سره وروحه ونفسه وقابه وقلبه ،

مطهرين بالإيمان والتقويد والنور ، والعلم والمعرفة ، واليقين والحياة والمهية
والأنس والمحبة ناطقا بلسان البيان ، يقول في آداب المراكز :

اللهم إني أسألك لزوم النظر إليك ، وإلقاء السمع بين يديك والتعاطي
لما يرد على منك . وإن أرجعتني إلى خلقك فأسألك في حسن الأدب بالإقبال
على من أقبل عليك ، والإعراض عن أعرض عنك . وإن أرجعتني حقوقك
فأسألك التعاد بأدب رسولك ، ولا تحجبني بعمل عنك ، وإن أرجعتني إلى
حظوظي ، فأسألك التمسك من إذناك بموافقة القول منك ، وبالإشارة الكففة
عنك ، واجعلني ممن يأخذ ذلك بذلك . وقرب الحكمة من أفواهنا وأنتق منها
أستغنا وأملأ بها قلوبنا واستعمل بها ما ظهر وما بطن وما أيدنا بروح منك
حتى لا نؤذي أنفسنا بأهوائنا ، ولا نعيم شيطاننا ، واجعلنا من حزبك فإن
حزبك هم الغالبون .

واعلم أن كتابك وصل إلينا لاح نفسه السرور لقلوبنا ، وانهجت به
صدورنا ، ولسان الجمع فيه مبسوط ، والفرق عنه مقبوض ، والجمع في صاحبك
موجود لا يليق به الفلق ، واطوئه في سرك بشاهد القويد لربك وهو على
ما هو أولى ربي وربك (١) :

وقد قلت لمن قبلك وكأنك الخطاب دونه إن أردت التي لا لوم فيها فليكن
الفرق في لسانك موجودا ، والجمع في سرك مشهودا ، ولا تغتر بفنائك عنه
ولا ببفائلك وفر إلى الله من كل زوج ولا ترجع بشيء ذي أو جل إلا بإذنه .

(١) الفرق ملاحظة الموجودات متفرقا بعضها عن بعض والجمع ملاحظاتها مادرة
من عين الوجود بلا تمييز بين أجناسها وأصنافها .

كيف تغفل عنه ، وقد رحمك بأستاذك وهو مملك قائم عليك في كل أنماك
تشمده البصيرة كأنك أنت هو فاطفك بالقائم على كل نفس .

وتفسير الإذن من الله : « وإذ علمك الكتاب والحكمة والتوراة
والإنجيل » ، ثم قال بإذني وإياذن الله مكرراً ، أى بسم الله . مكن عيسى
عليه السلام من ذلك العلم ، فاقارنه القول كان أتم . وأكثر ما يكون في
المباح وحفظ النفس والأواجب والمدبوق قد تناولهما الأمر والنهي قد خرج
عنهما فاحتاج الولي هذا إلى الإذن . فلا تخطئ الإذن بالأمر فقط ، وتسقط
جانبا من أحكام الشرع فتكون من الجاهلين .

ونعني بالإذن في حق الولي نور ينسبط على القلوب فيجمله الله فيه وعليه ،
فيبعد ذلك النور على الشيء الذي يريد فيدركه مع النور نور أو ظلمة تحت
نور ، فذلك النور يثبتك أن تأخذ إن شئت ، أو ترفض أو تقبل أو تدبر ،
أو تعطى أو تمنع أو تقوم أو تجلس أو تسافر أو تقيم .

هذا باب المباح فيه المأذون فيه بالتخيير . فإذا قارنه القول تأكد الفعل
المباح بمراد الله . فإن قارنته نية صحيحة برد عن حكم المباح وعاد مندوبا .

وإن ظهرت الظلمة تحت النور المبدع من القلب ، فلا يحلو أن يلوح عليها
لائع الغضب ، فاحذر ذلك وتجنبه ، فإنه الخطور أو يكاد .

ولا ينقطع ذلك إلا ببيعة من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ،
أو إجماع ، أو بخلاف لمقلد قلده كالك والشافعي أو غيرهما من الخلفاء الراشدين
فاحكم إذن على أصل صحيح .

فإن تسكن الظلمة شبه غيم لا يصدع معه القلب ، ولا يتفرغ به الذهن ،
فتباعد عنه ، فإنه يكاد أن يكون مكروها .

ولا تحكم بعقلك ورأيتك ، فقد ضل من ههنا خلق كثير . ولا تفت أحداً وإن استغفرك ، وأعط الورع حقه ، ولا تقف ما ليس لك به علم ، فإن تأدبت ههنا فمن قريب تأتيتك البينة من ربك ، وللشاهد يتلوها منه . فهذه نبرة كبيرة من هذا الأمر ولم يكن قصدي وضعها ، ولكن جرى اللسان والقلم بما شاء ، فنسأله المنة والغفران والمشاهدة في أعلى مقامات درجات الإحسان .

وأما ما بعثت به إلينا فقد وصل إلينا وفرحنا به ، وذكرنا أيادي الإنعام في سالف الدهر ، والماضي من الأيام ، ولولا أننا نطعم باللقاء لأتخفناك بما أتخفنا ، فنسأل الله الجمع على ما يحبه ويرضاه .

وأما ما ذكرت من أمر سفرك ، فيكون عندنا ، وإن كانت القلوب طامعة حتى جاء مركب المهدي ، وكأشها كرت وانتضت هدم بجيئكم . وأما الزيتوني فأمره قد أتم له قلبي من قبل مجيء كتابكم إلينا ، واغفمت له قلوبنا .

وقل له : ثبت حق يقض الله ما يريد . كان عليه ألوف عددها مائة ألف أو عشرة آلاف ، وهو يسمع أموراً ، ويبصر أموراً ، ويثبت الأحباب وحزنت وما يئسنا ، وكان ذلك الاختيار حكماً حسناً ، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون . وجاء الفرج من الله ، وكان ذلك لم يكن .

فنسأل الله أن يوزعنا شكر نعمائه ، وأن يخلص أخانا وحبيبنا من ذلك النذل إلى عز النقي والشهود لإنضاله وإحسانه .

وقد وصل اهتزازكم واهتزاز الحاج زكريا والحاج يحيى ، والحاج عبد الله ، والزيتوني والوارثيني ، وعبد الله الفتور ، والمرايط محمد ، وقد وصل ذلك القلام مسعود ، واجتاز على ابن مهمم على ، ورغبناه في الجلوس ، وسافر إلى الحج ، ولم يجلس عندنا شيئاً بعد الرغبة فيه .

وبعد ما وصل إلينا انكسار سفركم انكسرت قلوبنا ، وكلا لك القابض
في عزيقته ، فنكم المستنير ومنكم الصامت ومنكم للقهور بهمة .

نوالله الذي لا إله إلا هو لو كنت لما قويا بهصر بعيني لأخوضن كل
بر وبحر لأصحابي حتى نخلصهم لما يحبون من ألقنا بمشيئة الله ومعوقه ،
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

واستشار من استشار على السفر في البر أو في البحر ، وأوامن إلى الحزين ،
قالوا أن مركب المهدي قد نزل في تسعة عشر يوما ، ووجدنا أحد العاوي
والجد في السفر إلى بيت الله الحرام ومننا على النهوض قبل وصولكم ، وكنت
راجيا لكم ، ولولا أنا سيعون نسمة قد وطنوا على السفر معي في هذه السنة
وباعوا أشياء ، و[هم] نيف ومائتان ، والسبعون خاصتهم ، منهم الفقهاء والعلماء ،
ولا أعلم طائفة من الخلفاء والأمناء والنجباء والأبدال الأخفياء
والأخيار ، فوجدت معدنهم بالين ، وأرجو لقاء بعضهم .

ولولا هذه الطائفة مكثت عليكم عاما حتى تأنوا ، ولكن أواجهم حلقى ،
واقادت النفس لدعوة الله ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

ونحن إن شاء الله على السفر بجميع أهلنا في شهر تاريخه ، أو بعده بقلول .
ولسبب الإمساك في العادة زرع لذا يدرس ، قد جرت في ثلاث مواضع من غدر
كد ولا لقب ، ولا أصل ولا أخذ في فرع ، بل بفضل من الله على أيدي من
أحبنا بمراده ، ولا شهود بادية ولا احتبال بهمة .

فبارك الله في أهل الفضل ، وزاد منهم فضلا .

والنقلة إلى مصر ، ثم إلى الصعيد ، وكل يريد خدمتها ، ونحن طامعون بأخذ
نصف سنة قبل الوقوف إن شاء الله .

ولا أخاف من يزعمني إلا من تعلق بي ، وأرام لا يتركوني كما تورت لكم
وهذه إرادتي وبالله أستعين وهو حسبي ونعم الوكيل .

وأهل أيضاً قد تعلموا بيناتهم ، واتخذوا الثغر موطننا ، ولا وطن لى
ولا ملحوظ إلا مقدوره بإرادته على ساط قدرته ، ملاحظاً لذاته ، السكل
كله ، والأمر أمره ، والمر سره ، والسلطان والملك له يؤتية من يشاء بالإشراف
عليه ، وهو غنى عنه ، والله ذو فضل عظيم .

وأما ما ذكرتم من السفر في البر والبحر ، فلا تعملوا على البر بشيء
من أمرين :
الجوع ، والخوف .

وقد بلغت الزببية في برقة مهلنا شاقاً ، وقتلما يوجد الطعام ، فالحا خلون يغالون
عنه ، وقتلما يقال [أحد] منهم [شيئاً] .

ولو كان الرضاء فلا تدخلوا هذه الطريقة إلا بغنى وعناية ، عادية ، من مقدم
شيخ ، أو بهتين خاص يأخذ من الحق ، محمول بالصدق ، ناسياً لنفسه وتوكله ،
الحق دليله ويد الله على رأسه ، والقدرة تسكفله والحبة تحمله ، والشوق يلقه .

تقول له الغار : يا مؤمن ، جز فقد أطفأ نورك لهي ، وهذا قليل وجوده
في غيركم . فن وجد في نفسه خاصة ، وهو عن غيره بمنزل إذ لا مرتبة له
في الملك^(١) .

فابكوا ، ثم ابكوا بأبصار الرعوس على فقد الحاملين لأنفائنا ، والذاهبين عنا
والعالمين بأحوالنا ، كأنهم جهال ، معنا يعرفون كواحد منا . لكن الله لم يخل
من واحد أو ثلاثة أو أربعة ، هم خصوص هذه الأمة في كل زمان .

(١) من هنا يتبين سر بيان هذا المذهب في مدرسة ابن عطاء الله ، التي أظهر
مبادئها في كتابه التنوير في إسقاط التدبير .

لكن شفوتنا ودعاونا ، وفانتنا بالدين من أعمالنا أوجب مجائب « ومن
يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

وفصل سهل بن عبد الله التقوى من الحول والقوة ، وعدل ما تزين به
الباطلون من ظاهر من ظاهر التقوى مع دنس باطنهم .

وصحيح أن في عهد ظاهره المعاصي والشهوات ، ويحمل نفسه على أنواع
الطاعات ، وقد سد الأفق بالدعاوى ، وإضافة الحول والقوة إلى نفسه ، فهذا عهد
قد جاوز الحد ، وأعظم القرية والسجب .

فلا يقوم خيره بشره ، والحقون يذهبون الأشياء ، وينتظرون البواعث
والنمار ، فإذا فقدوا النمار علموا أن علمه وعمله مدخول ، فإذا فقدت البواعث
الصحيحة في الأصول فلا يعتد بأعمالهم .

قال الله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا » .

فيها مدعى التقوى . أين المخرج ؟ فإذا رأيت المخرج فبوعده الله وضمانه ،
وإن لم تجد بتمواك إلا تمحراً فمن الصادق ومن الكاذب ؟ ومن أصدق من الله
قبيلاً : « ومن يشك على الله فهو حسبه » .

ولا يصح التوكل إلا لمتق ، ولا تتم التقوى إلا بالبواعث والنمار .

فدققوا النظر في البواعث والأصول والنمار ، والله يحب الصابرين .

وأما ركوب البحر فهو أقرب وأحب إلى ، وأقل للإنفاق . فن وجد
الركوب من المهيدة ، فقد أوصينا عليكم الشيخ أبا علي الحنط ، ولا ينقل
أحدكم إلينا إلا على إيتين في غالب الظن ، لئلا يمتحن زاده مع هم النفس
ونائب القلب .

وإذا كان الأمر كله لك فانظروا وقدرنا سفرنا من السفر ، يحى أحدكم ،

ولا يجد من يأنس إليه ، فيقطع قلبه ، ويضيق عليه الوقت ، فلا هو إلى حرم الله ، ولا هو إلى بيته ^(١) .

الله إلا من وطن نفسه على الأرياح على أى وجه تقارب ، وكان من قال الله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » . أترام منع جنوبهم عن المضاجع النوم وترك قلوبهم مضطجعة وساكنة إلى غيره ، بل رفع قلوبهم عن كل شيء ولا يضاجعون بأمر أرام شيئاً . فافهم هذا المعنى .

« تتجافى جنوبهم » عن مضاجعة الأغيار ، ومنازحة الأقدار ، « يدعون ربهم خوفاً مطعماً » إليه ومنه . فبالخوف منه قطعهم إليه ، وبالشوق إليه أطعمهم فيه « وبما رزقناهم ينفقون » . ولو وسعى بسط الكلام ههنا لكسبت لك مسجلات ، لكن الحق قد قدر القلوب بقدرته ، وأنهشها بحكمته ، وأغشاها بمناجاته عن مخاطبة خلقه .

وأما أمر الحاج زكريا أنه عطل بسبب خمسة عشر ديناراً ، ولو جاء بسلف مثلها ومثلها ، فالرجو من الله أداؤها ، ولكن كتابه يقتضى أكثر من ذلك في نظر العلم والله اللوفى لأصواب .

وأما الفقير أبو يحيى فقد باقى عزمه ، وسلموا عليه وأخبروه أن ابن عمه حج وهو في التنز عند ابني عمه إبراهيم ومحمد ، وهما جليلا القدر في الفضل والعلم ، الكبير منهم متجرد للتصوف ، عدل حسيب في الدين والخير والسماحة

(١) بميزة من مميزات الشاذلي رضى الله عنه وهى مشاعر مراعاة المشاعر الإنسانية . وبعد ذلك فى الأوراد التى تركز على الدعاء والاستتراق والراحة فى الرزق .

وأما محمد فهو بالغ في علم الأصلين ، فقد أخذ من الفروع قوتاً ، وهو متزوج ، وأخوه غارب ، وإن قدم أحد منكم فدلوه على الفقيهين الجليلين : أبي عمر وأخيه جمال الدين ، وعلى الفقيه السديد أبي محمد عهد الوهاب : ابن من الله عليه وعلى صهرى شرف الدين .

ونحن نوصي بذلك :

وأما الكتاب الذي أخبرتم أنه اشترى ، فإن منكم منه فليات به أحد أو تدفعوه مع من يوثق به ليُدفع ههنا . بعض هؤلاء النقباء الفضلاء أو الجبال أو صهرى أو لسديد وأذنت لكم أن تسلكوا على أصحابي بالحضرة والهادية مشافهة وتبلغوا وكتابكم على ما استطعتم والسلام عليكم وعلى من ذكر ومن لم يذكر وعلى أهل البلد والإقليم جميعاً ورحمة الله وبركاته .

تاريخه ليلة الخامس عشر المحرم سنة ست وأربعين وسبعمائة .

الفصل الثالث

في دعواته وأذكاره وتوجيهاته

حزب الفتح

الذي فتح الله به عليه ، وبسمى حزب الأنوار أيضاً
بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . اللهم إنا نسألك يقيناً لا صده
ونسألك توحيداً لا يقابله شرك ، وطامة لا تقابلها معصية ، ونسألك محبة
لا شيء ولا على شيء ، وخوفاً لا من شيء ولا على شيء ، ونسألك تنزيهاً
لا من نقص ولا من دنس بعد التنزيه من النقائص والأدناس ، ونسألك تقديساً
ليس وراءه تقديس ، وكالاً ليس وراءه كال وعلماً ليس فوقه علم .
ونسألك الإحاطة بالأسرار وكتبتها على الأخيار .

رب إني ظلمت نفسي فأغفر لي ذنبي وهب لي ثقواك ، واجعلني من محبك
وبخشاك ، واجعل لي من كل ذنب وم غم وضيق وشهوة ورغبة ورهبة
وخطوة وفسكرة وإرادة وفعله ومن كل قضاء وأمر مخرجاً أحاط عليك جميع
المعلومات ، وعلمت قدرتك على جميع القدرات ، وجلت إرادتك^(١) أن يوافقها
أو يخالفها شيء من الكائنات .

(١) في ط: وتجلت قدرتك

حسبي الله حسبي الله حسبي الله ، وأنا برىء مما سوى الله . الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله نور عرش الله ، لا إله إلا الله نور لوح الله ، لا إله إلا الله نور قلم الله ، لا إله إلا الله نور رسول الله لا إله إلا الله نور سر ذات رسول الله ، لا إله إلا الله آدم خليله الله . لا إله إلا الله نوح نبي الله ، لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله ، لا إله إلا الله موسى كليم الله ، لا إله إلا الله عيسى روح الله ، لا إله إلا الله محمد حبيب الله ، لا إله إلا الله الأنبياء خاصة الله لا إله إلا الله الأولياء أنصار الله .

لا إله إلا الله الرب الإله الملك الحق للبين ، لا إله إلا الله الملك القاطع الرزاق القوى العزيز ذو القوة للتين ، لا إله إلا الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار ، لا إله إلا الله العلي العظيم . لا إله إلا الله العلي العظيم ، لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحانه الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم .

الحمد لله رب العالمين بسم الله والله ومن الله وإلى الله وفي الله وعلى الله عليتوكل للؤمنون . حسبي الله ، آمنت بالله رضيت بالله توكلت على الله . لا قوة إلا بالله أنوب إليك بك منك إليك ولا أنت لما تبت إليك فامع من قلبي محبة غيورك ، واحفظ جوارحي عن مخالفة أمرك^(١) .

والله لئن ترعني بعينك وتحفظني بقدرتك لأهلكن نفسي ولأهلكن أمة من خلقت ثم لا يمدد ضرر ذلك إلا على عبدك .

أعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ برضائك من سخطك ، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك بل أنت أجل من أن أثنى

(١) تشترك الماذلية مع الخوئية في مضمون هذه الأذكار . انظر حزب الإمام النوري . وورد التناراليا كوي .

عليك ، وإنما هي أعراض تدل على كرمك قد مفتحتها لنا على إسان رسولك
لعبتك بها على أقدارنا لا على قدرك ، فهل جزاء الإحسان الأول السكامل
إلا الإحسان منك .

لأمن به ومنه وإليه يعود كل شيء أسألك بحمرة الأستاذ بل بحمرة النبي
المهادى صلى الله عليه وسلم وبحمرة الاثنين والأربعة ، وبحمرة السبعين والثمانية
وبحرمة أسرارها منك إلى محمد رسولك ، وبحمرة سيده آى القرآن من كلامك
وبحرمة السبع المثاني والقرآن العظيم بين كفتك ، وبحمرة الاسم الأعظم الذى
لا يضر معه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ، وبحمرة
قل هو الله أحد . . .

اكفى كل غفلة وشهوة ومعصية مما تقدم أو تأخر ، واكفى كل طالب
يطلبنى من خلقك بالحق وبغير الحق فى الدنيا والآخرة ، فإنه لك الحجة الباقية
وأنت على كل شيء قدير .

واكفى م الرزق وخوف الخلق وأسلك بى سبيل الصدق وانصرنى بالحق
واكفنا كل عذاب من فوقنا أو من تحت أرجلنا ، أو يلبسنا شيئا أو يذيق
بعضنا بأسى بعض ، واكفنا كل م وكل هول دون الجنة ، واكفنا شر ما تعلق
به علمك مما كان وما يكون إنك على كل شيء قدير .

سبحان الملك الخلاق ، سبحان الخلاق الرزاق ، سبحان الله عما يصفون عالم
التيب والشهادة فعالى عما يشركون ، سبحان ذى العزة والجبروت ، سبحان
ذى القدرة والمكوت ، سبحان من يحيى ويميت ، سبحان الحى الذى لا يموت
سبحان الملك القادر ، سبحان العظيم القاهر وهو القاهر فوق عباده ، وهو
الحكيم الخبير ، قل حسبى الله الذى لا إله إلا هو عليه توكلت وعليه
مطغى كل المتوكلون .

أعوذ بالله من جهد البلاد ومن سوء القضاء ، ومن درك الشقاء . ومن شناعة
الأعداء ، وأعوذ بالله ربى ورب كل شيء من كل مكبر لا يؤمن بيوم الحساب .
يا من بيده ملكوت كل شيء . وهو يجبر ولا يجار عليه . انصرنى بالظوف
منك والتوكل عليك حتى لا أخاف غيرك ، ولا أعتمد شيئاً سواك يا خالق
السميع السموات ، ومن الأرض مثلهم ينزل الأمر بينهم ، أشهد أنك على
كل شيء قدير وأنت قد أحطت بكل شيء علماً .

أسألك بهذا الأمر الذى هو أصل الموجودات وإليه المبدأ والنتهى وإليه
غاية النهايات أن تسخر لنا هذا البحر بحر الدنيا وما فيه ، ومن فيه كما تسخر
البحر لموسى وتسخرت النار لإبراهيم وتسخرت الجبال والحديد لداود ، وتسخرت
الرياح والشياطين والجن لسلیمان ، وتسخر لى كل بحر هو لك ، وتسخر لى كل
جبل ، وتسخر لى كل حديد ، وتسخر لى كل ريح ، وتسخر لى كل شيطان من
الجن والإنس ، وتسخر لى نفسه ، وتسخر لى كل شيء يا من بيده ملكوت كل
شيء وأحملهم أروى باليتين وأيدنى بالنصر للبين إنك على كل شيء قدير .

الحزب الكريم والحجاب العظيم

وهو الحزب الكبير (حزب البر) (١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد ،

« إن الله اشترى من المؤمنين أموالهم وأنفسهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والفرقان ومن وفى بهذه من الله فاستبشروا ببيعتكم الذي بايتم به وذلك هو الفوز العظيم .
« للتائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والنهي عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين » .

« قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن الفواحش معضون والذين هم للأمانة حافضون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » .

« إن للسليمين والسلمات وللمؤمنين وللمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين

(١) من أشهر أحزاب الشاذلي رضي الله عنه ، وواظب عليه ناس كثيرون في جماعة فوجدوا فيه خيراً كثيراً .

قال رضي الله عنه عن هذا الحزب : « والله ما وضعت فيه حرف إلا يافن من ربي ، وأمر من فيه حرف إلا يافن سيدنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم » . وقال : « من قرأ ضربناه ما لنا وعليه ما علينا ، أي له ما لنا من الحرمة وعليه ما علينا من الرحمة »

والصادقات والصالحين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً .

« إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً ، وإذا مسه الخير منوعاً إلا للصالحين الذين هم على صلاتهم دائمون ، والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ، والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون إن عذاب ربهم غير مأمون ، والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين لأيمانهم وعهدهم راعون ، والذين بشهادتهم قائمون ، والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك في جنات مكرمون . »

اللهم إنا نسألك صعبة الخوف وعالية الشوق وغياب العلم ودوام النسيان ونسألك سر الأمور المانع من الإصرار حتى لا يكون لنا مع الذنوب والعصوب قرار ، واجتنبنا واهدنا إلى العمل بهذه الكلمات التي يسلطها لنا على لسان رسولك وابتلوت بهن إبراهيم خليلك فأتمن ، قال إني جاعلك للناس إماماً ، قال ومن ذريتي ، قال لا ينال عهدى الظالمين ، فاجعلنا من المحسنين من ذريته ومن ذرية آدم ونوح .

واسألك هنا سبيل أئمة المهتدين والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والثابتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار . الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فكف عذاب النار . ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما لظالمين من أنصار .

ربنا إنا سمعنا مبادئ ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا

ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رِسَالِكَ
وَلَا تَخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْوَعْدَ .

« رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » .

« رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى
الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ » .

« رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّأَخِيهِمْ وَلَا تَجْعَلْنَا نَارًا لِّأَخِيهِمْ وَلَا تَجْعَلْنَا نَارًا لِّأَخِيهِمْ وَلَا تَجْعَلْنَا نَارًا لِّأَخِيهِمْ
وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ » .

« رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا . وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ
الْوَهَّابُ . رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ » .

« رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ » .

« وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ
الصَّالِحِينَ فَأَنَّا بِهِمْ اللَّهُ بِمَا قَالَُوا جَنَسَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
وَذَلِكَ جَزَاءُ الْحَسَنِينَ » .

« وَقَالَ مُوسَى إِذِ اقْبَلْتُ مِنْ رَبِّي عَذَابًا لَوْلَا أَنَّكَ أَنْزَلْتَ الْقُرْآنَ عَلَيَّ لَكُنْتُ مِنَ الْخَاسِرِينَ
فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا . رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ
مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ » .

« رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا » .

« رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ » .

« رَبَّنَا اصْرَفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا
وَمَقَامًا ، رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا قَرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا » .

« ربنا وسعت كل شيء . رحمة وعلمنا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم . وقهم السيئات ومن اتقى السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك الفوز العظيم » .

« ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون » .

« ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم . ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير » .

بسم الله الرحمن الرحيم . « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » .

بسم الله الرحمن الرحيم . « قل أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق . ومن شر غاسق إذا وقب . ومن شر النفاثات في العقد . ومن شر حاسد إذا حسد » .

بسم الله الرحمن الرحيم . « قل أعوذ برب الناس . ملك الناس . إله الناس . من شر الوسواس الخناس . الذي يوسوس في صدور الناس . من الجنة والناس » .

بسم الله الرحمن الرحيم . « الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » .

« الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا يربهم يعدلون هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكبون » .

« الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله » .

« لقد جاءت رسل ربنا بالحق » .

« إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم . وهو لهم فيها سراجاً نقيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » .

« وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن والعلو وكبره تكبيراً » .

« الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً فيما لينذر بأساً شديداً من بعده ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ما كثر في أهدأ » .

« قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آله خير أما تشركون » .

« الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يابح في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور » .

« الحمد لله فاطر السموات جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة متنى وثلاث وربع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ما يفتح الله للناس من رحمة فلا عمسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم » .

« ضرب الله مثلاً عبداً ملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو يفتق منه سرّاً وجهراً هل يستترون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون » .

ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هو يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون .

« وقال الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نقبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ، وترى لللائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم الخلق وقيل الحمد لله رب العالمين » .

« فله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين وله الكبرياء فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » .

« فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظامون يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون » .

« سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » .

« وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل معكم سوءا فجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم يديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وهو بكل شىء عليهم . ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل . لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » .

« ألر ، كهيعص ، جمسق » .

« رب احكم بالحق ، وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون » .

« طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى . إلا تذكرة لمن يخشى . تنزيل آمن خلق الأرض والسموات العلا . الرحمن على العرش استوى . له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى . وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى . الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى .

اللهم إنك تعلم أنى بالجهالة معروف وأنت بالعلم موصوف ، وقد وسعت كل شيء من جهالتى بعلمك تسمع ذلك برحمتك ، واغفر لى إلمك على كل شيء ، قد ير .

يا الله ، يا مالك يا وهاب ، هب لنا من نعمك ما علمت لنا فيه رضاك ، واكسنا كسوة تقا بها من الفتن فى جميع عطاياك ، وقد سنا عن كل وصف يوجب نقصا مما استأزرت به فى علمك عن سواك .

يا الله يا عظيم يا على يا كبير ، نسألك الفقر مما سواك ، والغنى بك حق لا نشهد إلا إياك ، والطف بنا فيما لطفا علمته بصلح ابن والاك ، واكسنا جلايب العصمة فى الأنفاس ، واجعلنا عبيد الله فى جميع الحالات وعلمنا من هذك علما نصير به كاملين فى الحيا والمات .

اللهم أنت الحميد ، الرب المجيد ، الفعالم لما تريد ، تعلم فرحنا بماذا ولماذا وعلى ماذا ، وتعلم حزنا كذلك ، وقد أوجبت كون ما أردته فينا ومنا ، ولا نسألك دنع ما نريد ، ولكن نسألك للتأييد بروح من عندك فيما تريد كما أيدت أنبياءك ورسلك وخاصة الصديقين من خاتك ، إلمك على كل شيء ، قد ير .

اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك ، فهنيئا لمن عرفك فرضى بقضائك ، والويل لمن لم يعرفك ، بل الويل مم الويل لمن أقر بوجدانينك ولم يرض بأحكامك .

اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالقل حق عزوا ، وحكمت عليهم بالفقد حق وجدوا ، فسكل عز يمنم دونك فساألك بدله ذلا تصعبه لطائف رحمتك ، وكل وُجد يحجب عنك فساألك بدله فقد الصعبة أنوار محبتك ، فإنه قد ظهرت

الصاعدة على من أحببته ، وظهرت الشقاوة على من غيرك تسلكه ، فهب لنا من مواهب السعداء ، واعصمنا من موارد الأشقياء .

اللهم إنا قد عجزنا عن دفع الضر عن أنفسنا من حيث نعلم بما نعلم ، فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم بما لا نعلم ، وقد أمرتنا ونهينا ، والمدح والذم أزمقنا ، فأخو الصلاح من أصلحته ، وأخو الفساد من أضلاله ، والسعيد حقا من أغنيته عن السؤال منك ، والشقي حقا من حرمة مع كثرة السؤال لك ، فأغتنا بفضلك عن سؤالنا منك ، ولا نحرمننا من رحمتك مع كثرة سؤالنا لك إنك على كل شيء قدير .

يا شديد البطش يا جبار يا قهار يا حكيم ، نموذ بك من شر ما خلقت ، ونموذ بك من ظلمة ما أبدعت ، ونموذ بك من كيد النفوس فيما قدرت وأردت ، ونسألك عز الدنيا والآخرة كما سألكم نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، عز الدنيا بالإيمان والمعرفة ، وعز الآخرة باللقاء وللشهادة ، إنك سميع قريب مجيب .

اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولغة وطرفة بطف بها أهل السموات وأهل الأرض ، وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان ، أقدم إليك بين يدي ذلك كله « الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السموات وما في الأرض ، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسم كرميه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم » .

أقسمت عليك ببسط يديك ، وكرم وجهك ، ونور عينيك ، وكل أهيك أن تعطينا خير ما نغدت به مشيتك وتعلقت به قدرتك وأحاط به علمك ،

واكفنا شر ما هو ضد ذلك ، وأكل ديننا ، وأتم علينا نعمتك ، وهب لنا
حكمة الحكمة البالغة ، مع الحياة الطيبة والموتة الحسنة ، وتول قبض أرواحنا
بيدك وحل بيننا وبين غيرك في البرزخ وما قبله وما بعده بنور ذاتك ، وعظيم
قدرتك ، وجعل فضلك ، إنك على كل شيء قدير .

يا الله يا على يا عظيم ، يا حليم يا حكيم ، يا سميع يا قريب يا مجيب يا ودود ،
حل بيننا وبين غيرك في البرزخ وما قبله وما بعده بنور ذاتك وعظيم قدرتك
وجعل فضلك ، إنك على كل شيء قدير .

يا الله يا على يا عظيم يا حكيم يا كريم يا سميع يا قريب يا مجيب يا ودود ،
حل بيننا وبين فتنة الدنيا والنساء والغفلة والشهوة وظلم العباد وسوء الخلق ،
واقض لنا ذنوبنا ، واقض عنا تيمانا واكشف عنا سوء ، ونجنا من الغم ،
واجعل لنا منه مخرجا ، إنك على كل شيء قدير .

يا الله يا الله يا الله ، يا لطيف يا رزاق يا قوى يا عزيز ، لك مقاليد السموات
والأرض ، تسط الرزق لمن تشاء وتقدر ، فأبسط لنا من الرزق ما توصلنا به إلى
رحمتك ، ومن رحمك ما نحول به بيننا وبين نعمتك ، ومن حلك ما يسعنا به
عفوك ، واختم لنا بالعادة التي ختمت بها لأوليائك ، واجعل خير أيامنا
وأسمعها يوم لقاءك ، وزخرمتنا في الدنيا عن نار الشهوة ، وأدخلنا بفضلك
في ميادين الرحمة ، واكسنا من نورك جلايب العصاة ، واجعل لنا ظهرا من
عقولنا ، ومهيمننا من أرواحنا ومسخرا من أنفسنا كي نسبحك كثيرا ،
ونذكرك كثيرا ، إنك كنت بنا بصيرا ، وهب لنا مشاهدة تصحبها مكاملة ،
واقبح أسماعنا وأبصارنا ، واذكرنا إذا غفلنا عنك ، يا أحسن مما تذكركنا به
إذا ذكرناك ، وارحمنا إذا عصيتك ، بأمر مما ترحمنا به إذا أخطأناك ،

واغفر لنا ذنوبنا ما تقدم منها وما تأخر ، والطف بنا لطفًا يحجبنا عن غيرك ، ولا يحجبنا عنك ، إنك على كل شيء قدير .

« اللهم إنا نسألك إيمانًا دائمًا ، ونسألك قلبًا خاشعًا ، ونسألك علمًا نافعًا ، ونسألك يقينًا صادقًا ، ونسألك دينًا قيمًا ، ونسألك العافية من كل بلية ، ونسألك تمام العافية ، ونسألك دوام العافية ، ونسألك النقي عن الناس [مُلائقًا] .

اللهم إنا نسألك التوبة السكاملة ، والغفرة الشاملة ، والحبة السكاملة الجامعة والحلة العافية ، والمعرفة الواسعة ، والأنوار الساطعة ، والشفاة القائمة ، والحجة البالغة ، والدرجة العالية ، وفكرنا من المعصية ، ورهاننا من النعمة بمواهب المنة ، إنك على كل شيء قدير .

اللهم إنا نسألك التقوية ودوامها ، ونعوذ بك من المعصية وأسبابها ، فذكرنا بالخوف منك قبل هجوم خطراتها ، وأحملنا على النجاة منها ومن التضرع في طوائفها ، وأصح من قلوبنا حلالة ما اجتفيناها منها ، واستبدلها بالكرامة لها ، والطعم لما هو بعدها ، وأفض علينا من بحر كرمك وجودك حتى نخرج من الدنيا على السلامة من وبالها ، واجعلنا عند الموت فاطنين بالشهادة طالعين بها ، وأزاف بنا رأفة الحبيب بحبيبه عند الشدائد ونزولها ، وأرحنا من عموم الدنيا وغومها بالروح والريحان إلى الجنة ونعيمها .

اللهم إنا نسألك توبة سابقة منك إلينا ، لتسكون توبتنا تابعة إليك منا ، وحب لنا التقى منك كما تلقى آدم منك الكلمات ، ليكون قدوة لولده في التوبة والأعمال الصالحات . وباعد بيننا وبين العناد والإصرار والشبه بإبليس رأس القنوة ، واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت ، ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت ، فالإحسان لا ينفع مع البغض منك ، والإساءة لا تضر مع الحب منك وقد أسبغت الأمر علينا لترجو ونخاف ، فأمن خوفنا ، ولا تخيب رجاءنا ،

وأعطنا سؤالنا ، فقد أعطيتنا الإيمان من قبل أن نسألك ، وكتببت وحببت .
 رزقبت وكرمت ، وأطلقت الألسن بما به ترجحت ، فنعلم الرب أنت ، فلك
 الحمد على ما أنعمت ، فاغفر لنا ، ولا تعاقبنا بالسلب بعد المعطاء ، ولا بكفران
 النعم وحرمان الرضا .

اللهم رضيعنا بقضائك ، وصبرنا على طاعتك ، وعن مصيبتك ، وعن الشهوات
 الموجبات لانقاص أو البعد عنك ، وهب لنا حقيقة الإيمان بك ، حتى لا نخاف
 غيرك ، ولا نرجو غيرك ، ولا نحب غيرك ، ولا نعبد شيئاً سواك ، وأوزعنا
 شكر نعمائك ، وغطنا برداء عافيتك ، وانصرنا باليقين والقوكل عليك ،
 وأستقر وجوهنا بنور صفاتك ، وأضعفنا وبشرنا يوم القيامة بين أوليائك ،
 واجعل بك مبسوطا علينا وعلى أهلنا وأولادنا ومن معنا برحمتك ، ولا تسكننا
 إلى أنفسنا طرفة عين ، ولا أقل من ذلك ، يا نعم الحبيب ، يا نعم المحبيب ،
 يا نعم الحبيب . يا من هو هو هو في علوه قريب .

يا ذا الجلال والإكرام ، يا محيطا بالقيالى والأيام ، أشكو إليك من غم
 الحجاب ، وسوء الحساب ، وشدة العذاب ، وإن ذلك لواقع ما له من دافع إن
 لم ترحمنى .

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين [ثلاثا] .

ولقد شكى إليك بمقرب تخلصيه من حزنه ، ورددت عليه ما ذهب من بصره
 وجمعت بينه وبين ولده . ولقد ناداك نوح من قبل فتجيته من كربته ، ولقد ناداك
 أيوب من بعد فكشفت ما به من ضره ، ولقد ناداك يونس فتجيته من غمه ،
 ولقد ناداك زكريا فوهبت له ولداً من صلبه بعد بأس أهله وكبر سنه ، ولقد علمت
 ما نزل بإبراهيم فألقته من نار عدوه ، وأنجيت لوط وأهله من العذاب الفازل
 بقومه .

فها أنذا عبدك ، إن تعذبني بجميع ما علمت من عذابك فأنا حقيق به ، وإن
ترحمني كما رحمتهم مع عظيم إجرأى فأنت أولى وأحق من أكرم به . فليس
كرمك مخصوصا بمن أطاعك وأقبل عليك ، بل هو مبذول بالسبق منك لمن
ثبت من خلقك وإن عصاك وأعرض منك .

وليس من السكرم ألا تحسن إلّا لمن أحسن إليك وأنت المفضل النقي ، بل
من السكرم أن تحسن إلى من أساء إليك وأنت الرحيم العلي ، كيف وقد أمرتنا
أن نحسن إلى من أساء إلينا ، فأنت أولى بذلك منا .

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تنفّر لنا وترحمنا لتكونن من الخاسرين [ثلاثا] .

يا الله ، يا الله ، يا الله ، يا رحمن ، يا رحمن ، يا رحمن ، يا قیوم ، يا قیوم
يا قیوم ، يا من هو هو هو ، يا هو ، إن لم تكن لرحمتك أهلا أن نعالها ، فرحمك
أهل ثنائنا .

يا رباه ، يا رباه ، يا رباه ، يا مولاه يا منيت من عصاه ، أغثنا أغثنا
يا رب يا كريم ، وارحمنا يا بر يا رحيم يا من وسع كرسيه السموات والأرض
ولا يؤوده حفظهما وهو الی العظیم .

أسألك الإیمان بحفظك إیماننا یسكن به قلبي من هم الرزق وخوف الخلق ،
واقرب منی بقدرتك قربا تحق به عنی كل حجاب محققه عن إبراهيم خليلك ،
فلم يمتجج لجبریل رسولك ، ولا لسؤاله منك ، وحجبه بذلك عن نار عذره .

وكيف لا یحبب عن مضرة الأعداء من غيبته عن منفعة الأحباء . كلا ،
إني أسألك أن تنفّيني بقربك منی ، حتى لا أرى ولا أحس بقرب شيء ولا يبعد
عنی ، إنك على كل شيء قدير .

أفحسبتم أنما خلقناكم مهتا وأنكم إلينا لا ترجعون ، فیهما الی الله الملك الحق
(٦ - سورة الأسرار)

لا إله إلا هو رب العرش الكريم ، ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به ، فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ، وقل رب اغفر وارحم ، وأنت خير الراحمين

هو الحى لا إله إلا هو قادمه مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين .
إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد ، وبارك على سيدنا محمد ،
وعلى آل سيدنا محمد ، كما صليت وباركت ورحمت على سيدنا إبراهيم ، وعلى
آل سيدنا إبراهيم ، في العالمين إنك حميد مجيد .

اللهم وارض عن ساداتنا الخلفاء الراشدين ، أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ،
وارض اللهم عن سيدنا الحسن ، وعن سيدنا الحسين ، وعن أمهما فاطمة الزهراء ،
وعن أزواج نبيك الطاهرات أمهات المؤمنين ، وعن التابعين وتابعيهم بإحسان
إلى يوم الدين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

سبحان ربك رب المزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله
رب العالمين .

الدعاء المبارك

للعرف بمحزب البحر^(١)

حدثنا الشيخ الصالح أبو العزائم ماضي بن سلطان رحمه الله بمدينة تونس
كلامها الله تعالى وكذلك الشيخ الصالح المبارك شرف الدين ولد الشيخ رضى الله
عنه بمدينة دمنهور الوحش من الديار المصرية عام خمسة عشر وسبعمائة قال :
أراد الشيخ السفر من القاهرة إلى الحج بعد خروج الحج بمدة يسيرة . فقال :
أمرت بالحج هذا العام فاطلبوا لنا مركبا في الفل نساfer فيه على الصعيد .
فنظروا مركبا فما وجدوا إلا مركبا للنصارى فيه شيخ نصراني وأولاده
فقال : نركب فيه . قال : فركبنا فيه واقلمنا عن القاهرة يومين أو ثلاثة .

قال وتبدل الريح في وجوهنا فأرسينا في شط النيل بموضع خال من العماره
وبقينا نحو الجمعة ونحن ننظر إلى جبل القاهرة . فقال بعض من كان معنا من
الحجاج : كيف يقول الشيخ : أمرت بالحج في هذا العام والوقت قد فاتت ومضى
يكون هذا السنو .

قالا : فقام الشيخ في وسط النهار واستمط ودعا بهذا الدعاء ، وقال : أين
جبرئيل المركب ؟ فقال : نعم . قل له : إيش اسمك ؟ قال : سمير قال : يا سمير
البركة افتح الانلاع . فقال له : يا سيدي نرجع إلى القاهرة فقال له : نرجع مسافرين

(١) من سيوف الشاذلية لنضاه الماحات .

في ثبت ابن عابدين وغيره أن القاري ينوي ما يريد عند قوله دوسخر لنا هذا
البحر . وعند قوله دحم في المرة السابعة ويمد بها نفسه ويمط جسده ثم يسبح
جسده بيد وينوي وقال هذا من أسرار التلقين .

إن شاء الله تعالى . فقال له : هذا الريح يردنا إلى القاهرة بقیة هذا اليوم ولا يمكن الإقلاع به أصلا . فقال له : افتح القلاع على بركة الله تعالى .

قال : ففتحنا القلاع وأمر الله تعالى الريح فدارت ، وامتلأت القلاع بالريح حتى ما استطاعوا أن يملوا الجبل من الوند فقطعوه وخرجنا بريح طيبة ، وأسلم الرئيس وأخوه وبقي أبوها يبكي ويقول : خسرت أولادی فی هذه السفرة ويقول له الشيخ بل ربما .

قال : فلما كان في تلك الليلة رأى الشيخ النصراني كأن القيامة قد قامت ورأى الجنة والنار ورأى الشيخ يقدم جماعة كثيرة إلى الجنة وأولاده معهم فأراد اتباعهم فنع وقيل له : ما أنت منهم حتى تدخل في دينهم فأخبر الشيخ بذلك وأسلم فقال له الشيخ الناس الذين رأيتهم معي هم أصحابي إلى يوم القيامة . قالوا : وسافرنا وتيسر الأمر بحكايات يطول شرحها .

قال سيدي ماضي رحمه الله : وجاء من الشيخ النصراني ولي عظيم من أولياء الله تعالى فباع مركبه وحج مسنا هو وأولاده وكان صاحب زاوية ببلاط الصعيد من تجرى على يده للكرامات وكانت هذه السفرة للماركة مظهرة لمثل هذه الكرامة ، رحمه الله تعالى ورضى عنه .

قال رضى الله عنه : والله ما قلته إلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقبي به منه تلقينا وقال لي احتفظ به فإن فيه اسم الله الأعظم . وما قرىه في مكان إلا وكان فيه أمن . ولو كان عند أهل بغداد ما أخذها القتر وهو هذا .

يا على يا عظيم يا حلیم يا حلیم ، أنت ربی ، وعليك حسبی ، فنعم الرب ربی ،
ونعم الحسب حسبی ، تفعر من قشاة وأنت العزيز الحكيم .

أسألك العصمة في الأقسام والالحظات ، والحركات والسكنات والكلمات
والإرادات والخطرات من الظنون والشكوك والأوهام الساترة للقلوب عن
طاعة الخيوس فتد ابقي للؤمنون وززلوا زازالا شديداً . ولما يقول المفاقون
والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا فنبعنا وانصرنا ،
وسخر لنا هذا البحر ، كما سخرت البحر لموسى ، وسخرت النار لإبراهيم ،
وسخرت الجبال والحديد لداود ، وسخرت الريح والشياطين والجن لسلیمان .

وسخر لنا كل بحر هو لك في الأرض والسماء والملك والملكوت ، وبحر
الدنيا وبحر الآخرة ، وسخر لنا كل شيء يا من بيده ملكوت كل شيء .

كهيعص . كهيعص . كهيعص . حم عسق .

انصرنا فإنك خير الناصرين ، واغفر لنا فإنك خير الغافرين ، وافتح لنا
فإنك خير الفاتحين ، وارزقنا فإنك خير الرازقين ، وارحمنا فإنك خير الراحمين ،
وهب لنا ربنا طيبة كما هي في إهلك ، وانشرها علينا من خزائن رحمتك ،
واحملنا بها حمل السكرامة مع السلامة والعافية في الدين والدنيا والآخرة إنك
على كل شيء قدير .

اللهم يسر لنا أمورنا مع الراحة لقلوبنا والسلامة والعافية في دنيانا وديننا ،
وكن لنا صاحباً في سفونا وخليفة في أهلنا ، واطمس على وجوه أعدائنا
وامسحهم على مكاتهم فلا يستطيعون المص ولا الجيء إلينا .

ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأني يهترون . ولو نشاء
لستغاثم على مكاتهم فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون .

يس . والقرآن الحكيم . إنا نكلم المرسلين . على صراط مستقيم . تنزيل
العزيز الرحيم . لتتذرعوا ما أنذر آباؤهم فهم غافلون . لقد حق القول على أكثرهم
فهم لا يؤمنون . إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون .
وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون .

شاعت الوجوه . شاعت الوجوه . شاعت الوجوه .

ومن أذكّره رضى الله عنه

حزب الحمد

[وهو] ما رواه عنه سيدنا الشيخ الصالح الولي العارف أبو العباس أحمد
الموسى نفع الله بهما وأظهره لأصحابه حزب الحمد ، ويسمى حزب النور .

حدثني به الشيخ الصالح الولي أبو خذر مسمر د مسكودي ورويته عنه بمدينة
القاهرة عام سبعة عشر وسبعائة وهو هذا .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

قل أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق . ومن شر غاسق إذا وقب . ومن
شر الغفقات في العقد . ومن شر حاسد إذا حسد .

قل أعوذ برب الناس . ملك الناس . إله الناس . من شر الوساوس الخناس
الذى يوسوس فى صدور الناس من الجلبة والناس .

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك
نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين . آمين .

ألم ذلك السكتاب لا ريب فيه هدى . . للمتقين . الذين يؤمنون بالذنب
ويقومون الصلاة وما رزقناهم ينشقون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك
هم المفلحون

والله لا إله إلا هو الرحمن الله لا إله إلا هو الحى القيوم
لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض ، من ذا الذى يشفع
عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما
شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم .

لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله
قد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم . الله ولى الذين
آمَنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أوليسوا هم الطاغوت
يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .

الله ما فى السموات وما فى الأرض وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه
يحاسبكم به الله فيمفقر لمن يشاء ويمدب من يشاء والله على كل شئ قدير . آمَن
الرسول بما أنزل إليه من ربه ولؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
لا تفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرنا لك ربنا وإليك المصير .
لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا
إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ،
ربنا ولا نجعلنا مآلاً لظاظة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا
فاتصرنا على النعم الكافرين .

ألم الله لا إله إلا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدق لما بين
يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان .

يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن
تستعكثر ولربك فاصبر .

اقرأ باسم ربك الذى خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى
علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم .

الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم
والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان . تبارك
اسم ربك ذو الجلال والإكرام .
سبحان ربى العظيم (ثلاثا) .

سبح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم . لله ملك السموات
والأرض يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير هو الأول والآخر والظاهر
والباطن وهو بكل شئ عليم . هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام
ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء
وما يرتج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير . له ملك السموات
والأرض وإلى الله ترجع الأمور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو
عليم بذات الصدور .

هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله
الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر
سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق الباوىء المصور له الأسماء الحسنى
يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم .

قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

قل أعوذ برب الفاس ملك الناس إله الناس . من شر الوسواس الخفاس
الذى يوسوس فى صدور الناس . من الجنة والفاس .

الهم يا من هو كذلك وعلى ما وصفه به عباد الله المخلصون من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين والعلماء الموقنين والأولياء القربين من أهل
سمواته وأرضه وسائر الخلق أجمعين أسألك بها والآيات والأسماء كلها وبالعظيم

منها وبالأم والسيدة وبغواتم سورة البقرة وبالمبادئ والخلوات وبآمين على الموافقة ، وبجاء الرحمة ، وميم الملك ودال الهوام محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يؤمنون فضلاً من الله وودواً سبائهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في النوراة ومثلهم في الإنجيل كزرح أخرج شطاها فأزر فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً .

أمون قاف آدم هاء آمين . كهيص . اغفر لي وارحمني برحمتك التي رحمت بها أنبياءك ورسلك ولا تجعلني بدءك رب شقياً وإني خفت وأخاف أن أخاف . ثم لا أهدى إليك سبيلاً فاهدني إليك وآمنى بك من كل خوف وخوف في الدين والدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير .

اللهم يا بديع السموات والأرض يا قيوم الدارين يا قيوما بكل شيء باحدي يا قيوم يا إلهنا لا إله إلا أنت واجعلنا في جوارك واحببنا بالذي حبيب به أوليادك فتري ولا يراك أحد من خلقك ، وأصعب علينا من الخير أكله وأجله . وامرغ عنا من الشر أصغره وأكبره .

طس حم عسق مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان .

اللهم إنا نسألك الخوف منك والرحاء فيك والمحبة لك والشوق إليك والأنس بك والرضا عنك والطاعة لأمرك على بساط مشاهدتك ناظرين إليك منك . وناطقين بك منك لا إله إلا أنت . .

سبحانك ظلمنا أنفسنا وقد تنبنا إليك قولاً وعقداً فتب علينا جوداً وعطفاً واسعةً مملنا بسمل ترضاه وأصلح لنا في ذنوبنا إنا تنبنا إليك وإنا من المسلمين .

يا غفور يا ودود يا بر يا رحيم اغفر لنا ذنوبنا وقربنا بودك رحمتنا فهو حديدك
وارحمنا بطاعتك ولا تعاقبنا بالفترة ولا بالوقفة مع شيء دونك ، واحملنا على
سبيل القصد ، واعصنا من جأرها إنك على كل شيء قدير .

الاهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بيننا وبين الصديق والقيمة
والإخلاص والخشوع والهيبة والحياء والراقية والنور والبتين والعلم والمعرفة
والخلف والعصمة والنشاط والقوة والستر والشفقة والنصاحة والبيان والفهم في
القرآن ، وخصنا بالحبة والاصطمانية والتمخيص والتولية ، وكن لنا ممما
وبصرا واسانا وقلبا وعقلا وبدا ومؤيدا وآتنا العلم الأدنى والعمل الصالح
والرزق المغيث الذي لا حجاب به في الدنيا ولا حساب ولا سؤال ولا عقاب
عليه في الآخرة على بساط علم التوحيد والشرع سالمين من الهوى والشهوة
والطبع ، وأدخلنا مدخل صدق وأخرجنا مخرج صدق واجعل لنا من لدنك
سلطانا نصيرا .

يا على يا عظيم يا حلیم يا سمیع يا بصیر يا مرید يا قدير يا حي يا قیوم
يا رحمن يا رحیم یا من هو هو یا هو أسألك بمظلمتك التي ملأت أركان
عرشك وبقدرك التي قدرت بها على خلقك وبرحمتك التي وسعت كل شيء
وبعلمك المحيط بكل شيء وبإرادتك التي لا ينازعها شيء وبسمك وبهرك
والقريبين من كل شيء يا من هو أقرب إلى من كل شيء . كل حيائي وعظم
اقتراي وبهد منائي واقترب شقائي وأنت البصير بمعنتي وجبرتي وشهوتي وسودتي
تعلم ضلالي وعمايتي وفاقتي وما قبحت من صفاتي .

آمنت بك وبأسمائك وصفاتك وبمحمد رسولاك ، فن ذا الذي يرحمني غيرك
ومن ذا الذي يبعثني سواك ، فارحمي وأرني سبيل الرشداً ، واهدني إليه

سبيلا وأرني سبيل النجى وجنبني إياه سبيلا وأصحبني منك الحق والنور والحكم
والفضل والبيان واحرسني بنور لا يا الله يا نور يا حق يا مبین .

اللهم إلى أصبحت أكره الشر ، وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة
إلا بالله ، فاهدني بنور لنورك فيما يرد على منك ، وفيما يصدر مني إليك وفيما
يجرى بيني وبين خالقك ، وضيق طوبى برك واحجبني بحجب عزتك وعز حبيبك ،
وكن أنت حجابي حتى لا يقع شيء مني إلا عليك ، وسخر لي أسر هذا الرزق
واعصمني من الحرص والعقب في طلبه ، ومن شغل القلب وتعلق الهم به ومن
الذل للخلق بسببه ومن التفكر والتدبير في تحصيله ومن الشح والبخل بمد
حصوله وما يحصل في النفس من ذلك ، وتحلفه بقدرتك على وفق علمك وإرادتك
ومن ضرورات الحاجات إلى خلقك ، فأجعله سببا لإقامة العبودية ومشاهدة
لأحكام الربوبية ، وهب لي خفية من خفياتك ، ونورا من أنوارك وذكرًا من
أذكارك وطاعة من طاعات أنبيائك وصحبة للملائكتك ونول أمري بذلك
ولا تسكني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك .

واجبني حسنة من حسناتك ورحمة بين عبادك تهدي بها من تشاء إلى
صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله
تصير الأمور .

اللهم اهدني لنورك ، واعطني من فضلك ، وامنني من كل عدو هو لك ،
ومن كل شيء يشغاك غفك ، وهب لي لسانا لا يفتر عن ذكرك وقلبا يسمع
بالحق منك ودروحا يكرم بالنظر إليك ، وسرا عتقا بمحائق قربك ، وعقلا خامدا
بالجلال عظامتك وزين ما ظهر وما بطن مني بأنواع طاعتك يا سمیع يا علیم
يا عزیز يا حکیم .

اللهم كما خلقتني فاهدني وكما امتني فأحييني وكما اطعمتهم فأطعمني واسقني

ومرضى لا يخفى عليك فاشفى ، وقد أحاطت بى خطيئتي فاغفر لى وهب لى
 علما يوافي علمك وحكما يصادف حكمك واجعل لى لسان صدق بين عبادك
 واجعلنى من ورثة جنك ونجنى من النار وأدخلنى الجنة حالا ومآلا برحمك
 وأزنى وجه محمد نبيك ، وارفع الحجاب فيما بينى وبينك واجعل مقامى عندك
 دائما بين يديك ، وناظروا منك إليكم ، وأسقط البين عني حتى لا يكون بين
 بينى وبينك .

واكشف لى عن حقيقة الأمر كشفًا لا طلب بعمده أهدك مع للزيد المضمون
 بكرم وعدك إنك على كل شيء قدير .

يا الله يا عزيز يا حكيم إنك قد أبدت من شئت بما شئت كيف شئت على
 ما شئت ، فأبدنا بعصرك لخدمة أوليائك ، ووسع صدورنا لمعرفتك عدد ملاقات
 أعدائك ، واجلب لنا من رضىته عنه حتى نخضع له ونذل كما جلبه ل محمد
 وسلك .

واصرف هذا كيد من سخطت عليه كما صرفت عن إبراهيم خليلك ، وآتانا
 أجرنا فى الدنيا بالعافية من أسباب النار ومن ظلم كل جائر جبار وسلامة قلوبنا
 من جميع الأغيار .

وبفض لنا الدنيا ، وحجب إلينا الآخرة واجلنا فيها من الصالحين إنك على
 كل شيء قدير .

يا الله يا عظيم يا سميع يا عليم يا بر يا رحيم عبدك قد أحاطت به خطيئاته ،
 وأنت العظيم ونذائى كأنه لا يسمع ، وأنت السميع وقد مجزت عن سياسة نفسى
 وأنت العليم وأنى لى برحمتها وأنت البر الرحيم .

كيف يكون ذنبى عظيما مع عظمتك . أم كيف يجيب من لم يسألك وتترك
 من سألك . أم كيف أسوس نفسى بالبر وضعفى لا يعزب عنك ، أم كيف أرحمها
 بشئ وخزائن الرحمة بيدك .

إلى عظامك ملأت قلوب أوليائك فحضر لديهم كل شيء ، فاملاً قلبي
بفضلتك حتى لا يبصر ولا يدرك لديه شيء ، واسمع ندائى بمخصائص اللطف
فإنك السميع لكل شيء .

إلى شئ عني مكاني منك حتى مصيبتك وأنا في قبضتك واجترحت ما اجترحت
فكيف بالاعتزاز إليك .

إلى مصيبتك ناديتي بالطاعة ، وطاعتك ناديتي بالمعصية ففي أيهما أخاف
وفي أيهما أرجو . إن قلت بالمعصية فأبكتني بفضلك ، فلم تدع لي حقاً . وإن
قلت : بالطاعة ، فأبكتني بذلك فلم تدع لي رجاء . فليت شعري كيف أرى إحسانى
مع إسانك أم كيف أجعل فضلك مع عصيانها .

قاف جهم سران من شرك ، وكلاهما دالان على غيرك ، فبالسر الجامع الدال
عليك لا تدعني لغيرك إنك على كل شيء قدير .

يا الله يا فتاح يا غفار يا منعم يا هادي يا ناصر يا عزيز هب لي من نور
أسمائك ما أنعمت به حقائق ذاتك وافتح لي واغفر لي وأنعم علي واهدني
وانصرني وأعزني . يا مزمز يا من لا تغني بقدير مالك ، ولا تشافي بك بمالك ،
فالسكل كلك والأمر أمرك ، والسر سررك ، عدى وجودى ، ووجودى عدى ،
فالحق حقك ، والجمل جعلك ، ولا إله غيرك ، وأنت الحق المبين .

يا عالم السر وأخفى ، يا ذا الكرم والرفا ، عليك قد أحاط بمبدك ، وقد شفى
في طلبك ، فكيف لا يثقى من طلب غيرك ، تطلعت بي حتى علمت أن طلبى لك
جهل ، وطلبى لغيرك كثر ، فأجرتني من الجهل واهممتني من الكفر .

يا قريب أنك العزيز وأنا البعيد ، قريبك أيا سقى من غيرك ، وبعدى عنك
ردنى للطلب لك ، فسكن لي بفضلك حتى تجمع طلبى بطلبك . يا قوى يا عزيز
إنك على كل شيء قدير .

اللهم لا تعذبنا بإرادتك ، وحب شهواتنا ، فنشغل أو نجذب أو نفرح
بوجود صرادنا ، أو نحزن أو نستخط ، أو نسلم تسليم النفاق عند الفقد ، وأنت
أعلم بقلوبنا فأرحمنا بالنعم الأكبر ، وللمزيد الأنضل ، وللنور الأكل وغيرنا
وغيب عنا كل شيء ، واشهدنا إياك بالإشهاد ، وانصرنا في الحياة الدنيا ويوم
يقوم الإشهاد .

يا الله ، يا قدير ، يا مريد ، يا عزيز ، يا حكيم ، يا حميد إنا نسألك بالقدرة
العظمى ، وبالمشيئة العليا ، وبالأيات والأجاء كلها ، وبهذا العظيم منها : أن
تسخر لنا هذا البحر ، وكل بحر هو لك في الأرض والسماء ، والملك والمملوك ،
كما سخرت البحر لموسى ، وسخرت النار لإبراهيم ، وسخرت الجبال والحديد
لداود ، وسخرت الريح والشياطين والجن لسلطان ، وسخر لنا كل شيء بامن
بيده لا يركب كل شيء ، وهو يجر ولا يمار عليه .

يا الله يا على يا عظيم يا حليم يا عليم ، أحون قاف آدم حم هاه آمين .

إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا
تسلما .

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، كما صليت على سيدنا إبراهيم
وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، كما باركت على سيدنا إبراهيم
وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حمود مجيد .

اللهم وارض عن ساداتنا أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وعن الحسن والحسين ،
وعن الصحابة أجمعين ، وعن التابعين وتابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . والحمد لله
رب العالمين .

ومن أذكّره رضى الله عنه

اللهم إني أنوّل بك إليك . اللهم إني أقسم بك عليك .

اللهم كما كنت دليلي عليك ، فسكن شفيعي إليك .

اللهم إن حسناتي من عطاياك ، وسيئاتي من فضائك ، فجدّ اللهم بما أعطيت على ما به قضيت ، حتى تتحوّ ذلك بذلك ، لا لمن أطاعك فيما أطاعك فيه له الشكر ، ولا لمن عصاك فيما عصاك فيه له العذر ، لأنك قلت وقولك الحق : « لا يسأل مما يفعل وم يسألون » .

اللهم لولا عطاؤك لسكنت من المالكين ، ولولا قضاؤك لسكنت من الفائزين وأنت أجل وأعظم وأعز وأكرم من أن تطاع إلا بإذنك ورضاك . أو أن تعمى إلا بحكك وقضائك .

إلى ما أطمعتك حتى رضيت ، ولا عصيتك حتى قضيت ، أطمعتك بإرادتك وثقتك لك على ، وعصيتك بتقديرك ، والحجة لك على ، فبوجوب حببتك ، وانقطاع حجتي إلا ما رحمتني . وهفوتي إليك ، وغفائك عني إلا ما كفيتهني يا أرحم الراحمين .

اللهم إني لم آت الذنوب جرأة مني عليك ، ولا استخفاً بحكك ، ولكن نجري بذلك قلبي ، ونفذ به حكك وأحاط به علمك ، ولا حول ولا قوة إلا بك ، وللعذر إليك ، وأنت أرحم الراحمين .

اللهم إن سمى وبصرى ولسانى وقلبي وعقلي بيدك لم تمسكني من ذلك شيئاً ، فإذا قضيت بشيء فـسكن أنت ولى ، واهدني إلى أنوم السبيل .

يا خير من سئل وبأخبر من أعطى ، يا رحمن الدنيا والآخرة ارحم عبدا
لا يملك الدنيا ولا الآخرة ، إنك على كل شيء قدير .

قال رضى الله عنه : بث ذات ليلة فى غم عظام ، فألمحت أن أقول :
مغنت على الإيمان والمحبة ، والطاعة والتوحيد ، فأخذت منى النفقة والشهوة
والعصية ، وطرحتنى النفس فى بحر الظلم ، نهى مظلة وعبدك محزون مغموم
مغموم ، وقد انقضى نون الهوى^(١) ، وهو يناديك نداء المحبوب المصوم نبيك
وعبدك يونس بن متى ويقول : « لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من
الظالمين » .

فاستجبت لى كما استجبت له ، وانبذنى بعراء المحبة فى محل القريد والوحدة ،
وأثبت على أشجار العطف والجنان إنك أنت الله الملك المان ، وليس لى إلا
أنت وحدك لا شريك لك ، ولست بمخلف وعبدك لمن آمن بك ، إذ قلت وقولك
الحق : « فاستجبنا له ونجيئناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين » .

يا الله يا جميل ، يا جليل العطف ، أطف بى بلطفك القدى لطفت به ،
وانصرنى بالرعب الشديد على أعدائك ، إنك على كل شيء قدير .

(١) أى حوت الهوى : إشارة إلى قوله تعالى عن يونس عليه السلام « فالتقمه
الحوت وهو ملثم » .

ومن أذكاره رضى الله عنه

يا الله يا فلاح ، يا عليم يا غنى يا كريم ، افتح قلبى بنورك ، وارحمى بطاعتك ، واحببني من ممصيفك ، وامنن على بمعرفتك ، وأغننى بقدرتك من قدرتي ، وبعلمك عن علمي ، وبإرادتك عن إرادتي ، وبمهيأتك عن حيلاتي ، وبصفائك عن صفاتي ، وبوجودك عن وجودي ، وبذنوك عن ذنوبي ، وبقربك من قربي ، وبحبك عن حبي ، وبصدقك عن صدقي ، وبحفظك عن حفظي ، وبظلمك عن ظلمي ، وبتهديك عن تهدي ، وباختيارك عن اختياري ، وبمولك وقوتك عن حولي وقوتي ، وبمجدك وكرمك وفضلك ورحمتك عن علمي وعلمي ، إنك على كل شيء قدير .

ومن أذكاره رضى الله عنه

يا الله يا عليم ، يا مريد يا قدير ، ربطت كل العالم بعلمك ، وميزته بإرادتك . فاشتق حقا من رآى الإحسان من غيرك ، مع الدعوى المريضة .

لأن السكل في قبضتك ، لغتني بصفائك ، حتى أكون بنور تكوينك كما كنت في ملكك ، وميزني بإرادتك عن وصف الحدوث ، إذ لا حادث يحدث لك .

وهب لي من نور قدرتك ما يطمئن به قلبي كإبراهيم خليلك . أنت أنت إلهي ، بك أكون ، فأسألك سعادة لا أشقى معها بمطالمة غيرك ، إنك على كل شيء قدير .

ومن أذكّره رضى الله عنه

يا سميع يا عليم يا قريب يا مجيب يا محيط يا دائم .

أنت الله الذى أسمعته لذي خطاياك ، وتعرفت إلى بكشف حجائك ،
وأحببتنى من حيث أنت بما أردت من إجابتك ، فوجدتك محيطا دائما ، فأتقنى
المحاط به مع دوامك .

إن نظرت إلى نفسى خاب نظرى من ملاحظتك ، وإن نظرت إليك لم يكن
ل قرار مع قرارك ، فعلى ينزهك ، وقلبي يصدقك ، ونفسى تحمدك ، وروحى
تحبك ، وسرى يشهدك .

إلى أنت أقرب إلى من تميز عقلى ، ومن تصديق قلبى ، ومن خدمة نفسى ،
ومن محبة روحى^(١) ، ومن شهادة سرى ، فأعوذ بك من حجابى بصفائك .

إلى قربك اشتاق إليه من حيث أنت ، فلا تحجبنى عنك من حيث
لها ، لا إله إلا أنت تقوى من شئت لما شئت بما شئت إليك على كل
شئ قدير .

(١) هنا تظهر مزية الشاذلية حيث يبدأون من الله إلى الخالق « ها أنت وربك
يكابدون بالحب من أول قدم ثم تكون المهادنة بعد ذلك من حيث عالم الفرق .

ومن أذكّره رضى الله عنه

يا باعث يا وارث ، يا جامع يا منقطع ، أفت الذى تجمع الظهور لمن شئت كيف
شئت ، وأنت الجامع المقسط ، فكل محبوب يكون لى ولا يكون لك فامسرفه
منى ، حتى لا يكون لى إلا ما يكون لك ، وغذى بلطائف من عندك ، كما غذيت
عهد نبيك صلى الله عليه وسلم ، إنك على كل شىء قدير .

ومن أذكّره رضى الله عنه

يا غنى يا قوى ، يا قدير يا عزيز .

من الفقير غير الغنى ، ومن للضعيف غير القوى ، ومن للمعجز غير القادر ،
ومن للذليل غير العزيز ؟ فأجلسنى على بساط الصدق ، واكسنى لباس التقوى
الذى هو خير ، وهو من آياتك ، واحجبنى بمظلمتك عن كل شىء . هو لك ،
واملاً قلبى بمحبتك ، حتى لا يكون فيه منسج لشرك ، إنك على كل
شىء قدير .

ومن أذكّاره رضى الله عنه

إلهى إن الدنيا حقيرة حقيرة ما فيها ، وإن الآخرة كريمة ، كريم ما فيها ، وأنت الذى حقرت الحقير ، وكومت البكرم ، فأنتى يكون كريما من طلب غيرك ، أم كيف يكون أهدى من اختار لدنياه غيرك ، فحققتى بمقائق الزهد ، حتى أستغنى بك عن طلبى غيرك .

كاف جيم . سران من شرك ، وكلاهما دالان على غيرك . فبالسر الجناح الدال عليك لا تدعنى لغيرك ، إلك على كل شىء قدير .

ومن أذكّاره رضى الله عنه عند الأذان

اللهم إلك لم تشهدنا على خالقنا ، ولا على خلق أنفسنا ، ولم تغخذ أحدا من المضلين عضدا ، ولم يكن لك شريك فى الملك ، ولم يكن لك ولى من القل ، كبرت نفسك قبل أن يكبرك المكبرون ، وعظمت وجودك قبل أن يعظمك المعظمون .

فنسألك بذلك التظيم الذى ليس له نسب ولا سبب عزالا ذل به ، وننى لا فقر معه ، وأنسا لا كدر فيه ، وأمنا لا خوف بعده ، وأسعدنا فى إجابة الفرحيد فى طاعتك ، حسب كتنا يوم الميقات الأول فى قهضتك ، إلك على كل شىء قدير .

(١) من هنا ثبت أن العاذلة تقوم على التذكير بالله دائما حتى يمكن إحداث جلسة من هذا الذكر .

ومن أذكّاره رضى الله عنه

في الصلاة

لا إله إلا الله السميع القريب الجيب ، تجيب دعوة الداعي ، وتجيب دعوة
الضاير ، وتكشف سوء ، وتجمل من تشاء خليفة ، إن ربى لسميع الدعاء .

رب اجعلنى معتمداً على الصلاة ومن ذريق ، ربنا وقيل دعاء . ربنا اغفرلى
ولو الذى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب .

أسألك بصلواتك على سيدنا محمد عبدك ورسولك صلاة تخرجنى بها من الظلمات
إلى النور ، واجعائى من المؤمنين ، فإلك بالمؤمنين رؤوف رحيم .

اللهم اجعل هذه الصلاة صلة بينى وبينك ، ولا تجعلها مفاصلة لى عنك ،
واجعلها صلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، واذكرنى فيها منك بالذكر الأكبر
وأرنيه فى نفسى وعلى ، وأصحبنيه صحبة السكّامة إلى غاية أجل ، إنك على
كل شىء قدير .

ومن أذكّاره للفرج والسعة

وكان رضى الله عنه يعلم أصحابه تضيق الحال فيجدون الفرج والسعة :

يا واسع يا عليم ، يا ذا الفضل العظيم ، أنت ربى ، وعلمك حسبى ، إن
تمسنى بضر فلا كاشف له إلا أنت ، وإن تردنى بخير فلا راد لفضلك ، تصيب
برحمتك من تشاء ومن عبادك وأنت الغفور الرحيم .

ومن أذكّره رضى الله عنه

يا حى باقوم لا إله إلا أنت ، كنلى بحياتك كما كنت لأحبابك ، وأمتقى
منى بصفتك كما فعلت بأصفيائك ، واجعلنى قيوماً بذلك بالعصمة من غيرك ،
كما فعلت بمحمد رسولك ، إنك على كل شىء قدير .

إلهى ، إذا طلبت منك القوت فقد طلبت غيرك ، وإن سألتك ما ضحت لى
فقد أتهمتك ، وإن سكن قلبى إلى غيرك فقد أشركت بك ^(١) .

جاءت أوصافك من الحدوث فكيف أكون معك ، وتنزهت عن المال
فكيف أكون قريباً منك ، وتمايلت من الأغوار فكيف يكون
قوامى بغيرك .

اللهم إنى أسألك توحيداً لا ينهى به ضداً ، وبقينا لا ندفع به شكاً .

ومن أذكّره رضى الله عنه

يا من فضل بإنعامه لإنعام المنعمين ، وعجز عن شكره شكر الشاكرين ،
قد جربت غيرك من المؤمنين وبغيرى من السائلين ، فإذا كل قاصد إلى غيرك
مردود ، وعند سواك معدوم مقبور .

يا من به إلهى توسلت ، وعليه فى الصراء والضراء عولت وتوكلت ، حاجتى

(١) استئمال الحجة المنطقية فكرة جديدة فى الإيراد الشاذلية ولا سيما فى مقام
الدهلال .

مصروفة إليك ، وآمالى موقوفة عليك ، فكل ما وقفنى إليه من خير أحمله وأعطيه ، فأنت الهادى إليه ، ومعينى عليه ، ومسبب أسبابى لديه .

يا كريم لا تزوده المطالب ، يا سيدا بلجأ إليه كل قاصد ، ما زلت محفوزا منك بالدم ، جاريا على عادات الإحسان والكرم .

يا من جعل الصبر هونا على بلائه ، وجعل الشكر سببا للزيد من آلائه ، أسألك حسن الصبر على الحزن ، وتوفيقا للشكر على المن ، جلت نعمك من شكرى إياها ، وعظمت عن أن يحاط بأدناها ، فتفضل على إقرارى بمجزى ، يمتد أنت به أوسع ، وكرمك أجدر . وعليه أقدر ، فإن لم يكن لذنبى عندك هذر تقبله ، فأجمله ذنبا تغفره ، وعييا تستره ، يا أرحم الراحمين^(١) .

(١) انظر بعيد الطريقة العلية والفاخر السلية والآثر العلية .

ومن كلامه في تمجيد الباري

جل جلاله

الاهم لك الحمد ولك الحمد ، حمدا لا نهاية له ولا حد ، ولا يدرك له قبل ولا بعد ، لا أستطيع أن أحمداك كما أنت أهله ، ولا يكمل لسان أحد حقيقة حمداك ولا عظمته .

فأحمداك كما أطيقه وألحقه إن كنت عاجزا عما أنت عليه ، ومستحقه ، والحمد لله رب العالمين حمدا يستغرق الألفاظ الشارحة معناه ، ويسبق الألفاظ الطائفة أدناه ، لا يرد وجهه فكوس ، ولا يحده كنهه تخصيص ، ولا يحزره قبض ولا يبسط مثال ولا تخمين ، ولا يحصره بقل ولا يحيط ، ولا يشال ولا يمين ولا يجمعه عدد يحصيه ، ولا يسمه أبد يحويه ، ولا يدعه أمل يستوي فيه ، إذا سهقت هواديه خلقت نوائبه .

وأشكرك على أنعمك التي لا أحصيها شكر يقتضي زيادتها وبسند معيها ، مع أني عاجز عن شكرك والقيام بواجب ذكرك ، لأنني إن اعتقدت الشكر فبالقول الذي أعطيت ، وإن تكلمت فبالنطق الذي أوتيت ، وإن تمدت لك فبالقوة التي أوليت ، فأين الشكر الذي أضيفه لنفسى ، فإن جميع ذلك هو لك ومعك .

ولو ملكت اعتقادي بقلبي من دون هدايتك ، وإظهاره بلساني دون معونتك ما كان مقدار ذلك حتى ينهض بحمل أيسر ما اتسع من نعمك ، وصرفت من شملك ، ولو تمبذت لك مدة حياتي حتى لا أنفكس إلا في عبادتك . أين كان يبلغ ذلك بما تستحقه بجلال عظمك .

ولو قطعت عن مادة الرزق يوما لم أستطع القيام بشيء من أمرك، ولو لم تحفظني من جميع الآفات لشغلني أضعف دبيب من خلقك عن قضاء فرضك، بل النعمة من فواضل جودك، والعبد من ضغفاء عبيدك، وما ييسر من الشكر فيعرفيك وتسديك.

وأسألك أن تصلي على سيدنا محمد الذي جعلته نور الرشاد، ودليل العباد، إلى يوم المآد، صلاة تتضاعف إلى الأبد، وتستعمل بالمزيد والدد، وتبلغه بالرحمة والبركات، وتوده عن بالنعمة والسلام إلى يوم حشر الأنام، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأهل بيته الكرام وسلم تسليما كثيرا بدوام ملك الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم^(١).

من سلامه على النبي صلى الله عليه وسلم

لما قدم المدينة زادها الله تشريفا وتعظيما وقف على باب الحرم من أول النهار إلى نصفه عريان الرأس حافي القدمين يسأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما. فسئل عن ذلك، فقال: حتى يؤذن لي، فإن الله عز وجل يقول: «يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم».

فسمع النداء من داخل الروضة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام: يا أهل، ادخل، فوقف تجاه الروضة الشريفة فقال: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، صلى الله عليك يا رسول الله أفضل وأزكى وأسمى وأعلا صلاة

(١) تلك النجاة كان لها أثر كبير في سيدي مصطفى البكري حين وضع ورثه السحر وغيره من أحزابه.

صلاها على أحد من أنبيائه وأصفهائه، أشهد يا رسول الله أنك بلغت ما أرسلت به ، ونصحت أمتك ، وعهدت ربك حتى أنك اليقين ، وكنت كما نعتك الله في كتابه : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عظم حريص عليكم ردوف رحيم . فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب المؤمنين العرش العظيم .

فصلوات الله وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه من أهل سماواته وأرضه عليك يا رسول الله .

السلام عليك يا صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ويا عمر ورحمة الله وبركاته ، فجزا كما الله عن الإسلام وأهله أفضل ما جازى به وزيرى نهي في حياته ، وعلى حسن خلافته في أمته بعد وفاته ، فقد كتبنا الحمد صلى الله عليه وسلم ، وزيرى صدق ، وخلفناه بالعدل والإحسان في أمته بعد وفاته ، فجزا كما الله عن ذلك سرانفته في الجنة ، وإيانا محكما برحمته ، لأنه أرحم الراحمين .

اللهم إني أشهدك وأشهد رسولاك ، وأشهد أبا بكر وعمر ، وأشهد للملائكة النازلين بهذه الروضة الكريمة والماكنين عليها أني أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، خاتم النبيين ، وإمام المرسلين .

وأشهد أن كل ما جاء به من أمر ونهي وخبر عما كان أو ما هو كائن فهو صدق لا شك فيه ولا امتراء ، وإني مقرر لك بمخاطبي ومعصيتي في الخطورة والفكرة والإرادة والغفلة وما استأثرت به عليه إذا شئت أخفت وإن شئت عفوت عنه مما هو متضمن للكفران والنفاق ، أو البدعة أو الغلاة أو المصيبة ،

أو سوء الأدب معك ومع رسولك وأتبيائك وأوليائك من اللامسكة
والإنس والجن .

وما خصصت به من شيء في ملكك فقد ظلمت نفسي بجميع (ذلك)^(١) ،
فأمنن على بالقي منت به على أوليائك فإنك أنت الله الملك المنان الكريم
الغفور الرحيم .

وقال رضى الله عنه

كفت كثيراً ما أداوم على قراءة آية الكرسي ، وخواتيم سورة البقرة
من قوله تعالى آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه وللمؤمنون كل آمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا
غفرانك ربنا وإليك المصير . لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ما كسبت وعليها
ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً
كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر
لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

ثم هـ أ لم . الله لا إله إلا هو الحي القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق (مصداقاً
لما بين)^(٢) يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان .
إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام . إن الله
لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء . هو الذي يصوركم في الأرحام كيف
يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم .

(١) ساقطة من طس .

(٢) ساقطة من طت .

قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير . تولى الليل في النهار وتولى النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب^(١) .



اللهم إلى أسألك صحة الخوف وغلبة الشوق وثبات العلم ودوام الفكر ونسألك سر الأسرار المانع من الأضرار حتى لا يكون لنا مع الذنب أو المييب قرار، واجبنا واهدنا إلى العمل بهذه الكلمات التي بسطتها لنا على لسان رسولك، وابتليت بها إبراهيم خليلك فأتمن ، قال إني جاهلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين .

فاجعلنا من المحسنين من ذريته ومن ذرية آدم ونوح ، واسألك بما سبيل أئمة التقيين والله بصور بالمهاد .

رب إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمي وتب علي . لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين .

وهذا الاستغفار

له شأن عظيم وخيا ، كريم ، فتناوله ترى هجبا . تقول :
يا الله يا على يا عظيم يا حلیم يا سمیع يا بصیر يا مرید يا حی يا قیوم
یا رحمن یا رحیم یا من هو هو یا هو ، یا أول یا آخر یا ظاهر یا باطن ، تبارک
اسم ربك ذي الجلال والإكرام .

ومن دعائه رضى الله عنه

اللهم صانئ باسمك العظيم الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء ،
وهب لى معه سرّاً لا تغفر معه الذنوب شيئاً ، واجعل لى منه وجهاً تقضى به
الحوائج القلوب والعقل والروح والسر والنفس والبدن . وأدرج أسمى تحت
أسمائك ، وصفاتى تحت صفاتك ، وأفعالى تحت أفعالك ، درج السلامة وإسقاط
للألمة ، وتنزل السكرامة ، وظهور الأمانة ، وكن لى فيما ابتليت به أئمة الهدى
من كلماتك ، وأغنى حق تغنى بى ، وأغنى حق تحمى بى ما شئت ومن شئت من
عبادك ، واجعلنى خزانة الأربعين ، ومن خلاصة المتقين ، واغفر لى فإنه لا ينال
عهدك الظالمين ^(١) .

طس حم عسق . مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان .

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد
وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين .

قل هو الله أحد . الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

(١) كرر هذا المعنى كثيراً فى أحزابه ومناجاته .

ومن أذكاره رضى الله عنه

يا الله يا نور يا حق يا مبين افتح قلبى بنورك ، وعلمنى من علمك واحفظنى
بحفظك ، وأسعدنى منك ونممنى عنك ، وبعصرنى بك وسبب لى سبباً من فضلك
تغنى به من الفقر ، وتعزنى به من القل ، وتصلح لى به الدنيا والآخرة ،
وتوصلنى به إلى الفطر إلى وجهك الكريم فى جنة الفردوس إنك على كل شىء
قدير يا نعم المولى ونعم النصير .

ومن أذكّاره رضى الله عنه

لإجابة الدعاء

إذا أردت أن يستجاب لك في أسرع من لمح البصر فاعليك بخمسة أشياء :

أولها : الامتنان للأمر .

ثانيها : اجتناب النهي .

ثالثها : جمع المهم .

رابعها : تطهير السر .

خامسها : الاضطراب .

وخذ ذلك من قوله : « من يحب الاضطراب إذا دعاه ويكشف السوء . »

فإن لم تستطع أن تفعل الخمسة أشياء ، وما أراك إلا كذلك ، فاعليك بالخلوة
عن الناس واذكر ما شاء الله من قهاتك وأفمالك ، وافقد جميع أعمالك ،
وقدم إليه جميع ما عشت من جميل ستره عليك ، وقل :

يا منان يا كريم يا ذا الفضل العظيم من لهذا المهد للعاصي غيرك وقد حجز
عن النجوس إلى مرضاتك ، وقطعه الشهوة عن الدخول في طاعتك ، ولم يبق لي
ما أتمسك به سوى توحيدك ، وكيف يجرىء على السؤال من هو معرض عنك ،
أم كيف لا يسأل من هو محتاج إليك .

وقد مننت على الآن بالسؤال منك ، وجعلت حسبي الرجاء فيك فلا تردني
خائباً من رحمتك يا كريم .

قد جعلت لأسمائك حرمة ، فن دعاك بها لا يشرك بك شيئا أجبته فبحرمة
أسمائك يا الله يا مالك يا قدوس يا سلام يا مؤمن يا مهيمن يا عزيز يا جبار
يا متكبر يا خالق يا باريء يا معزوقنى من الهم والحزن والعجز والسكسل
والجبن والبخل والشك وسوء الظن وضلع الدين وقلبة الرجال فإنه لك الأسماء
الحسنى وقد سبح ما فى السموات والأرض لك وأنت العزيز الحكيم^(١) .

اللهم انى أسألك خيرات الدنيا وخيرات الدين خيرات الدنيا بالأمن والرفق
والصحة والمانعة وخيرات الدين بالطاعة لك والتوكل عليك والرضا بقضائك
والشكر على آلائك ونعمك إنك على كل شىء قدير .

ومن أذكاه رضى الله عنه

يا الله يا حميد يا مجيد يا بر يا رحيم يا الله يا قوى يا مقين هب لى من رحمك
ما أحمذك به وأكون من المؤمنين . وارزقنى من لطائف العزما أكون به
قونا متينا حاملا محمولا فى العالمين .

وهب لى من كرمك ما أكون به برا تقوا من الصالحين . يا رحيم يا لطيف
ألطف بى لطفا بذكركم الواهون .

إلهى ، وجدتك رحيمًا حيث لا أرى جودك ، وكيف لا أجدك نامراً
وأنا أرجوك . من لى إذا قطعنى ، ومن ليس لى إذا رحمتنى ، فصلنى من حيث
تعلم ولا أعلم ، إنك على كل شىء قدير .

(١) دليل آخر على توجيه النطق لأحزاب الشاذلية .

الفصل الرابع

في مرآيته ووصاياه

وكلامه في التصوف وفي غير ذلك من العلوم

قال رضى الله عنه : للصوف أربعة أوصاف : التعلق بأخلاق الله ، والجاورة لأوامر الله ، وترك الانقصار للنفس حياء من الله ، وملازمة البسيط بصدق الفناء مع الله .

وقال رضى الله عنه : الدليل ينقسم على ثلاثة أقسام : من طريق العقل ، ومن طريق السكرامة ، ومن طريق السر ، وهذا الثالث للبتين وبعض الصديقين ، ودليل السكرامة لأدولياء الله للتقريب ودليل العقل للعلماء . وقال بعض الحكماء : المعرفة من الله تأتي على وجهين : وجه من طريق عين الجود ، ووجه من طريق بذل المجهود .

قال الشيخ رضى الله عنه : أما من عين الجود تقوم بدائم الله بكرامته ، فبكرامته وصلوا إلى طاعته ، وأما بذل المجهود تقوم وصلوا بطاعتهم إلى كرامته .

اليقين والمعرفة :

وقال رضى الله عنه : اليقين اسم للدرك الحقائق بلا ريب ولا حجاب . والمعرفة كشف العلوم مع الحجاب فإذا رفع الحجاب سمينا يقينا . فذو الحقائق مجذوب ، وذو المعرفة مسلوب عن نفسه .

فالمعارف ذخائر ، والأنوار بصائر . فالمعرفة سمة ، والتوحيد صدق ،
والحكمة إلقاء ، والنور بيان .

والمعلوم على ضربين : مواهب ومكاسب . والمكاسب على ضربين : وجه من
طريق السمع ، ووجه من طريق النظر .

علامات القطب :

وقال رضى الله عنه : لقطب خمس عشرة كرامة ، فن ادعاها أو شينا منها
فليبرز :

يمد بمدد الرحمة والعصمة والإناية والقدية ، ومدد حلة العرش ، ويكشف له
من حقيقة الأوقات ، وإحاطة الصفات ، ويكرم بكرامة الحكم والفصل بين الوجود
والانفصال ، الأول عن الأول ، وما انفصل عنه ، وما بث فيه ، وحكم ما قبل
وما بعد ، وحكم ما لا قبل ولا بعد ، وعلم البدء ، وهو العلم المحيط بكل عالم وبكل
معلوم بدا من السر الأول إلى متناه ، ثم يعود إليه .

العلم الحقيقى :

وقال رضى الله عنه العلم الحقيقى هو الذى لا تزاحه الأضداد ولا الشواهد
بنفى الأمثال والأنداد ، كعلم الرسول والصديق والولى .

فن دخل هذا الميدان كان كمن غرق فى البحر ، وتلاطمت عليه أمواجه ،
فأى ضد يزاحه أو تلغاه أو تسمع به أو تراه .

ومن لم يدخل هذا الميدان احتاج إلى قوله تعالى : « ليس كمثل شيء » .

الطريق :

وقال رضى الله عنه : الطريق القصد إلى الله تعالى بأربعة أشياء . فمن
جاوزهن فهو من الصديقين المحققين . ومن جاوز منهن ثلاثا فهو من أولياء الله
القرينين ، ومن جاوز منهن اثنتين فهو من الشهداء الموقنين ، ومن جاوز منهن
واحدة فهو من عباد الله الصالحين .

أولها : الذكر ، وبساطة العمل الصالح ، وثمرته النور .

الثاني : التفكير ، وبساطة الصبر ، وثمرته العلم .

الثالث : الفقر ، وبساطة الشكر ، وثمرته المزيد منه .

الرابع : الحب ، وبساطة إفناء الدنيا ، وثمرته الوصلة بالحبوب .

فصل

في آداب العزّة

اعلم أيّدك الله أنّك إذا أردت الوصول إلى الله تعالى فاستعن بالله واجلس على بساط الصديق مشاهدا ذاكره بالحق ، ورايط قلبك بالعبودية الخصة على سبيل المعرفة ، ولازم الشكر والمراقبة والتوبة والاستغفار .

فأنا أشرح لك هذه الجملّة لئلا يقع الغلط فيها على سبيل الوصلة ، وهو أن تقول : الله . الله . مثلا أو ما شاء الله من الذكر ، مراقبا لقلبك بالتقوى ، بترك الدفع من نفسك ، والجلب لها . وتجد ذلك في آيتين من كتاب الله تعالى .

قوله عز وجل : « أمن هذا الذي هو جند لكم يصرمكم من دون الله » .
هذه الآية من الدفع .

ومن الجلب قوله تعالى : « أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه » .

ووصف الذكر أن تذكر بلسانك ، وتراقب قلبك . فإورد عليك من الله من خير قبلته . وما ورد عليك من ضد كرهته . رجوعا إلى الله تعالى في الدفع والجلب كما وصفت لك .

واحذرو أن تدفع أو تجلب لنفسك شيئا إلا بالله . فإن خامر شرك شيء من فجب أو عيب أو نظر إلى عمل صالح أو حال جميل ، فبادر إلى التوبة والاستغفار من الجميع .

أما من الذنب أو العيب فواجب شرعا ، وأما من [النظر إلى] العمل الصالح أو الحالة الجميلة فللمتعة . واعتبر باستغفار النبي صلى الله عليه وسلم بعد .

البشارة واليتين بمغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وهذا من معصوم لم يقترف ذنباً قط ، فاعطاك بمن لا يخلو من ذنب أو عيب في وقت من الأوقات .

وأما الجلوس على بساط الصديق فتعقق أوصافك من الفقر والضعف والعجز واللذة ، واجلس عليها ، تاظراً لأوصافه من التقى والقدرة والقوة والعمرة . فذلك من أوصاف اليهودية ، وهذه من أوصاف الربوبية .

وصديق ملازمة أوصافك ، ولا تنقل منها إلى ما ليس لك فتكون من الخائبيين بقلب الجفائقي . وقل :

يا غنى يا قوى يا قدير يا عزيز . من للفقر غير الغنى ، من للضعف غير القوى من للمажز غير القادر ، من للذليل غير العزيز . فأجلسنى على بساط الصديق ، واكسنى لباس القوى الذى هو خير ، وهو من آياتك ، واحجبنى بهظمتك عن كل شيء هو لك ، واملاً قلبى بمحبتك حتى لا يكون فيه متسع لغيرك لأنك على كل شيء قدير ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ^(١) .

(١) تأثر صريح من سيدى مصطفى البكرى في ورد المنبر حيث يقول في آخره : يا قوى أنت القوى وأنا الضعيف من الضعيف سواك يا قادرات القادر وأنا الماجز . . . الخ .

أسماء النصرة عند الدخول في العزلة

فاستعملك بها ، ولا تجعل في شيء من أمورك ، وقل :

باسم الله ، وبالله ، ومن الله ، وإلى الله ، وعلى الله غايته وكل المتوكلون .

وهذه أسماء الرضا وسعة الصدر بما يرد عليك من الضيق في العزلة .

حسبي الله ، آمنت بالله ، رضيت بالله ، توكلت على الله ، لا قوة إلا بالله .

وقل في بعض مناجاتك وسؤالك .

يا من وسم كرسية السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم .

أسألك الإيمان بحفظك إيماناً يسكن به قلبي من هم الرزق وخوف الخلق ،

وأقرب مني بقدرتك قرباً تحقق به عني كل حجاب يحقته عن إبراهيم خليلك

فلم يخرج لجبريل رسولاك ، ولا لسؤأله منك ، وحججه بذلك عن نار عدوه .

فكيف لا يحجب عن مضرة الأعداء من غيبته عن منفعة الأحياء . كلا .

إني أسألك أن ينييني بقربك مني حتى لا أرى ولا أحس بقرب شيء ولا يومئذ

عني إنك على كل شيء قدير .

فصل

في رد وسواس الشيطان

ومن أراد ألا يكون للشيطان عليه سبيل فليصحح الإيمان والتوكل والعبودية لله ، على بساط الفقر والجود والاستعانة بالله . قال الله تعالى :
« إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون » .
وقال تعالى :

« إن عبادي ليس لك عليهم سلطان » . وقال تعالى :

« وإما يترغبنك من الشيطان نزع فاسمذ بالله » .

وبصحيح الإيمان بالشكر على النعماء والصبر على البلاء والرضا بالقضاء .

وصحة التوكل بهجران النفس ، ونسيان الخلق ، والتعلق بالملك الحق ،
وملازمة الذكر .

وإذا عارضك عارض يصدك عن الله فاثبت . قال الله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ فِرَّةً فَاتَّبِعُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ
تَفْلَحُونَ » .

وتصحيح المبودية بملازمة الفقر والمجبر والضعف والقل لله . وأخذادها
أوصاف الربوبية ، فالك ولها . فلازم أوصافك ، وتعلق بأوصاف الله ، وقل من
بساط الفقر الحقيقي : يا غنى من لفقر غيرك .

ومن بساط الضعف : يا قوى من للضعف غيرك .

ومن بساط القتل : يا مزي من الدليل غيرك .

تجد الإجابة كأنها طلع يدك . واستعينوا بالله واصبروا إن الله مع الصابرين .

ومن أخذ إلى أرض الشهوة ، ولم تساعده نفسه على التحلى ، وغلب عن الفضل ، فمهوديته في أسيرين :

أحدهما : معرفة النعم من الله فيما وهب له : من الإيمان والفؤيد إذ حبيه إليه ، وزينه في قلبه ، وكره إليه أضداده من الكفر والفسوق والمصيان . فيقول :

رب أنعمت على بهذا ، ومميني راشداً ، فكيف أياأس منك وأنت نعمتي بفضلك . وإن كنت متخلفاً ، فأرجوك أن تغلبني ، وإن كنت زائفاً^(١) .

والأمر الثاني : اللجوء والانقياد إلى الله تعالى دائماً وتقول : سلم سلم ، ونجنى وأنقذنى ، فلا طريق لمن غلبته الأقدار ، وقطعته عن المبودية المحضة لله إلا هذان الأمران ، فإن ضمهما فالشقاوة حاصلة ، والحمد لازم ، والمهاد بالله .



(١) وجملة ذلك كله عهد العمل والعبادة والحركة من الله تعالى .

فصل

في آداب العزلة

اعلم أن آفات العزلة في العوام الفاسدين إلى الله تعالى على سبيل المعرفة والإستقامة في سلوك العلم إلى الله أربع :

أولها : تعلق النفس بالأسباب .

ثانيها : ركون القلب إلى الجهة المخصوصة في الاكتساب .

ثالثها : اكتساب العقل بما يحصل له من الاقتراب .

رابعها : خطورت العدو بالأمانى الصادة عن المراد .

واعلم : أن آفاتنا أيضا في خواصهم أربع :

أولها : الاستغناس بالوسواس .

ثانيها : التحدث بالرجوع إلى الناس .

ثالثها : التعديد في الوقت ، وهو من علامات الإفلاس .

رابعها : ملاقة هواتف الجن على زعمه بالمعمود من الحواس .

ولكل آفة سبيل في الجهاد بالرد إلى أصل التوحيد والمعرفة ، والحل على سبيل الإستقامة .

فإذا عرض لك عارض من جهة التعليق بالأسباب ، أو الركون إلى الجهة المخصوصة في الاكتساب ، فأرجعها إلى أصل المعرفة بالسوابق فيما قسم الله لها ، وأجرى عليها . وقل لها : أنتخذى عند الله عهداً أنك لن ترزقي إلا بهذا .

السبب ، ومن هذه الجهة ؟ وضيق عليها بالمعرفة ، وأغرقها في بحر التوحيد^(١) ،
وقل : ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وكذلك قالوا : أغرق الدنيا في بحر
التوحيد قبل أن تفرقك .

وإن عرض لك عارض من جهة اكتفاء العقل بما حصل له من علم أو عمل
أو نور أو هدى أو خطاب يتجوى فلا تنفل عن السابقة والخاتمة ، ولا من
فعل الواحد المختار الذي يفعل ما يشاء ، ولا يهتالي بمسئلات القبل ،
ولا بسيئات المذنب .

وإن عرض لك عارض من خطرات العد والصادة عن الراد ، وهي من
جهات ثلاث . إما من جهة الآخرة ، وإما من جهة الأنطاف والمنازل والأحوال
والمنازل والأحوال في الدرجات . فهي صادة عن الراد . والمراد اليهودية
الخضرة ، ووجود الحق بلا سبب من الخلق .

فإنه تعالى يتقضى منك أن تكون له عبداً ، وتحب أنت أن يكون لك ربا .
فإذا كنت له عبداً كان لك ربا . وإذا كان لك ربا من حيث ترضاه كنت له
عبداً ، ولا يدعك لغيره من طريق الحقائق ، فكيف بالأمان .

فاعلم هذا الباب ، وأتقنه جداً ، واستعن بالله ، واصبر إن الله مع الصابرين .
وإذا كنت في درجة الخواص من القاصدين وعرض لك في عزلة
المواسم بما يشبه العلم من طريق الإلهام والكشف من حيث التوهم ، فلا تقبل ،
وارجع إلى الحق المقطوع به في كتاب الله ، وسنة رسوله ، واعلم أن الذي
عارضك لو كان حقاً في نفسه ، واعترضت إلى حق بكفاه أو سنة رسوله لما

(١) تأثر بشيخه مولانا عبد السلام بن مشيش في صلواته المسأورة .

كان عليك عبث في ذلك . لأنك تقول : إن الله قد ضمن لي العصمة في جانب الكتاب والسنة ، ولم يضمنها لي في جانب الكشف والإلهام والملاحظة . فكيف بقيت ذلك من طريق الإلهام ، ولم تقبله إلا بالعرض على الكتاب والسنة .

فإذا لم تقبله إلا بهما فكيف تأنس بالوساوس الموحمة ؟ . فاحفظ هذا الباب حتى تسكون على بيئة من ربك ، وبتلو الشاهد ذلك . والبيئة لا خطأ معها ولا إشكال والحمد لله .

وإذا عارضك فيها عارض التحدث بالرجوع إلى الناس ليعرض عليهم ما أنت فيه فأنت منهم لم تخرج عنهم بشيء .

ولا تنزع باعترزال بذلك والقلب معهم ، فإن من حرب إلى الله آواه ، وصفة الحرب إليه بالسكراهة لجانبيهم ، والمحبة لجانب الحق بالاجوء والاعتصام ، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .

وإذا عارض لك عارض التحديد بجأهده بالعوارض الممكنة في العلم ، الحاملة على ذلك بما يجوز أن يكون . فامررف همك إلى الله بالتقوى ، كي يجعل لك من ذلك مخرجاً ويرزقك من حيث لا تحسب .

فإن جاذبتك هوائف الحق فأقاتها الاستشها بالمحسوسات على الحقائق التقييمات ، فلا تردها إلى ذلك فتكون من الجاهلين ، ولا تدخل في شيء من ذلك بقتلك . وكن عند ورودها كما كنت قبل ظهورها حتى يقول الحق بيا . وإيضاحها وهو يقول الصالحين .

فصل في ثمراتها

ثمرة العزلة الظفر بمواهب المنة ، وهي أربعة :

كشف الغطاء ، وتنزل الرحمة ، وتحقيق الحجة ، ولسان الصدق في الكلمة^(١)
قال الله تعالى : « فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب
نافلة . وكلا جعلنا صالحين .

فصل في المراقبة

ثم عليك أيها السالك لطريق الآخرة تحصيل ما أمرت به في ظاهرك .
فإذا فعلت ذلك فاجلس على بساط المراقبة ، وخذ بالتخلص باطنك حتى لا يبق
فيه شيء ، نهك عنه . وأعط الجذ حقه ، وأقلل النظر إلى ظاهرك إن أردت
فتح باطنك لأسرار ملكوت ربك .

فأورد عليك من خطرات تصدك عن مرادك فاعلم أولاً قرب ربك منك
علماً يباشر قلبك بتكرار النظر في جلب منافعك ، ودفع مضارك ، وانظر :
هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض .

وإن من الأرض نفسك ، ومن السماء قلبك ، فإذا نزل من السماء إلى
الأرض شيء فمن ذاك غير الله :

(١) كشف الغطاء لأن العزلة تذهب بالآفكار ، وتنزل الرحمة لعدم وجود المانع
الحائل بينها وبين القلب من الأعمال الشورية .

وتحقيق الحجة لا تحياى المبد نحو من نتاجيه ، ولسان الصدق لعدم وجود
موجب التناق وهو النظر إلى الخلق :

« يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء ، وما يرجع فيها وهو معكم أينما كنتم » .

فأعط المراقبة حقها بلزوم العبودية في أحكامها ، ودع عنك ملازمة الربوبية في أفعالها ، فإن من ينازعه يطلب ، وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الظاهر .

نعم ، الحق ما أقول لك . ما من نفس من أنفسك إلا والله متوليه مستسلما كنت أو منازعا لأنك تريد الاستسلام في وقت ، وبأبي الله إلا النزاع . وتريد النزاع في وقت آخر ، وبأبي الله إلا الاستسلام . وزلت هذه على ربوبيته في جميع أفعاله ، ولا سيما عند من اشتغل بمراعاة قلبه لتحقيق حقائقه .

فإذا كان الأمر بهذا الوصف فأعط الأدب حقه ، فيما يرد عليك بالأنا تشهد بشيء منك أولية ، إلا بأوليته ، ولا آخريته إلا بآخريته ، ولا ظاهرا إلا بظاهريته ، ولا باطنية إلا بباطنيته .

فإن شئت لما بشول الأول نظرت لما يؤول فيما يقوله .

فإن صدر عليك خاطر من محبوب يوافق النفس ، أو مكروه لا يلائمها مما لا يحرم الشرع فانظر لما يخلق الله في قلبك بأثر ما يخطر ببالك . فإن وجدت تنبيهاً فعليك بالتحقق به ، فذلك أدب الوقت عليك ، ولا ترجع إلى غير ذلك .

فإن لم تجد السبيل إلى التحقق فمرس بين يديه فهو أدب الوقت عليك . ومهما رجعت إلى غيره فقد أخطأت سبيلك .

فإن لم يكن ذلك منك ، فعليك بالقوكل والرضى والتعليم ، فإن لم نجد
السبيل إليه فعليك بالدعاء في جلب المنافع ودفع المضار بشرط الاستسلام
والنفويض .

وأحذر من الاختيار فإنه شر عند ذوى الأبصار . فإذا هي أربعة آداب :
أدب التحقيق ، وأدب التمرس ، وأدب القوكل ، وأدب الدعاء .

فمن تحقق به حفظ مده . ومن عرس بين يديه كفى من غيره . ومن توكل
عليه كفى من اختيار نفسه باختيار ربه . ومن دعاه بشرط الإقبال والحببة
أجابته إن شاء فيما يصلح له . أو منه إن شاء ما لا يصلح له . ولكل أدب بساط .

البساط الأول

بساط التحقق

إذا ورد عليك خاطر من غيره وكشف لك عن صفاته فكن هناك يسرك ،
وحرام عليك أن تشهد غيره .

البساط الثاني

بساط التمريس

إذا ورد عليك خاطر من غيره ، وكشف لك عن أفعاله ، فمرس هناك
يتحرك ، وحرام عليك أن تشهد غير صفاته شاعداً وشهوداً ، وفي الأول فناء
الشاهد ، وبقاء الشهود ،

البساط الثالث

بساط التوكل

فإذا ورد عليك خاطر من غيره ، أهني ما تقدم ذكره من محبوب أو مكروه ،
وكشف لك عن عيوبه جلست على بساط محبة متوكلاً عليه راضياً بما يبدو
لك من آثار فعله في أنوار حجبته .

البساط الرابع

بساط الدعاء

فإن ورد عليك خاطر من غيره وكشف لك عن تركك إلهه فقد ذلك على

غناه . فآخذ الفقر بساطا واحذر أن تنزل هذه الدرجة إلى غيرها فتقع في مكر الله من حيث لا تعلم . وأقل ما يكون منك إذا نزلت عنها أن ترجع إلى نفسك مدبرا لها ومختارا . فأشرف أحوالك — ولا حال لك — أن عملها على الجلد والاجتهاد . إما في ظاهرك ، وإما في باطنك طمعا أن تدفع بذلك عن نفسك ^(١) .

وما أسوأ حالك إذا كابدت أن تدفع عنها ما أَرَادَ اللهُ أن يدفعه . فكيف إذا غازته فيها لا يريد دفعه عنك .

وأقل ما في هذا الباب دعوى الشرك . فإنك قد غلبت وما غلبت . فإن كنت غالبا فكن حيث شئت . ولا تكون حيث شئت أبداً ، فدل اجتهادك على عظيم جهلك بأنمال الله . وما أقبح عاملا جاهلا أو عالما فاسقا ، فأأدري بأي شيء أصفك ، أبالجهل أم بالفسق ، أم بهما جميعا . نعوذ بالله من تعطيل النفس عن المجاهدات ، ومن خلو القلب عن للشاهدات . إذ التعطيل ينفي الشرع ، وانخلو ينفي التوحيد . وحاكم الشرع جاء بهما جميعا .

فأخرج من مفاضة ربك تسكن موحدا . وأعمل بأركان الشرع تسكن سنيا . واجمع بينهما بعين التقاليف تسكن محققا ^(٢) . « أو لم يكف بربك أنه على شيء شهيد » .

ثم إن خطر لك في مراقبتك أيضا خاطر من مكروه في الشرع أو محبوب

(١) جلع ذلك الوقوف على ضد في الحال في شهود التناقض في الفقر ، وفي شهود الفقر تقبيل بالنفي به لا بشيء سواه .

(٢) اجمع بينهما يكون بالعمل بالشرع مع شهود العمل من الله جارا على العبد ، دون استئلال به .

فيه فيما قد سلف منك فانظر ما تذكر به وتنبيه . فإن ذكرت الله به فأدبك توحيده على بساط تفريده ، فإن لم تؤدك رؤية فضله فيما حلاك به من لطائف رحمة ، وزنيك من طاعته بتخصيص محبته على بساط مودته . فإن نزلت من هذه الدرجة ولم تسكن هناك . فأدبك رؤية فضله إذ سترك فيما اقترفت من معصية ولم يكشف سترك لأحد من خلقه .

فإن صرفت عن هذا الباب ، وذكرت معصيتك ، ولم تذكر ما تقدم من الآداب الثلاثة فكن بأداب الدعاء بالتوبة منها أو مثلها وطلب التوبة لها حسبما يطلبه الجاني الخاطئ .

هذا في جانب المكروه في الشرع .

وأما إذا ورد عليك خاطر من طاعة تقدمت وذكرت من أفادكها فلا تتر حينك بها بل بمنشئها فإذا قرئت عينك بنوره فقد سقطت عن درجة التحقيق ، فإذا لم تسكن بهذه المنزلة فكن في التي تليها وهو أن تشهد عظيم فضل الله عليك إذ كفت من أهلها .

ومهراتها أن ترزق خيراً منها . بل من علاماتها الهداية على صحتها وإن لم تنبأ منها وبوئت فيما دونها : فأدبك تدقيق النظر في تلك الطاعة . هل هي وأنت سالم من اللطائف فيها . أم هي بعكس ذلك ، وأنت مأخوذ بها .

نمود بالله من حسنات تعود سيئات « وهذا لهم من الله ما لم يكونوا يحبسون » .

فإذا نزلت عن هذه الدرجة إلى غيرها فأدبك طلب النجاة منها بحسنها وسيئها . وليكن هربك من حسناتك أكثر من هربك من سيئاتك إن أردت أن تسكون من الصالحين .

فصل

اعلم أنك إن أردت أن يكون لك نصيب مما لأولياء الله تعالى فملك برض
الناس جملة إلا من يدلك على الله بإشارة صادقة وبأعمال تابعة . لا ينفصها
كعباب ولا سفة^(١) .

وأعرض عن الدنيا بالسكينة ، ولا تسكن ممن يمرض عنها ليمطى شيئا على
ذلك . بل كن في ذلك عبد الله ، أمرك أن ترفض عدوه .

فإذا أتيت بهاتين الخصلتين : الإعراض عن الدنيا ، والزهدي في الناس فأقم
مع الله بالمراقبة ، والتزم التوبة بالرعاية والاستغفار والإنابة والخضوع للأحكام
بالاستقامة .

وتفسير هذه الأربعة : أن تقوم عبد الله فيما تأتي وتذر ، وتراقب قلبك أن
ترى في المملكة شيئا لنوره . وإن أتيت بهذا نادتك هوائف الحق من أنوار
المر : إنك قد صحت عن طريق الرشد : من أين لك التيام مع الله بالمراقبة وأنت
تسمع قول الله « وكان الله على كل شيء رقيبا » .

فهناك يدركك من الخياء ما يملكك على التوبة مما ظننت أنه قربة . فقلزم
التوبة بالرعاية لقلبك ألا تشهد ذلك منك بحال فتعود إلى ما خرجت منه .
فإن صحت هذه منك نادتك هوائف الحق أيضا من قبل الحق : ليست
التوبة منك . بل الإنابة ، منه ، واشتغالك بما هو وصف لك حجاب عن
سراوك^(٢) .

(١) ومن هنا لا يجوز صعبة من يسمون بالجاذبي الذين يسقطون الأعمال
ويتسلون بالجنب ، ولا المتشدقين بأقوال جيدة عن الجادة .

(٢) ومن هنا لا أعراض على من يقول يجب التوبة من التوبة ، والمغنى : يجب
اعتبار التوبة سابقة من الله لاحقه للعبد ، فهو تعالى أجراها على عبده بمنه وكرمه .
فهو يتوب من دعوى نفسه فيها لا من عيها .

فهناك تنظر أوصافك فتستفيد بالله منها ، وتأخذ في الاستغفار والإنابة .
فالاستغفار طلب السر من أوصافك بالرجوع إلى أوصافه .

فلن كنت بهذه الصفة . أعني الاستغفار والإنابة ناداك من قريب : اخضع
لأحكامي ، ودع عنك منازعتي ، واستقم مع إرادتي برفض إرادتك . وإنما
هي دويبية تولت عبودية . وكن عبداً مملوكاً . لا تقدر على شيء ، فمضى وأنت
معك قوة وكافك إليها وأنا بكل شيء . عليم .

فلن صحت هذا الباب وزمته أشرفت من هناك على أسرار لا تسلك
نسمع من أحد من العالمين .

فصل

في القبض والبسط

قلنا يحلو العبد منهما ، يعاقبان عليهما كعقائب الليل والنهار .
والحق يقتضى منك المبودية فيها .

فمن كان وقته القبض فلا يحلو أن يعلم سببه أو لا يعلمه ، وأسباب
القبض ثلاثة :

ذنب أحدثته ، أو دنيا ذهبت عنك أو نقصت لك ، أو ظالم يؤذيك
في نفسك أو عرضك أو ينسبك لغير دين ، وغير ذلك .

فإذا ورد القبض من أحد هذه الأسباب ، والمبودية أن ترجع إلى العلم
مستعملا له ، كما أمرك .

أما في الذنب فبالقوبة والإنابة وطلب الإقالة .

وأما فيما ذهب عنك من الدنيا أو نقص فبال تسليم والرضا والاحتساب .

وأما فيما يؤذيك به ظالم فبالصبر والاحتمال ، واحذر أن تعظم نفسك
رغبة جمع عليك ظالمان ظلم غيرك ، ولذلك لنفسك . فإن فعلت ما ألزمت من
الصبر والاحتمال أيا بك سعة الصدر حتى تغفو وتصفح . وربما أتابك من نور
الرضا ما ترحم من ظلمك فتقدموا به فتجاب فيه دعوتك^(١) .

(١) وهو مقام صعب للنال يحتاج إلى عزم ومعرفة بأن السائل الحقيقي هو الله
ولا يمكن القيام فيه إلا من مقام الجمع .

وما أحسن حاله إذا رحم الله بك من ظلمك فذلك درجة الصديقين
الرحماء ، وتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين .

وإذا ورد عليك القبض ولم تعلم له سبباً ، فالوقت وقته : ليل ونهار .
والقبض أشبه شيء بالليل ، والبسط أشبه شيء بالنهار .

فإذا ورد القبض بنير سبب تعلمه ، فالواجب عليك السكون ، والسكون على
ثلاثة أشياء : من الأتوال والإرادات والحركات .

فإن فعلت ذلك فمن قريب يذهب عنك الليل بطاوع نهارك ، أو يهد ونجم
تهدي به ، أو قر يستضاء به . والنجوم نجوم العلم ، والقمر قر التوحيد ،
والشمس شمس المعرفة .

وإن تحركت في ظلمة الليل فقل ما نسلم [به] من الهلاك ، واعتبر قوله
تعالى : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتعبثوا من فضله
ولعلكم تشكرون » .

فهذا حكم العبودية في القبض بخليها .

وأما من كان وقته البسط فلا يخلو من أن يصم سبباً أو لا يعلمه .
فالأصناف ثلاثة :

السبب الأول : زيادة بالطاعة ، أو نوال من الطامع ، كالعالم والمعرفة .

والسبب الثاني : زيادة من دنيا بكسب أو كرامة أو مهبة أو صلة .

والسبب الثالث : بالمدح والثناء من الناس وإقبالهم عليك وطلب المدح
منك وتقيل يدك .

فإذا ورد البسط عليك من هذه الأسباب ، فالعبودية تنقضى أن ترى النعمة

واللغة من الله عليك . واحذر أن ترى شيئاً من ذلك من نفسك ، وحصلها أن تلازم الخوف خوف السلب مما به أفسم عليك فتكون ممقوتاً . هذا في جانب الطاعة والنوال من الله تعالى .

وأما الزيادة من الدنيا فهي نعمة أيضاً كالأولى ، وخف مما يظن من آفاتها . وأما مدح الناس لك ومناوئهم عليك فالمعبودية تقتضى شكوا النعمة بما ستر عليك وخف أن تظهر ذرة مما يعطى منك فيمقتك أقرب الناس إليك . فهذه آداب القبح والبسط في المعبودية جميعاً ، وبالله التوفيق .

وأما البسط الذي لا تعلم له سبباً غنى المعبودية فيه ترك السؤال والإدلال والصلوة على النساء والرجال ، إلا أن تقول : سلم سلم إلى المات . فهذه إن عقلت والسلام .

فصل في الفقد والوجد

اعلم أن الفقد والوجد يعاقبان علينا كعقاب الليل والنهار ، ومدار هذا الأمر على أربعة :

« كن شاكرًا لأنعم الله إذا وجدت . وراضيًا عن الله إذا فقدت . وباذلاً بفضل إذا رزقت . وأسلم وجهك إلى الله في كل أمر إذا قصدت :

« فإن حاجوك قتل أسلمت وجهي لله ومن اتبعني قتل للذين أوتوا الكتاب والأميين أسلمت . فإن أسلموا فقد اعتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » .

ولا تكن عابداً مكابداً ، ولا زاحداً معانداً ، ولا عاصياً متمادياً ، ولا مقترباً جاحداً ، فإن حظوت بالأربع كالأول فقد دخلت في ثناء الله تعالى بقوله : « شاكرًا لأنعمه احتباء وهداه إلى صراط مستقيم » .
وقال رضى الله عنه :

الولى مصان فى أربعة مواطن : من الخواطر والوساوس فى الصلاة ، ووقت الدعاء والجور إلى الله ، ووقت نزول الشدائد ، وعند تفريجها .

فهذه المواطن لا يخطر بقلوبهم ولا يخلق فيها شئ سوى الله تعالى ، وهى خروسة مصانة إلا من أربعة أصناف : من الآخرة وضدها ، ومن ذكر الأولياء وأضدادهم ، ومن ذكر الطاعات وأضدادها ، ومن ذكر حقائق الإيمان وأضدادها ، فهى مصانة من جميع الخواطر كلها إلا من هذه الأربعة لما فيها من فوائد الاستعمال بالمبودية المحضة من النهوض عن الضد .

وكيف لا يكون ذلك ورسالات ربنا على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
محشوة بذكر ذلك كله ، فلا تنازع في شيء من هذا الباب ، وأعطى الأدب حقه
فيما يحظر بقلبك ، واعتصم بالله وتوكل عليه إن الله يحب للمتوكلين .

وعليك بالتقوى في ثلاث منازل : تقوى المزام ، وتقوى الاقتضاء ، وتقوى
التحويل في الأحوال والأماكن .

والتوكل رأس الأعمال والزهد أساسها ، وتفسير التقوى في المزام : أن
تعزم في جانب الخير أن تفعله ، وفي جانب الشر ألا تفعله ، ثم تقضى من نفسك
في وقت ثمان بتقوى مجددة أن تفعل كازمت ، وأن تترك كازمت . ثم
يعرضك في الأحوال الظاهرة والباطنة أحوال كالمز والذل والفقر والصحة
والمرض والهوس والغممة وغير ذلك . وفي الباطن كالتبعض والبسط والخوف
والرجاء وغير ذلك .

ومنه أيضا السكبر والتواضع وخوف الفقر والأمن ، وسائر الأضداد .
فدهل التقوى حقها في الأحوال وفي الأوصاف وفي التحويل من بلد إلى بلد
ومن موضع إلى موضع وغير ذلك . وانظر قوله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له
مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » . « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا »
« ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا » .

فانفذ بالنهم وأنزل كل تقوى منزلها ترى العجائب من أسرار الله ومن
يتوكل على الله فهو حسبه ومن يزهد في الدنيا يحبه الله ، ومن أحبه الله كفاه
الله وكلاء الله وجهه في حرزه ومأمنه وفي كلامه وفي معاقبه ، ومن يعيش من
ذكر الرحمن نفسا أو نفسين أو زمنا أو زمنين أو ساعة أو ساعتين فيفيض له
شيطاناً فهو له قرين وإنهم ليسعدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم
يهتدون .

وقال رضى الله عنه .

من أراد ألا يضره ذنب فليقل : أعوذ بك من عذاب يوم تبعث عبادك .
وأعوذ بك من عاجل العذاب ومن سوء الحساب فإنك لمريم العاقب ، وإنك
لغفور رحيم . رب إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً فاغفر لي وتب علي لا إله إلا أنت
سبحانك إني كنت من الظالمين .

جلاء القلب :

وقال رضى الله عنه : إذا أردت ألا يصدأك قلب ولا يبعثك هم ولا كرب
ولا يبقى عليك ذنب فأكثر من قول : « سبحان الله وبحمده ، سبحان الله
العظيم . لا إله إلا الله اللهم ثبت علمها في قلبي واغفر لي ذنبي ، واغفر للمؤمنين
والمؤمنات . وقال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى »^(١) .

غلبة الشر والحق بالخير :

وقال رضى الله عنه : إذا أردت أن تغلب الشر كله ، وتلق الخير كله ،
ولا يسهفك سابق وإن عمل ما عمل قتل : « يا من له الأمر كله ، أسألك الخير
كله ، وأعوذ بك من الشر كله ، فإنك لا إله إلا أنت الغنى الغفور الرحيم .
أسألك بالمهادى محمد صلى الله عليه وسلم إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له
ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور مخففة تشرح بها صدورى

(١) وسبب إعطاء هذه الكلمات ذلك المقام تنزيه الله عن المثل ، واعتقاد
ألا موجود سواء ، ذهب المؤمنين والمؤمنات . واضداد ذلك يكون منه القيام
على القلب .

وتضع بها وزرى وترفع بها ذكرى وتيسر بها أمرى وتنزه بها فسكوى ، وترفع
بها قدرى إنك على شئ « قدیر » .

مناجاة :

وقال رضى الله عنه فى بعض مناجاته : يا الله يا رلى لا نصير يا غنى لا أحيد
أعوذ بك من دنيا لا يكون فيها نصيب لوجهك ، ومن حل آخره يكون فيها
حظ لغيرك ، وأعوذ بك من كل حركة تعرى من الافتداء بسنة رسولك ،
أو من ضرورة لا تؤدى إلى حقيقة معرفتك واعكف قلبى فى حضرتك ، وأغنى
عن رهابتى برهايتك ، إنك على كل شئ « قدیر » .

ميزان النفس :

وقال رضى الله عنه : كل نفسك وزنها بالصلاة وإقبال الناس عليك
وإعراضهم عنك وبالفقد والوجد فى الأحوال الظاهرة ، والباطنة فإن خطر
ببالك شئ تسكن إليه أو تفرح به أو تحزن عليه أو تهتم له أو من أجله فذلك
صيب يسقطك عن الولاية الكبرى والصدقية العظمى .

وعساك أن تحظى بالولاية الصغرى فى درجات الإيمان ومزيد العمل ، وأن
تعدم فيها الوسواس والظواهر لأنك بعيد من سماء الدنيا وقريب من الشيطان
والهوى يسترقون ويلقون ويقولون .

فإن أيدت بنجوم العلم وكواكب اليقين ودوام الحفظ فقد تمت ولايتك
فى هذا الباب وإلا كنت شاعرا . فحارة لك وتارة عليك على حسب ذلك .
ولك أجر الشاهد فى سبيل الله والسلام .

أصول الإرادة :

وقال رضى الله عنه : أصول الإرادة على مذهب محققى الصوفية على أربع :
الصدق فى العبودية وترك الاختيار مع الربوبية ، والأخذ بالعلم فى كل شيء ،
وإيثار الله بالهبة على كل شيء .

والصدق يتبنى على أربعة أصول : على التعميم ، والحياء ، والهبة ،
والهبة .

وترك الاختيار يتبنى على أربعة أصول : على الشهود فى القبض ، وعلى
التحقيق بالوصلة ، وعلى التصديق ، وعلى الثقة بضمان الله ووعده .

والأخذ بالعلم يتبنى على أربعة أصول : إما من طريق الإشارة ، وإما من
طريق المواجهة ، وإما من طريق الفهم ، وإما من طريق السمع .

وأما إيثار الله بالهبة فعلى أربعة أصول : إيثار الموجود^(١) على كل موجود ،
وإيثار أفعاله بالرضا عند كل مفقود^(٢) ، وإيثار محابه على مخاب نفسك . هذا
لمن نفذ .

أما من لم ينفذ فليكن مع الاستعاذ الفائذ إلى الله تعالى بهذه المثابة والسلام .

قلب المؤمن والإخلاص :

وقال رضى الله عنه : نور من نور الله استودعه قلب عبده المؤمن ، فمطلع به

(١) فى طت وطس : إيثار الوجود ، والله الوجود الحق وهو الله تعالى .

(٢) قالوا فى التدريب على الرضا أن يبدأ الإنسان يومه دون تدبير ، ويمتد أن

كل ما يلاقيه فإنما هو من علم الله ، فيسهل عليه الرضا .

عن غيره فهو الإخلاص الذي لا يطلع عليه ملك فيكتبه ، ولا شيطان فيفسده ، ولا هوى فيميله . وتتشعب عنه أربع إرادات :

إرادة الإخلاص في العمل على التعميم لله . وعلى الإخلاص للتعظيم لأمر الله .

وإرادة الإخلاص لطلب الآخرة والثواب .

وإرادة الإخلاص في تصفية العمل من الشوائب لا يراها فيه غير ذلك . .

وكل هذه الإرادات استمهدنا بها ، فنتمسك بواحدة منها فهو مخلص .
وهم درجات عند الله ، والله بصير بما يعملون . وإلى ذلك الإشارة بقوله عز وجل
فَمَا يَحْكُمُ عَنْهُ جَبْرِيلُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الإخلاص سر من
سرى استودعه قلب من أحب من عبادي وقال رضى الله عنه :

الرباء تبرئه القلب بالعمل لنور الله . من حوث لم يأذن الله تعالى .

مشهد في الإخلاص :

وقال رضى الله عنه : رأيت كائى أطوف بالكعبة طالبا من نفسى الإخلاص ،
وأنا أنفث عليه فى سرى . فإذا النداء : كم تدنون مع من يدنون وأنا السميع
للعليم القريب الخبير وتعريفى يفتيك عن علم الأولين والآخرين معا ، خلا علم
الرسول وعلم النبيين ، وإنما هو أربعة :

الإخلاص من مخلص بمخلص به لمخلص له . وهو على ضربين : إخلاص
لصادقين ، وإخلاص للصدّيقين . فإخلاص الصادقين لطلب الأجر والثواب .
وإخلاص الصدّيقين وجود الحق مقصودا به لا شئ من غيره ، فن استودع

ذلك في قلبه فهو المستثنى على إيمان عدوه بقوله : « لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين » .

العلوم :

وقال رضى الله عنه : هذه العلوم أنراس وبيان لمواقع النفوس وخواطرها ومكرها وإراداتها وقطع للقلوب عن الملاحظة وللساكنة والمرآكة على سبيل التوحيد والاشراع بصفاء المعبة ، وإخلاص الدين بالسنّة .

ولهم بعد زوائد في مقامات اليقين من الزهد والصبر والرجاء والخوف والعقل والرضا وغير ذلك من مقامات اليقين . فهذا سبيل القاصدين في طريق المعاملات .

وأما أهل الله وخاصته فهم قوم جذبهم عن الشر وأصوله ، واستعملهم بالغفر وفروعه ، وجذب إليهم الغلوات ، وفتح لهم سبيل المغااة ، فتمعرف إليهم فمرفوه ، وتحبب إليهم فأنحبوه وهدام السبيل إليه فسلكوه ، فهم به وله لا يدعهم لنهه ، ولا يحبون عنه ، بل هم محجوبون به عن غيظه ، لا يعرفون سواه ، ولا يحبون إلا إياه ، « أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولوا الألباب » .

حقيقة الطريق :

ليس هذا الطريق بالرهمانية وأكل السمير والنعالة^(١) ولا ببيتية الصناعة ،

(١) تصحيح لما شاع وذاع من مراسم الصوفية واعتقادهم الزهد في مظاهر الحياة ، بل الزهد الحق كما يقول سيدى أحمد زروق هو نزوة وقع الأشياء على القلب .

ولإنما هو بالصبر واليقين في الهداية « وجعلناهم أئمة يهتدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون . إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون .

وهذا الثمر ثمر كرم فيه خمس خصال : الصبر والتقوى والورع واليقين والعرفة . الصبر إذا أودى ، والتقوى ألا يؤذى ، والورع فيما يخرج ويدخل من حبهنا — وأشار إلى فمه — وفي القلب ألا يلج فيه غير ما يحب الله ورسوله . واليقين في الرزق ، والعرفة بالحق الذي لا يذل منها أحد لأحد من الخلق ، « واصبر إن العاقبة للمتقين ، ولا تحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

حقيقة الماقل :

وقال رضى الله عنه : الماقل من عقل عن الله بما أراد به ومنه شرعا . والذي يريد الله تعالى بالعبد أربعة : إما نعمة أو بلية أو طاعة أو معصية .

فإن كنت بالنعمة فالله يقتضى منك الشكر شرعا . وإذا أراد الله بك بلية فالله يقتضى منك الصبر شرعا . وإذا أراد الله منك طاعة فالله يقتضى منك شهود الله ، ورؤية التوفيق شرعا . وإذا أراد الله تعالى منك المعصية فالله تعالى يقتضى منك التوبة والإقامة شرعا .

فمن عقل هذه الأربعة عن الله ، وكان فيما أحب الله منه شرعا فهو عبد لله الحققة . بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « من أعطى فشكر ، ومن أبغى فصبر ، وظلم فاستغفر ، وظلم فغفر ، ثم سكت . فقالوا : ماذا يا رسول الله ؟ فقال : « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون . وفلك في قول بعضهم : ولن يسئل

ذلك إلا على عبد أحب لا يحب إلا الله وحده ، أو أحب ما أمر الله به
شرعاً لدينه والسلام .

وقال رضى الله عنه :

ورد في بعض الأخبار : من أطاعنى فى كل شيء ، بهجرانه لكل شيء ،
أطعته فى كل شيء ، بأن أتجمل له فى كل شيء حتى يرانى كل شيء ، وهذه
هى الطاعة فى حق الموام الصالحين .

أما الطاعة فى حق الخواص من الصديقين فطاعتهم باليأس منهم بإقبالهم
على كل شيء لحسن إرادة مولاهم فى كل شيء ، فسكاته يقول : من أطاعنى
بكل شيء ، بإنباله على كل شيء ، لحسن إرادتى فى كل شيء ، بأن أتجمل له
فى كل شيء حتى يرانى كل شيء أقرب إليه من كل شيء .

من مناجاته :

وقال رضى الله عنه : كنت كثيراً ما أداوم على قراءة آية الكرسي ،
وخواتم سورة البقرة ، من قوله : آمين الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا
سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها
ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا
ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة
لنا به واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات
وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم

ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض
ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم .

قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتقر من
تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير تولى الليل في النهار
وتولى النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من
تشاء بغير حساب^(١) .

• • •

اللهم إني أسألك صعوبة الظروف، وغلبة الشوق وثبات العلم ودوام الفسكرة
ونسألك صر الأسرار للامح من الإصرار حتى لا يكون لنا مع الذنوب قرار .
واجتنبنا واحدنا إلى العمل بهذه الكلمات التي بسطتها لنا على لسان رسولك ،
وابتليت بهن إبراهيم خليلك فأثمن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن
فريقي قال لا بدال مهدى الظالمين .

فاجعلنا من المحسنين من ذريته ومن ذرية آدم ونوح ، واسألك بنا سبيل
أئمة المتقين والله بصير بالعباد .

اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي
وارحمي وتب علي لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين .
وهذا الاستغفاره شأن عظيم وضياء كريم ، فتناوله ترى عجباً .

(١) سورة آل عمران .

حصون السر :

وقال رضى الله عنه : حصون السر أربعة : ارتباط القلب مع الله ، وترك
ما سوى الله ، وألا تنظر بعينك إلى ما حرم الله ، وألا تفعل قده عليك حيث
لا ترجو ثواب الله .

وقال رضى الله عنه يحكى عن أستاذه :

سيتان قلما ينفع معهما كثرة الحسنات : السخط لقضاء الله ، والظلم
لهباد الله . وحستان قلما يضر معهما كثرة السيئة : الرضا بقضاء الله ، والصبر
من عباد الله .

وقال رضى الله عنه .

لا تصحب من يؤثر نفسه عليك فإنه لثم ، ولا من يؤثر على نفسه فإنه
لا يدوم ، واصحب من إذا ذكر الله ذكر ، فأنه يتوب عنه إذا فقد ، وينفى به
إذا شهد ، ذكره نور وشهوده مفتاح القيوب ، وليكن قصدك الله ، وحبك
للموت مع كل قدم ، ولا تظل أمامك ، ولا تصحب من هو بهذا الوصف ،
ولا تعمل عليه ، وارضه بأول قدم ، وعامله بالمعروف مدة الصحة منك .

وقال رضى الله عنه حاكياً عن أستاذه أنه قال :

الأنس ثلاثة : نفس لم يقع عليها البيع لحريتها . ونفس وقع عليها البيع
لشرفيتها . ونفس مهتلة لا حرية ولا شرف .

وقال رضى الله عنه :

من لم يذق الأنس مع الله إذا أهرض عنه . من ينفع أو يؤذى بأشد من
ذوقه إذا أقبلوا عليه . فليس معه من الأنس بالله قليل ولا كثير . وإن من
أفضل الأعمال العزائم واقتضاء الوفاء .

وقال رضى الله عنه حاكياً عن أستاذه :

أفضل الأحوال أربعة بعد أربعة : المحبة لله ، والرضا بقضاء الله ، والزهد في الدنيا ، والتوكل على الله ، والقيام بفرائض الله ، واجتناب محارم الله ، والصبر على مالا يعنى ، والورع عن كل شيء يلهى .

وقال رضى الله عنه :

إذا كانت النفس غالبة والروح مغلوبة فقد حصل القحط والجذب وانقلب الأمر ، وجاء الشر كله . فعليك بكتاب الله الهادى ، وسنة رسوله الشافى ، فمن نزل بغير ما آثرتهما . وقد أصاب الشر من عدل عنهما . وأهل الحق إذا سمعوا الذنوب أعرضوا عنه . وإذا سمعوا الحق أقبلوا عليه . ومن يقترب حسنة زد له فيها حسناً .

وقال رضى الله عنه :

عمى البصيرة في ثلاثة أشياء : في إرسال الجوارح في معاصى الله ، والتصنغ بطاعة الله ، والطمع في خلق الله . فن آدمى البصيرة مع واحدة من هذه فقلبه . دف لظنون النفس ووساوس الشيطان .

وقال رضى الله عنه :

إذا أردت السلامة من الغرق فأخلص العمل لله بشرط العلم ، ولا ترض من نفسك بشيء .

وقال رضى الله عنه :

الإيمان أن تشهد أوليتك بأوليته ، وآخرتك بآخرته ، وظاهرتك بظاهريته . وباطنك بباطنيته .

وقال رضى الله عنه :

العزيز من رسخ في علم الجبهة ، وتصرف بحكم المشيئة ، لا يحكم الهوى والشهوة والطبيعة ..

وقال رضى الله عنه :

حقيقة الزهد فراغ القلب مما سوى الرب تبارك وتعالى .

وقال رضى الله عنه :

حقيقة الصدق والتقوى وجدان ما نشاء مع المولى . قال الله تعالى : « وآلهم جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون . لهم ما يشاءون عند ربهم » .

وقال رضى الله عنه :

حقيقة العلم بالخير السكون فيه . وحقيقة العلم بالشر الخروج عنه ..

وقال رضى الله عنه :

حقيقة التوبة عدم غير التوبة عند الدخول فيه ، وكلها عدد استصحاب ذلك على السكال .

وقال رضى الله عنه : حقيقة السجود إذعان القلب تحت أحكام الرب .

وقال رضى الله عنه : حقيقة ذوال الهوى من القلب حب لقاء الله في كل نفس من غير اختيار حالة يكون المرء عليها .

وقال رضى الله عنه : حقيقة المجران نسيان المجهور .

وقال رضى الله عنه : حقيقة الحبة رؤية الم محبوب على العيان وكلها فقدانك في كل وقت وأوان .

وقال رضى الله عنه : حقيقة الهمّة تملّئ القلب بالشيء اللهم به ، وكلما اتّصل القلب بالله بالإتصال عن كل شيء سواه .

وقال رضى الله عنه : حقيقة القرب للغمبة بأقرب عن القرب لمعظم القرب .

وقال رضى الله عنه : حقيقة اللريد فتدان للريد لمعظم المراد .

وقال رضى الله عنه : حقيقة القدرة أن يكون بأسه من يحب أشد من بأسه من يهينه .

وقال رضى الله عنه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، ما حقيقة المتابعة ؟ فقال : رؤية المتبوع عند كل شيء ، ومع كل شيء ، وفي كل شيء ،

وقال رضى الله عنه : الشيخ من ذلك على راحتك ، لا من ذلك عن تمبلك .

وقال رضى الله عنه : كل شيخ لم تصبك منه الفوائد من وراء خجابه غلبت بشيخ^(١) .

وقال رضى الله عنه : ليس الرجل الكامل من سقط الخوف عنه في نفسه وإنما الرجل الكامل من سقط الخوف به من غيره . قال الله تعالى : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وليس الرجل الكامل من حى في نفسه ، وإنما الرجل الكامل من حى به غيره .

(١) وهي التريية على البعد ، وهو أمر يطرر في السلوك يصرف محتاج إلى عناية ونجربة لتصديقه ، ويمكن أن يكون الشعور على البعد المقرر في علم النفس قليلا على ضعة الخلق :

وقال رضى الله عنه : التصوف تدريب النفس على العبودية وردّها لأحكام الربوبية .

وقال رضى الله عنه : الصوفى من لا يلتفت إلى الخلق ولم يركن لمواعيد الحق .

وقال رضى الله عنه : الصوفى فيه أربعة أخلاق : التخلق بأوصاف الله تعالى ، والمجاورة لأوامر الله ، وترك الانتصار للنفس حياء من الله ، وملازمة البساط بصدق الوفاء مع الله .

وقال رضى الله عنه : الصوفى من انطلق في طي سره كالمهبط في الهواء ، غهر موجودين ولا ممدومين حسب ما في علم الله . فالواريض التي تمر على السر إنعاشي للتصديق أو التأكيد ، ليعلم بذلك حقيقة التوحيد .

وقال رضى الله عنه : بحالة الأكابر بأربعة أوصاف : بالتخل من استخدام ، والليل والهة ، والتخصيص لهم . الثانى : إلقاء السمع بين أيديهم وترك ما تهوى لها يهوى . الثالث : إظهار أقوالهم وأفعالهم ، والتجسس عن عقائدهم . الرابع : الهة بما تملكت به همهم بشرط اللوافة فى أفعالهم .

وقال رضى الله عنه : أربعة آداب إذا خلا الفقهر الجود عنها فاجده والتراب سواء : الرحمة للأصاغر ، والحرمة للأكابر ، والإنتصاف من النفس ، وترك الإنتصاف لها .

وأربعة آداب إذا خلا الفقهر للتسبب منها فلا تعبأن به وإن كان أحدهم . أعلم للبرية : بجانبة الظلمة ، وإظهار أهل الآخرة ، ومواساة أهل الفاقة ، وموانظة الخس فى الجماعة .

فبجانبة الظلمة تدل على الخوف ، وإظهار أهل الآخرة يدل على الهة .

ومواساة أهل الفاقة بذل على الرجاء ، ومواظبة الخس في الجامعة بذل على الشوق .

وقال رضى الله : أحسن الناس منزلة من يجعل باللهنا حل من يستعقها .

وقال رضى الله عنه : أشقى الناس منزلة من يترضى على دواء ، وأركس في تدبيره دلياه ، ونسى المبدأ والمتهى والمسل لأخراه .

وقال رضى الله عنه : من سبق نوره عقله فهو للبارك ، ومن سبق عقله نوره فهو المسكين .

وقال رضى الله عنه : اتخذ الفتوى وطناً ولا يضرك مدح النفس ما لم تصر على الذنب أو ترضى بالمعيب ، أو تسقط منك الخشعة في الغيب .

وقال رضى الله عنه : القويحيد نور يمدحك تفهرك ويمدح غيرك لك .

وقال رضى الله عنه : في تفسيره بسم الله الرحمن الرحيم : التفتض لما انبرم .

وقال رضى الله عنه : مراكز النفس أربعة : مركز للشهوة في الخائفات . ومركز للشهوة في الطاعات . ومركز في الميل إلى الهرجات . ومركز في الدجز عن أداء المقرضات . فاقبلوا المشركين حيث وجدتمهم وخذوم واحمروم واقعدوا لهم كل مرصد .

وقال رضى الله عنه : رأس النفس إرادتها ، ويدها علمها ، ورجلها تدبيرها واختيارها .

وقال رضى الله عنه : إذا أردت جهاد النفس فاحكم عليها بالمعز

في كل حركة ، واضربها بالخوف عند كل خطرة ، واسجنها في قبضة الله أينما
كدت ، واشك مجزها إلهة كلما عقلت فهي التي لم تقدرها عليها وقد أحاط
الله بها .

فإن سخرت لك في قبضة جدير بأن تذكروا نعمة الله وتقولوا : سبحان
الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون .

وقال رضى الله عنه : قوة النفس بالعلم واللمعة والإقتداء بالنسك كتاب
والسنة .

وقال رضى الله عنه : حرام عليك أن تتصل بالحبوب وبقي لك في العالمين
مصحوب .

وقال رضى الله عنه : التقوى كسوة أنواره ، وشموه الإحاطة بصفاته ،
والانهاض عليه بذاته ، ذلك خير ، ذلك من آيات الله .

وقال رضى الله عنه : للنبون في الدنيا والآخرة من أصحاب مصائب الأجور
بمصائب الشهور ومن مسأخط الله الرضا عن الله ، ثوابه الرضا من الله . وإن
ترض من الله يرض عنك ، وإن تسخط قضاء الله يسخط عليك . كرهوا
ما أنزل الله فأحبط أعمالهم . ذلك بأنهم قوم لا يعلمون .

وقال رضى الله عنه : لا كبيرة عندنا بأكبر من اثنين : حب الدنيا
بالإبتدار ، والمقام على الجهل بالرضا ، لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والجهل
على الجهل أصل كل معصية .

وقال رضى الله عنه : مراتب الأولياء أربعة : مرتبة في القرية ، ومرتبة
في اللبث ، ومرتبة في الحقوقي ، ومرتبة في المنصور .

وقال : آداب الخفية ثلاثة : دوام النظر ، وإلقاء السمع ، والنوطين
ثلا يرد من الجسم .

وقال : ألقى بنفسك على باب الرضا ، وأخضع من هزائمك وإرادتك منفي
عن توبيخك بتوبته . قال الله تعالى : « ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو
التواب الرحيم » .

وقال رضى الله عنه : إذا كثرت عليك الوسواس قتل : سبعان الملك الخلاق
لأن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز .

وقال رضى الله عنه : الحكيم الذى علم المبدأ واللفظى ، وحكم على التوب
بما حكم عليه .

وقال رضى الله عنه : قلنا سلم مهد من الفراق ويمهد على الوفاق .

وقال رضى الله عنه : حد السخط لإرادة ما لم يرد الله بالحكم .

وقال رضى الله عنه : كنت مفنكا بعض الجبال ، فألقى فى سري : من
سكن خوف الفقر قلبه قلما يرفع له حمل ، فضقت بذلك ذوما وأقت على ذلك
طاما ، فرأيت الذى صلى الله عليه وسلم يقول لى : يا مبارك يا مبارك أهلكت
نفسك فوق بين سكن وخطر فالؤمن يخطر (بقله) ولا يسكن ، قال :
نيسكن ما بى .

وقال رضى الله عنه : كنت مريضا بالقيروان ، فرأيت الذى صلى الله عليه
وسلم فقال : ظهر ثيابك من الدنس تعظم بمدا الله فى كل نفس ، فقلت : وما ثيابى
يا رسول الله ؟ فقال : إن الله عز وجل كساب حلة المعرفة ، ثم حلة المعرفة ،
ثم حلة التوحيد ، ثم حلة الإيمان ، ثم حلة الإسلام . فمن عرف الله صغره به
كل شيء . ومن أحب الله هان عليه كل شيء . ومن وحده الله ولم يشرك به

شيئا ومن آمن بالله آمن من كل شيء ، ومن أسلم لله قلما يصيبه . وإن عصاه
اعتذر إليه ، وإن اعتذر إليه قبل عذره . قال : ففهمت عقد ذلك معنى قوله
تعالى : « وثيابك فطهر » .

وقال رضى الله عنه : يبلغ الولي مهلتا يقال له أصعبناك السلامة ورفعتنا
عنك الملامة فأصنع ما شئت .

وقال : من آمن بالقسمة حرام عليه أن ينازع في الحسكة .

وقال رضى الله عنه : لا يكون حظك من دعائك الفرح بقضاء حاجتك
دون الفرح بمناجاة محبوبك فتكون من المحجوبين .

وقال رضى الله عنه : خرجت لبيتان مع أصحابي بمدينة تونس ، ثم هدنا
إلى المدينة ، وكنا ركباناً على الحمار . فلما وصلنا قريبا من المدينة نزلوا ، وكان
الطين ، وقالوا لى : يا سيدنا ، انزل هنا ، فقلت : ولم ؟ قالوا : هذه المدينة ،
ونستحي أن ندخلها على الحمار ، فثبتت رجلى وأردت موافقتهم فإذا النداء :
إن الله لا يعذب على راحة يصحبها القواضع ، ولكن يعذب على لقب
يصحبه السكر .

وقال رضى الله عنه : بلغت من مقفلة نفسى لنفسى ، فكيف لا أياس
من مقفلة نفسى لنهوى ، ورجوت الله لنهوى فكيف لا أرجوه لنفسى .

وقال رضى الله عنه : إرجاعك السر إلى حقيقة القرب منك كامتداده إلى
حد البعد عنك ، وإنما هما صفان ، وصف القناء ، ووصف البقاء ، فإن كنت
بالبقاء فلا قرب ولا بعد ، كما لا وصل ولا قطع . وإن كنت بالبقاء فقد حلت
ما قال « نبي يسمع وبى بهصر » .

وقال رضى الله عنه : بالسعادة وسع عبد علم الحق فتواضع لأهله ، ووسم
بالشقاوة عبد علم الحق وتكبر على أهله وإن عمل ما حمل .

وقال : المحبة أصل في الإنعام ، فمن أحب الله فهم عنه كل شيء .
وقال : خصلتان تسهلان الطريق إلى الله تعالى : للرفة والمحبة « حبك
الشيء يسمى رغبة » .

وقال : إذا أردت أن تغلب العدو فعليك بالإيمان والتوكل ، وصدق
المهودية ، والاستمادة بالله من نزغاته ، قال تعالى : « إنه ليس له سلطان على
الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون » . وقال : « إن عبادى ليس لك عليهم
سلطان » . وقال : « وإما ينزغوك من الشيطان نزع فاستمذ بالله » .

وقال رضى الله عنه : اتخذ الله ولياً ، والشيطان عدواً ، وقد استترحت .
وقال رضى الله عنه : أحسن الحصون ما أخبرك عنه من الإستغفار .
وحقيقته ألا يكون لك مع غير الله قرار . قال الله تعالى : « وما كان الله
مذبذباً وهم يستغفرون » .

وقال رضى الله عنه : مدار الأعمال على أربعة أشياء : المحبة والإخلاص
والحياء والإيمان ، المحبة بالخوف ، والإخلاص بالعلم ، والحياء بالتعظيم ،
والإيمان بالصدق .

وقال رضى الله عنه : للعرفة ما قطعك من غير الله ، وردك إليه .
وقال : إذا منعتك ما تحب ، وردك إلى ما يحب فعلى علامة محبته لك .
وقال : أوصانى أستاذى رضى الله عنه فقال : ادرب من خير الناس أكثر
مما تهرب من شر الناس . فإن شرم يصيبك في بدنك ، وخهرم يصيبك
في قلبك . ولأن تصاب في بدنك خير من أن تصاب في قلبك .
وقال : لمدو ترجع به إلى مولاك خير من حبيب يشغلك عن مولاك .

وقال في قوله صلى الله عليه وسلم « الصلاة صلة بين العبد وربّه » . فقال :
علامة الوصلة انصباب الرحمة بشواهد المحبة . وشواهد المحبة رفع الحجاب .
والانفاد بالخطاب .

وقال : رأيت أبا بكر الصديق رضى الله عنه في المنام فقال لى : هل تدري
ما علامة خروج حب الدنيا من القلب ؟ قلت : لا . فقال : تركها عند وجدها ،
ووجدان الراحة منها عند فقدانها .

وقال : أورد الصادقين الصوم والصلاة والذكر والتلاوة وحفظ الجوارح
ورد النفس عن الشهوات ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أصول
أربعة : الزهد في الدنيا ، والتوكل على الله ، والرضا بقضاء الله ، والصبر على
بلاء الله .

والحب الصافي على مبان أربعة : الإيمان والتوحيد ، وصدق الأنبياء ، وعقد
الهمة ، ومن لم تكن فيه أربع انفصال فلا ترجو له فلاحا : العلم والورع والخشية
والنواضع لعباد الله .

وقال يحكى عن أستاذه أنه قال : عبادة الصديقين عشرون : كلوا واشربوا
والبسوا واركبوا وانكحوا واسكنوا وصموا كل شئ . حيث أمركم الله ،
ولا تسرفوا واحبوا الله ولا تشركوا به ، واشكروا ، وعليكم بكف الأذى
وبئذلى البدى ، فإنها نصف العمل .

والنصف الثانى أداء الفرائض ، واجتناب الحارم ، والرضا بالقضاء ،
وإن عبادة الله المنكر فى أمر الله ، والتفقه فى دين الله ، وأمين العبادة الزهد فى
الدنيا ، ورأسها التوكل على الله ، فهذه عبادة الأشخاص من المؤمنين « وإن كنتم

رضي الله عنهم واستشفوا واستمروا بالعلماء ، واختاروا منهم الأتقياء الهداة للتوكلين .
 بالله .

وقال : سأبني أستاذي رحمه الله من ورد المحبتين ، فقال : عليك بإسقاط
 ربي ، ومحبة الولي آية المحبة إلا يشتغل محب بغير محبوبه .

وقال : دخل على شخص وأنا بالغرب فقال لي : سمعت أن عندك الحكيمياء^(١)
 لفي . فقلت : أهلكها لك ولا أغادر منها حرفاً إن كنت قابلاً . فقال : إني
 لله أقبل . فقلت : أسقط الخلق من قلبك ، واقطع الطمع من ربك أن يعطيك
 رماً سبق لك . فقال لي : ما أطلق هذه . فقلت له : ألم أقل لك : إنك
 تقبل هذا . فانصرف عني .

وقال : من استغنى بالله فهو فقير ، ومن استغنى بجاهه فهو حقير ، ومن
 غنى بمشيرته فهو ذليل ، ومن استغنى بحسناته فهو مفلس ، ومن استغنى بالله
 والحق على الحقيقة .

وقال رضي الله عنه عن أستاذه : أنه سمعه يقول لرجل استأذنه في المجاهدة
 له : فأجابه بقوله تعالى : « لا يسألك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر
 أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله » .

وقال : علامة التغويض عدم الاضطراب عند نزول السكاره .

وقال : كان لي صاحب ، وكان كثيراً ما يأتيني بالتوحيد . فرأيت في النوم
 لي أقول له : يا عبد الله ، إن أردت أني لا لوم فيها فليكن الفرق في لسانك
 وجوداً ، والجمع في شرك مشهوداً .

(١) هو تحويل المادني إلى ذهب ، وهي فسكرة خرافية استولت على عقول الناس .
 المنع فيها للكتب .

وقال : كنت في منارة فقلت : يا إلهي متى أكون لك عبداً شكوراً .
فسمعت النداء من جوف المنارة : إذا لم ترفي الوجود منها عليك غيره فأنف
إذا عبد شكور . قلت : الأنبياء أفضل مني ، ولللوك في الدنيا أقم مني .
فقال : لولا الأنبياء ما عرفتنا ولا اعتديت لإينا . ولولا اللوك ما هنت لك
للعيشة . فالسكل نعمة مفا عليك .

وقال : دخل على بعض كبار الدولة بالمنرب فقال لي : ما أرى لك كنه
عمل ، فأخبرني بم فقت القاس وعظموك . قلت : لي حسنة واحدة افترضها الله
على نبيه صلى الله عليه وسلم تمسكت بها . فقال : وما هي ؟ فقلت : الإعراض
عندكم وعن دنياكم . قال الله تعالى : « فأعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد
إلا الحياة الدنيا » .

وقال : قرأت آية في وردى : « ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . إنهم
لن ينفذوا علك من الله شيئاً » . فسمت ، قرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لي : أنا عن أهل ولا أغنى علك من الله شيئاً .

وقال : استوصيت أستاذي رحمه الله فقلت له : أوصني . فقال لي : لا تنهم
الله في شيء ، وعليك بحسن الظن به في كل شيء ، ولا تؤثر نفسك على الله
في شيء .

وسأله رضى الله عنه في قوله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن لا يذل لنفسه » .
فقال لي : أى : طواه .

وقال : أرحم الناس بالناس عبد يرحم من لا يرحم نفسه .

وقال : قرأت آية في وردى قوله تعالى : « كل من عليها فان . ويبقى وجهه »

ربك ذو الجلال والإكرام . فرأيت أبا بكر رضى الله عنه فى المنام فقال لى :
« صل من يبقى وأجر من يغنى تجلّ وتسكروم ، تجلّ عن الفناء ، وتسكروم
بالبقاء » .

وقال : العلوم على التلوث كأنه نازل والهدام فى الأيدى إن شاء ففعل بهاء
وإن شاء ضرر^(١) .

وقال : بساط الكرامة أربع : حب بشئك من حب غيره ، ورضى
يتصل به حبك بحبه ، وزهد يحثك بزهد فى برته ، وتوكل عليه يكشف لك
عن حقيقة قدرته .

وقال : ليكن همك ثلاثا : التقوى والتقوى والخير ، وقوها بثلاث :
التذكر والاستغفار والصمت عبودية لله ، وحسن هذه الستة بأربع : الحب
والرضا والزهّد والتوكل .

وقال : من دعا إلى الله بغير ما دعا به رسوله فهو يدمى .

وقال : رأيت كأنى مع النبيين والصديقين ، فأردت السكون معهم ،
ثم قلت : اللهم اصلك بى سييلهم أجمع العانية مما اجهلتيهم فإنهم أقوى ونحن
أضعف منهم . ففعل لى : وما قدرت من شئ فأيدنا كما أيدتهم .

وقال : رأيت كأنى فى الحل الأعلى فقلت : إلهى ، أى الأحوال أحب
إليك ، وأى الأقوال أصدق إليك ، وأى الأعمال أدل على محبتك ، فوقفى
واهدنى . ففعل لى : أحب الأحوال إليه الرضا بالمشاهدة . وأصدق الأقوال
عنده قول لا إله إلا الله على النظافة . وأدل الأعمال على محبته بنض الدنيا .

(١) وكذلك طهريان العلم يشبه طهريان المال .

والجائس من أهلها، مع اللواقعة .
 وقال : كرامة الصديقين خمسة :
 أولها : دوام الذكر والطاعة بشرط الاستقامة .
 والثانية : الزهد في الدنيا بإيثارة القلب .
 والثالثة : تجديد اليقين مع الممارضات .
 والرابعة : وجود الوحشة مع أهل اللقعة ، والأنس من أهل الضررة .
 والخامسة : ما يظهر على الأبدان من طي الأرض وللشي على الماء ونعيم
 للماء وغير ذلك مما لا يجرى تحت حكم العادة .

ولهذا انفصل أوقات وأشخاص وأماكن . فمن طلبها في غير زمان طلبها
 حرماً . ومن طلبها في غير وقتها قلما يثمر عليها . وعلى الجملة لا يسطاها من طلبها .
 ولا من يحدث نفسه بها واستعمل نفسه في طلبها . إنما يسطاها عبد لا يرى
 نفسه ولا علمه وهو مشغول بمحباب الله ناظر لفضل الله . آيس من نفسه وحمله .
 وقد ظهرت على من استقام في ظاهره وإن كانت هناك النفس في باطنه :
 ظهورت على من عبد الله في الوجة خمسمائة عام ، قليل له : أدخل الجنة برحمتي .
 فقال : بل بعمل .

وقال ، يهكي عن رجل سأل أسقافه فقال : نطف على فطائف وأوراداً .
 فنضب منه الأسقاف فقال : أرسل أنا ، أوجب الواجبات . الفرائض معلومة ،
 والمعاصي مشهورة . فسكن للفرائض حافظاً ، والمعاصي رافضاً ، واحفظ قلبك
 من إرادة النيل ونوح النساء وحب الجاه ، وإيثار الشهوات . واقنع من ذلك
 بما قسم الله لك إذا خرج لك مخرج الرضى ، فسكن لله فيه شاكراً ، وإذا خرج
 لك مخرج السخط فكن عنه صابراً .

وحب الله قطب تدور عليه الظهورات ، وأصل جامع لأنوار التكرامات ،
وحضور ذلك كله أربعة : صدق الورد ، وحسن الفية ، وإخلاص العمل ،
ومحبة العلم . ولا تتم لك هذه الجلة إلا بصحبة أخ صالح أو شيخ ناصح .
وقال : قلت على مصيبة نزلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني
في مصيبتى ، واعتقبى خيراً منها ، فألقى في سري أن أقول : فاغفر لى بسببها
وما كان من تراجمها ، وما اتصل بها ، وما هو محشوبها ، وكل شيء كان
قبلها ، وما يكون بعدها ، فقلتها . فهانت على ، فلو أن الدنيا كلها كانت لى
فى ذلك وأصبت فيها لمات على ، ولما كان ما وجدت من برد الرضى والتسليم
أحب إلى من ذلك كله .

وقال : من أجل مواهب الله الرضا بمواقع القضاء ، والصبر عند نزول
البلاء ، والتوكل على الله عند الشدائد ، والرجوع إليه عند النوائب ، فمن
خرجت له هذه الأربعة من خزائن الأعمال على بساط المجاهدة ومتابعة السنة
والإقتداء بالأئمة فقد صحت ولايته لله ورسوله وللمؤمنين ، ومن يتولى الله
ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون .

ومن خرجت له من خزائن اللان على بساط المحبة فقد تمت ولاية الله له بقوله
« وهو يقول الصالحين » . ففرق بين الولايتين . فمهد يتولى الله ، وعهد يتولاه
الله . وما ولايتان : صفى وكبرى . ففسره : ولايتك الله خرجت من المجاهدة ،
ولايتك لرسوله خرجت من متابعة صفقه ، ولايتك للمؤمنين خرجت من
الإقتداء بالأئمة ، فانهم ذلك من قوله : « ومن يتولى الله ورسوله فإن حزب الله
هم الغالبون » .

وقال : من علم الولايتين بالله ، وبما لك عند الله أن تتماهى بين الخلق تصبر به
عند الحق ، وإن صبرت به فى أعين الخلق بلا اعتراض من الشرع ،
(م ١١ - هرة الأسرار)

ولا منازعة من الطبع ، بل من عين اليقين نسيان الخلق عند الشدائد ،
وتتابع الفوائد بسواطع الشواهد ، بل من حق اليقين الفرق في الشيء كأنك
في نفس الشيء ، كن اضطر إلى ركوب البحر فركب السفينة فانكسرت
وتلاطمت عليه أمواجه . فمنهم يمد من ينفى ويذهب مع القاهلين أو ينقل إلى
دوجات علويين . ومنهم من يحى ويبقى مع الباقين .
ولاحظ الانتداء فيه ، بل هو مستور عن الخلق أجمعين .

ومنهم من يبقى برزخا بين الحق والخلق ، ظاهراً بالمتين ، كاملاً في الوصفين ،
قدوة للقلوب . ومنهم كالإمام الأكبر القدوة القطب الجامع الفوئد المختص
بالأسماء والصفات والأنوار والأخلاق وما لا يسع أن يسمعه سامع .

ومن دونهم من لا درجة له من الأربلاء والأكتياء والمباد والزهاد ، ومن
أهل النظر بالليل والبرهان ولم يطالع بهد على الكشف والامعان .

ومن دونهم أهل الوسائل بالأعمال والأجوال . وأهل التخطيط في الأقوال
والأنفال « ومن بين الله فانه من مكرم إن الله يقبل ما يشاء » .

فصل

في المحبة

قال رضى الله عنه حاكياً عن أستاذه رحمه الله: إثم الطهارة من الشرك ،
كلما أحدثت تطهرت . لا تشرك بالله شيئاً . ومن دنس حب الدنيا كلما ملت
إلى شهوة أصلعت بالتوبة ما أفسدت بالهوى أو كدت ، وعليك بمحبة الله
تمالى على التوقيف والزاهدة ، وأدمن الشرب بكأجهما مع السكر والصحو كلما
أفقت أو تيقظت شربت حتى يكون سكرك وصحوك به ، حتى تغيب بجماله
عن المحبة ومن الشراب والشرف والسكاس بما يهدو لك من نور جماله ،
وقدس كال جلاله .

ولعل أحدث من لا يعرف المحبة والشراب ، ولا الشرب ولا السكاس ،
ولا السكر ولا الصحو .

قال له القائل : أجيل وكم من غريق في الشيء لا يعرف بفرقه ، فعرفني
جوابي لا أجيل ، أو لما من به على وأنا عنه غافل .

قلت له : نعم ، المحبة : آخذ من الله قلب من أحب بما يكشف له من جماله
وقدس كال جلاله والأنوار والأنوار ، والأسماء بالأسماء ، والدنوت بالدنوت .
والأعمال بالأعمال ، ويقس فيه النظر لمن شاء الله من وجل .

والشرب : حتى القلب والأوصال والعروق من هذا الشراب ، حتى يسكر
ويكون الشرب بالتدريج بعد التدريج والتهذيب ، فيسقى كل على قدره ،
فمنهم من يسقى بفهر واسطة ، والله سبحانه يقول ذلك منه له . ومنهم من

يسقى من جهة الوسائط بالوسائط ، كاللانسكة والعداء والأكار من اللقوبين .
فمنهم من يسكر بشهود الكأس ولم يذق بعد شيئاً ، فما ظنك بمد بالذوق ، ومد
بالشرب ، ومد بالرى ، ومد بالسكر بالمشروب .
ثم الصحو بعد ذلك على مقادير شتى ، كما أن السكر كذلك أيضاً .

والكأس : معرفة الحق ، يعرف بها من ذلك الشراب الطهور المحض .
الصابى لمن شاء من عباده الخصوصيين من خلقه ، فتارة يشهد الشارب تلك
الكأس صورة ، وتارة يشهدا معنوية ، وتارة يشهدا علمية ، فالصورة :
حظ الأبدان والأنفس ، والمعنوية حظ العقول والقلوب ، والعلمية حظ الأرواح :
والأسرار .

فيا له من شراب ما أعذبه ، فطوبى لمن شرب منه وداوم ، ولم يقطع عنه ،
فنسأل الله من فضله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وقد يجمع جماعة من الهيبين ، فيسقون من كأس واحدة ، وقد يسقون
من كثرة ، وقد يبقى الواحد بكأس ويكثر ، وقد تختلف الأشرية .
حسب عدد الأكؤس وقد يختلف الشرب من كأس واحدة ، وإن شرب منه
الجم النفوس من الأجيال .

وسئل أيضاً عن الحبة فقال : الحبة آخذة من الله قلب موهبة من كل شيء .
سواء . فترى النفس مائلة لطاعته ، والقلوب متحسناً بغيرته ، والروح مأخوذة
في خضرته ، والسر مغفوزاً في مشاهدته ، والعبد يستزيد فيزاد ، ويفتح
هو أعذب ممن لا يفتح ، فبفتح حلل التوبيخ على بساط القرية ،
ويسمى أنسكار الجاهل ، وثبات المولود ، فمن أجل ذلك قالوا : أولياء الله
عرانس .

قال له القائل : قد علمت الحب ، فما شراب الحب ، وما كأس الحب ،
وما الساق ، وما الحق ، وما الشرب ، وما الرى ، وما السكر ،
وما المصهور ؟

قال له : للشراب هو النور الساطع من جمال المحبوب ، والكأس هو اللطف
الواصل ذلك إلى أفواه القلوب ، والساق هو التولى للمختصين الأكبر ،
والصالحين من عباد الله وهو الله العالم بالمقادير ومصالح أعبائه .

فن كشف له عن ذلك الجلال وحظى به نفساً أو نفسين ثم أرحى عليه
الحجاب فهو اللذائق للشتاق . ومن دام له ذلك ساعة أو ساعتين فهو الشارب
حقاً ، ومن توالى عليه الأمر ، ودام للشراب حق امقلات عروقه ومفاصله من
أنوار الله المحزونة فذلك هو الرى ، وربما غاب عن المحسوس والمقول فلا يدرك
ما يقال ولا ما يقول ، فذلك هو السكر .

وقد تدور عليهم الكاسات ، وتختلف لديهم الحالات ، ويردون إلى الذكر
والحالات والطماعات ، ولا ينجبون عن الصفات ، مع تراحم للتدورات ،
فذلك وقت صبحهم واتساع نظرم ، ومزيد علمهم ، فهم يتجوز العلم وقر
التوحيد يتدون في ليلهم ، ويشموس المعارف يستضيئون . أولئك حزب الله ،
ألا إن حزب الله هم الغالبون .

فصل

في الورع

سئل رضى الله عنه عن الورع فقال : الورع نعم الطريق لمن عجل ميراثه ، وأجل ثوابه ، فقد انتهى بهم الورع إلى الأخذ من الله وعن الله ، والقول بالله ، والعمل لله وبالله ، على الهيئة الواضحة والبصيرة الفائقة ، وهم في عموم أوقاتهم وسائر أحوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يرتحلون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا ينطقون ولا يهبطون ولا يمشون ولا يتحركون إلا بالله تعالى والله .

جهم بهم العلم على حقيقة الأمر ، فهم مجموعون في عين الجمع ، لا يفترقون فيها هو أملا ولا فيها هو أدنى وأما أدنى الأدنى فأنه يورعهم من ذلك ثوابا . لورعهم مع الحفاظ لمنازعات الشرع عليهم : ومن لم يكن لعله وعمله ميراث فهو محبوب بدنيا أو مصروف بدعوى .

وميراثه التقوى خلقه والاستكبار والصولة بعله ، والالهالة على الله بعله . فهذا هو الخسران للبهن والعياذ بالله العظيم من ذلك .

والأكياس بقورعون من هذا الورع ، ويستميزون بالله منه ، ومن لم يزد بعله وعمله افتقارا لربه وتواضعا لخلقته فهو هالك ، فسبعان من قطع كثيرا من أهل الصلاح بصلاحهم عن مصالحهم ، كما قطع للفاسدين بفسادهم عن موجدكم . فاستعن بالله إنه هو السميع العليم .

مشاهد شتى

وقال رضى الله عنه : رأيت كائى جالس مع رجل من أصحابى بين يدي
أستاذى ، فقال لى : احفظ حق أربعة فصول . ثلاثة منها لك ، وواحدة
لهذا المسكين .

لا تختار من أمرك شيئا ، واختار ألا تختار ، وفرو من ذلك الخمار ، ومن
فوارك ، ومن كل شيء إلى الله . وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة
من أمرهم . وكل مختارات الشرع فهي مختار الله ، ليس لك منه شيء ، ولا يد
لك منه ، فاسمع وأطع . وهذا موضع الفقه الربانى ، والعلم الإلهى ، وهو
أرض لم الحقيقة لتأخوذ عن الله إن استوى ، فافهم واقرب . وادع إلى ربك
إنك لملى هدى مستقيم . وإن جادلوك قل الله أعلم بما تعملون .

وعليك بالزهد فى الدنيا ، والتوكل على الله ، فإن الزهد أهل فى الأحوال ،
والتوكل رأس فى الأحوال . واستشهد بالله واعتم به فى الأقوال والأفعال
والأخلاق والأحوال . ومن يعتمد بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .

وإياك والشك والشرك والطمع والاعتراض على الله فى شيء ، واعبد الله
على القرب الأعظم تحفظ بالحبة والاصطفائية والتخصيص والتولية من الله
والله ولى المتقين .

ثم قال لى : والذى قطع نفس هذا للسكين عن الوصلة بطاعته ، وحجب قلبه
عن تحقيق معرفته ، وشغل عقله عن شواهد توحيده ، أمران : دخوله فى عمل
دنياه بتدبيره ، وفى عمل أخراه على الزيف فى مواهب محبوبه . فغائب الله
بالحجاب ، وترادف الأرياب ، ونسيان الحساب ، وأغرته فى بحر التدبير

والتهديد ، ودلى فيه بورع التكدير . أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه
والله غفور رحيم .

فارجعوا إلى الله في أوائل التدبير والتقدير تحظوا ، بهدد العيسر ومحال
بيدكم وبين العيسر ، وكل ورع لا يترك العلم والنور فلا تعد له أجراً ، وكل
حيثما يعتبها الخوف والحرب إلى الله فلا تعد لها وزراً .

ثم أشار وقال : خذ رزقك من حيث أوزاك الله ، باستعمال العلم ، وبمعاونة
اللسنة ، ولا ترق قبل أن يرق بك فنزل قدمك .

وقال رضى الله عنه : كنت بالمصورة فلما كان ليلة الثامن من ذى الحجة
بيت في م من أمر المسلمين ومن أمر الثغر أعنى الإسكندرية خصوصاً ، وكنت
أدهو وأتضرع إلى الله في أمر السلطان والمسلمين . فلما كان آخر الليل رأيت
قسطاطاً واسع الأرجاء عاليًا في السماء ، يملؤه نور ، يزدهم عليه خلق كثير
من أهل السماء ، وأهل الأرض مشغولون عنه .

فقلت : لمن هذا القسطاط ؟ فقالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم فبادرت إليه
بالفرح ، فلقيت على بابه مصابة من الدماء والمصالحين نحواً من السبعين ، أعرف
منهم للفقهاء عز الدين بن عبد السلام ، والفتية مجد الدين مدرسين قوم ، والفتية
الكمال بن القاضى صدر الدين ، والفتية المحدث محي الدين بن سراقه ،
والفتية الحكيم ابن أبي الحوافر ، ومعهم رجلا لم أر أجل منهما ولم أعرفهما ،
غير أنى وقع لى ظن فى حالة الرؤيا أنه للفتية زكى الدين بن مبد العظيم المحدث ،
والشيخ مجد الدين الإسمي .

وأردت أن أتقدم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فألذمت نفسي التواضع
والأدب مع الفقيه عز الدين عهد السلام ، وقلت لنفسى : لا يصاح لك التقدمة
بين عالم الأمة في هذا الزمان . فتقدم الفقيه وتقدم الجميع ، ورسول الله صلى الله
عليه وسلم يشهر إليهم ، هنا وشمالا أن اجلسوا . وتقدمت وأنا أبكي بالهم والفرح .
أما الفرح فن أجل قربي من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنسب ، وأما الهم
فن أجل المسلمين والثفر ، وحن طبعي إليه صلى الله عليه وسلم فد يده حتى قبض
على يدي وقال لى : لا تهتم كل هذا الهم من أجل الثفر وعليك بالنصيحة لرأس
الأمر يعنى السلطان . فإن ولى عليهم ظالم فما عسى ، وجع أصابع يديه الخمس من
يده اليسرى كأنه يقال للذة . وإن ولى عليهم تقي فالحمد لله ولى المؤمنين . وبسط يده
اليمنى واليسرى .

وأما المسلمون فحسبك الله ورسوله وهؤلاء المؤمنون ، ومن يقول الله ورسوله
والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون .

وأما السلطان فيد الله ببسطة عليه برحمته ، وأولى أهل ولايته ونصح
ولايته ونصح المؤمنين من هباده ، فأنصحه وقل في الظالم عدو الله قولا بلاهنا .
واكتب له : فاصبر إن وعد الله حق ، ولا يستخفك الذين لا يوقنون . فقلت :
فمصرنا ورب الحكمة ، وانقبت .

وقال رضى الله عنه : استأذنى بعض الفقراء لحضور السماع ، فهممت بذلك ،
فرايت استأذنى رضى الله عنه وفى يده اليمنى كتاب فيه القرآن العظيم وحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يده اليسرى أوراق فيها شعر موجز وهو يقول
كالشترى : تملكون عن العلوم الزكية إلى علوم ذوى الأهواء الردية . فن
أكثر من هذا فهو عهد مرقوق لهواه ، وأشهد لشهواته ومناه ، يستفزون بها

قلوب أهل الثقة والنشوان وأهل الضلالة والعميان، ولا إرادة لهم في عمل الخير
واكتساب النيران ،

يتأيلون عند سمعها تمايل الصبيان . لكن لم ينفع الظالم لمقلب الله أرضه سماء
وسماء أرضا .

قال : فأخذي منه حال يوجد وأنا أقول له : نعم يا أستاذي ، إلا أن النفس
أرضية ، والروح سماوية ، فقال لي : نعم يا علي . إذا كانت الروح بأقطار العلوم
دائرة والنفس بالأعمال الصالحة ثابتة ، فقد حصل الخير كله . وإذا كانت النفس
غالبة والروح مغلوبة فقد حصل النحط والجذب ، وانقلب الأمر وجاء
الشر كله .

فعليك بكتاب الله المادي ، وكلام رسول الله الشافي ، فلا تزال بخير
ما آثرتهما ، وقد أصاب الشر من عدل عنهما . وأهل الحق إذا سمعوا التلوين
أعرضوا عنه ، وإذا سمعوا الحق أقبلوا عليه . ومن يقترب حنينة نزهة
فيها حسنا .

وقال رضي الله عنه : رأيت أستاذي تحت العرش قلت له : يا سيدي .
رأيتك البارحة تحت العرش . فقال لي : ما رأيت إلا نفسك . يا علي ، من كان
مع الله بلا أين كيف يرى ؟ ولكن إذا ورثت مقامى تراني .

مشاهد أبي العباس

وقال سيدنا أبو العباس للرسي رضي الله عنه ونفع به :

لما سافرت للديار المصرية صحبة الشيخ رضي الله عنه لحقاني فاقة وشدة في الطريق، فقال لي: يا أحمد إن الله تعالى خلق آدم بيده، وأسجد له ملائكة، وأسكنه الجنة نصف يوم، وهو خمسمائة عام، ثم أنزله إلى الأرض. والله ما أنزله إلى الأرض ليقصه، وإنما أنزله ليكله. والله لقد أنزله قبل أن يخلفه، فقال: إني جاهل في الأرض خليفة. وإن آدم كان يعبد الله في الجنة بالتعريف، فأنزله إلى الأرض ليعبد الله بالتكليف حتى يستكمل فيه اليهوديتان: يهودية التعرف، ويهودية التكليف. ولذلك استحق أن يكون خليفة.

وأنت كنت في سماء العارف، فأنزلت إلى مقام تعب النفس والتكليف فتستحق أن يكون خليفة.

وقال رضي الله عنه :

لما سافرت صحبة الشيخ زهدى أبي الحسن رضي الله عنه ونزلنا بالإسكندرية عند حمود السواري، وكنا جياعاً، خرج إلينا طعام كثير، فأمرنا ألا نأكلوا منه شيئاً، فلما صلحنا الصبح قال: قدموا ما عندكم، فملأنا سماًطاً وقال: خوطبت البارحة في هذا الطعام، فقول لي: أحل الحلال ما أتاك من ذور سؤال، ولم تسأل فيه أحداً من النساء والرجال.

وحديثي الشيخ الصالح الفقيه أبو عبد الله بن حريز قال: حدثني رجل من الصالحاء الفضلاء من أهل الجزيرة القبطية قال: خمار ببالي ليلة أن كان في زمانا

من يقتدى به من السادات وأهل خرق المادات ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي : أنوار الشيخ أبي الحسن الشاذلي لائحة في الأكوان ، أو قال : في الوجود فن تمسك بشيء منها ، فقد تمسك بالخبر كله .

وحدثني أيضا قال : رأيت في كتاب لطائف اللذن في فضائل الشيخ الولي أبو العباس للرعي وشيخته سيد أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهما قال : خطر بهالي إن كان شذ عن الشيخ أبي الحسن شيء من العلوم التي اختصت بها الملائكة ، فدخلت عليه فقال لي : إن ملائكة السماء السابعة يأتون إلى ملائكة سدرة المنتهى ، فأمدم بما أمدني الله تعالى .

وحدثني الشيخ الصالح أبو العباس الحاملي قال : سمعت الشيخ الولي الفاضل أبا عبد الله بن سلطان رحمه الله يقول : قال الشيخ رضي الله عنه يوما في مجلسه : ليس لأحد من خلق الله علينا منة ، وكان في المجلس الفقيه القاضي الانصاري بالإسكندرية ناصر الدين بن المنذر ، فقال له : وما تقول فيما قاله جديك رضي الله عنه جملت القلوب على حب من أحسن إليها . فقال : إنا لا نرى الحسن إليها إلا الله سبحانه ، فجلت قلوبنا على محبته ثم قال له : يا بن المنذر تنقذ علينا ، فوالله لتموت ثلاث ثلاث موتات : مودة القل ، ومودة الفقر ، ومودة القضاء . ولكن تموت مسلما .

قال : فمزل من القضاء ، وابتلى بالفاقة ، حتى لا يجد خبز الشعر يشبع به أولاده ، والقل حتى لا يلتقي من يسلم عليه .

وحدثني الشيخ الفقيه العالم أبو عبد الله بن حريز ، قال : لما توفي الشيخ رضي الله عنه بمصيصة ، استعمل الفقيه ابن المنذر السفر إلى ضريحه ، وأقام عنده أياما ، واعتذر عنده ، وأنشد أبياتا يعظم بها ، قال : فرآه في النوم فقال له :

قد قبلنا عذرك ، فارجع إلى بلدك ، واهمل شرحا على كتاب الله تعالى ، وسيفتح عليك فيه .

قال : فرجع إلى الإسكندرية فآلف شرحا عظيما وفتح عليه فيه ، وهو الآن مشهور عنه . ولما توفي رؤى في النوم في حال حسنة . فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : وقفت بين يديه ، واجتمعت بالشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه . فعاملني بمعاملة الأخيار والأبرار ، فشفع في إلى الله سبحانه وتعالى .

* * *

ومن نظم الشيخ الولي أبي العباس المرسى

نعمنا الله به ويشيخه ورضى عنهما

وقوم تاهوت بأرض قفر
وقوم تاهوا في ميدان حبه
فأنفوا ثم أنفوا ثم أنفوا
وأبقوا بالبقاء من قرب قربه

قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في تأليفه : وجدت بخط سيدي
أبي العباس المرسى نعم الله به :

أعذك من لولي حديث محر
بإرادته يحيى الرميم وينشر
فمهدى بها العهد القديم وإلى
كل حال في عواها مقصر
وقد كان منها الطيف قدما يزورني
ولما يزور . ما باله يتمذر
فهل بخلت حق بطيف خيالها
أما اغتلت حق لا يصح التصور
ومن وجه لولي طاعة الشمس يستغنى
وفي الشمس أبعاد الوردى تنحدر
وما احتجبت إلا برفع حجابها
ومن عجبي أن الظهور تستر

ولقاح الدين بن عطاء الله رضى الله عنه :

أرى السكل محاجبا وأنت لك النقى

ومثلك من يغفل ومثلك من يغفو

يوأتى القى تهدي الوداد تسكرما

ومثلك من يرى ومثلى من يغفو

وما طالب عيش لم تكن فيه واصلا

ولم يصف لا والله أنى له يصنو

عزمت على أن أترك الكون كله

وأقفو سبيل الحب ، والجحى ينفو

شهودك يملو والحجاب لأنه

إذا حقق التحقيق صار هو الكشف

وما أحسن الأحباب فى كل حالة

نقله ما يمدوا وله ما ينفو

وإن الأول لم يشهدوك بمشهد

قلوبهم عن قيل سر الموى غلف

يوأتى الذى أظهرت ثم ظهرت فى

جميع للبادئ مثل ما شهد العرف

ظهرت لسكل الكون ، فالكون مظهر

لخفيه له أيضا كما جاءت النصف

خامى فزاد عن وداك ينقى وأية عين بعد قريبك لى تنفى

وأية نفس لم يملها هواكم على حبكم طرا نفوس الموى وقف

سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه

وبما رأيت من سلامه على رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه كان يقف بباب السلام ويقول : هذا موضع قال فيه ربنا عز وجل : يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم . حتى يسمع الخطاب يقول : ادخل يا أبا الحسن .

قال : وهم ما كنت أعلم عليه يكشف لي عنه عياناً ، وبرد السلام على بسبائه . وهو : السلام عليك يا سيدنا يا رسول الله ، أنزل وأزكى وإنما وأحلا صلاة صلاها أحد على أحد من الأنبياء وأصفياه . أشهد أنك يا رسول الله بلغت ما أرسلت به ، ونصحت أمتك ، وعبدت ربك حتى أنك اليقين . وكنت كائنك الله في كتابه «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم» .

فصلوات الله وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه من أهل سماواته وأرضه عليك يا سيدنا يا رسول الله .

السلام عليك يا صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر وعمر وروح الله وبركاته . فجزاك الله عن الإسلام وأهله بأفضل ما جازى به وزيرى . نهي في حياته وعلى حسن خلافة في أمته بعد وفاته . فلقد كلفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيرى صدق في حياته ، وخلفته بالعدل والإحسان في أمته بعد وفاته ، فجزاك الله عن ذلك مرافقته في جنته وإياناً معكم برحمته . إنه أكرم الأكرمين .

اللهم إني أشهدك وأشهد رسلك وأشهد أبا بكر وعمر ، وأشهد للملائكة النازلين بهذه الروضة الكريمة ، وألما كنه عليها بأنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين وأمام المرسلين .

وأشهد أن كل ما جاء به من أمر ولهي وخبر مما كان وما يكون فهو
صدق لا شك فيه ولا امتراء ، وأني مقر لك بخيانتك ومصيبتك في الخطاة
والفيكرة والإرادة والنعمة ، وما استأثرت به عني مما إذا شئت أخذت به ،
وإذا شئت عفوته عنه ، مما هو يتضمن للكفر والافتاق والهدمة والضلالة
أو المعصية أو سره الأدب معك ومع رسولك وأبيائك وأوليائك من اللابكة
والإنس والجن وما خصصت به من خلقك . فامنن علي بالأي منفته به علي
أوليائك ، فإنك أنت الله للغان للكرم القفور الرحيم .

* * *

ومن أذكّره رضى الله عنه

الاهم إني أسألك يماه سيدنا محمد المصطفى ، وإبراهيم الذى وفى وبجرمة
كل نبي ورسول وصديق وولى وشهيد وصالح وتقى ، وبجرمة عظيم الأسماء
وبالأسماء كلها . أسألك الاهم أن تمنحنى هذا الخلق من قلوبنا وأن تجعلهم
فى أسرارنا كالهباء فى الهواء . وأسألك بهذا سبيل أنبيائك وأصفياك وأتقيائك
فى السر والعلانية إنك على كل شىء قدير .

* * *

ومن أذكارة رضى الله عنه

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه ، وخار لنا وإياكم فيما قدره وقضاه .
وجعلنا وإياكم من الفائزين يوم لقاءه .

اللهم توفنا مسلمين ، وأحفظنا بمعهد وحزبه على الرضى منك ومنهم ، مع
السلامة من الحياء والخجل والقل بما سلف منا من أعمال الخلقين . اللهم
اعذرنا في جهلنا ، ولا نؤاخذنا بقلقلنا عنك ، ولا يسوء أدينا منك ، ومع
الملائكة الكرام السكاكين .

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وغفلتنا وجهلنا بعمك ، واغفر لنا قلّة حياتنا منك ،
واقبل علينا بوجهك ، ولا تفتنا بشيء من خلقك ، إنك على كل شيء قدير .

اللهم اغفر لنا ما عمل به البشر من خلقك ما علوه وكتبه ملائكتك ،
واغفر لنا ما علمناه من أنفسنا ، ولم يلمه أحد من خلقك ، واغفر لنا
ما استعأرت به عنا في جميع أحكامك ، والتمنى من جميع خلقك ، ورفع الحجاب
خيا بيننا وبينك ، إنك على كل شيء قدير .

اللهم اغفر لنا مغفرة الأحباب التي لا تدع شيئا من الارتباب ولا يبقى معها
شئ من الورم والعتاب واجعل ما علمته فيها ومناخه معلوم بعد الحو والتثبت ،
فإنك عندك أم السكاكين .

اللهم اغفر لنا ذنوبنا كلها ودقيقها وجليلها سرها وعلانيتها أولها وآخرها
واغفر لمن سافر عنا من أحبائنا سفر الهدى أو سفر الآخرة ، واجعل تغليبهم
تغلب المؤمنين وإيابهم إياب الفائزين . واجعلنا برحمتك جميعا من المؤمنين ،
وإن كنا زانقين فإن الله يسمعهم وإن كانوا عارفين . فانت أولى بذلك فإنك

أكرم الأكرمين . وأرحم الراحمين والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة
إلا الله العلي العظيم ،

اللهم لا تخيبنا ونحن نرجوك ولا تحرمنا ونحن ندموك ، وقد دعوناك
كما أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا ولا تجعل تضرعنا هينا عليك وغد مقبول
وكايسرنا لنا الهداء فيسر لنا الإجابة إنك على كل شيء قدير .

• • •

ومن أذكاره رضى الله عنه

اللهم يا من كون السكون بكونه ، ويا مدير حركاته وسكناته ، أسألك
جاسمك المزين الذى به يحيى الموتى ، وبه تمز من نشاء وبه تذل من نشاء ،
أجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا يا عظيم الرجاء .

وقال رضى الله عنه : أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خصوا
بالعمل ، والتأبين ليتبدى بهم ، وخص أهل زماننا بالمرة ، وجعلت أعرفهم
بالله عز وجل .

• • •

ومن نظم الشيخ الصالح أبي محمد عبد الله المزدورى

في سيدنا الشيخ العارف بالله أبي الحسن الشاذلى

لما سافر من تونس إلى الديار المصرية

واذكر الشيخ ما أجل علومه

فالشاذلى يدعى حفيد نبينا

دانت سياحته بالفرجة وبها

له إخوان صدق ينشأ

وبنى بتونس بها عرفت به

أجاد مهانها بسوق بلاطنا

بعد السياحة كان وقت بنائها

داراً وقسارية لمشايخنا

لما بنى بعد الزهادة والذى

تسكن إليه النفوس من أسهابنا

سلبه منه يد التأديب عنوة

حفظاً لنا كما تعان طريقنا

لا يعرف الأشواق إلا من انكوى

بنار الشوق بين ظهورنا

فقط عليه ابن الهراء وفتنه

حتى تغل بالإذن من إقليمنا

عوق الشريف من القياس بدمنا

بنيت وقت وانقضى بنهائنا

فندا عن الموم يركض عيشه
 نحو الكفيل في أرق حديثنا
 من الشارق بعد ذلك مدة
 وبني بها جملنا تفيض بقاتنا
 نور النبوة في ساق دعاة
 فأنه يرحمه ويرحم جمعنا
 لما انقضى العمر العزيز وقربت
 منه الزواجل للرحيل لربنا
 لودى قلبي بالحبيب مهادرا
 باب الإله نقر من أبوابنا
 ترك الدينون وكل شيء عاجلا
 وأنى حمرة فقال بها النى
 ياليت لشوى بالحبائب نلتقى
 بعد البعاد ويطرح هنا المنا
 خلت الهديار فلا كريم يرحمى
 منه السؤال ولا يلع عشيقنا
 هذى المفاكر آذنت بفراقنا
 فأنه يصاح مابة إصلاحنا
 فأنه يرحمه يرحاه النى
 شملت جمع عصافنا وهداتنا

وحدثني الشيخ الصالح أبو العباس الجامي :

أنه وقف في تأليف الشيخ تاج الدين بن عطاء الله عن سيدي أبي العباس
الروسي ، نفع الله به : أنه قال في قوله تعالى : « ثلثة من الأولين ، وثلثة من
الآخرين » . إنهم الشيخ أبو الحسن الشاذلي وأصحابه .

وحدثني الشيخ أبو العباس الجامي أيضا :

أن رجلا قال لسيدي أبي الحسن : من أستاذك يا سيدي ؟ فقال له :
في الهادية . سيدي أبو محمد عبد السلام بن مشيش . وأما الآن فأنا أعترف من
عشرة أبحر بحمسة آدميين ، وخمسة روحانيين . أما الأكدميون فسيدنا محمد
صلی الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم . وأما الروحانيون
فجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والروح نفع الله ببركاته وحشرنا
منه بفضل .

وقال رضي الله عنه :

ليلة أخذت ميثاقي من جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم . مكنت من
خزائن الأسماء فلو أن الإنس والجن يكتفون عني إلى يوم القيامة لكتلوا أو ملوا .

وقال رضي الله عنه :

ليلة أخذت ميثاقي من جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذني جدي
الحسين رضي الله عنه وعمل إصبعه في مرتي وأدارني على رأسه حتى بقيت
السموات والأرض والعرش والكروبي بين يدي كالسكر . فقيل لي : قل :
اللهم إني أسألك من النور الذي رأى به سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما كان وما يكون ليكون العبد يوصف سيده لا يوصف نفسه غنيا عن تحديد

الغفر شيء من اللغات ، ولا يلحقه مجزأ أراد من القدورات ومحيطا بذات
السفر بجميع أنواع القدورات ، وموتها للذين مع النفس والقلب مع العقل والروح
مع الضر ، والألم مع البصيرة والصفات مع الصفات .

وقال رضى الله عنه :

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت له : يا سيدى يا رسول الله
ادع الله أن يجعلنى رحمة للعالمين فقال : أنا هو ذاك يا على ، والولى رحمة
بى العالمين .

وكان رضى الله عنه يقول لأصحابه :

اصحبونى ولا أمتكم أن تصحبوا فخرى . فإن وجدتم منهلأ أعذب من
هذا المنهل فرددوه .

وقال رضى الله عنه :

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اللزام ، فقال لى : يا على ما فى ذماتك
مجلس فى علم الفقه أبهى من مجلس عز الدين بن عبد السلام ، ولا فى الحديث
أبهى من مجلس زين الدين بن عبد العظيم ، ولا فى علم الحقيقة من مجلسك .

وحدثنى سيدى ماضى رحمه الله تعالى قال :

كان سيدى أبو العباس الرضى نفع الله به فى بعض الأوقات إذا جلس
يتكلم فى المجلس يحمل ثوبه على عينيه يغمض به عينيه ، فسأله يوما عن ذلك
فقال : يا أخى يا ماضى ، إذا كنت أنكلم تنعرق لى الحجب حتى ترى الدرر ،
وتنشأ أنواره ، حتى لا أستطيع النظر . والله يا أخى يا ماضى ما أخاف
إلا أن أحرق من كثرة الأنوار .

وحدثنى الفقيه القرى أبو يعقوب يوسف بن جبارة قال : حدثنى الشيخ

أبو علي جدار قال : سافرت صعبة الشيخ الولي الدارف أبي محمد الجببي فتح الله به إلى مدرّة . فبينما نحن في وسط الشعراء وكان عدي رفيف يارد ياس ، فتمنيت عنقودا من عنب آكله به . قال : فنزل عن فرسه وقال لي : يا علي سر وسط الشعراء كل شجرة منها معلقة عنباً ، حتى أصلي ركعات .

قال : ففقدت فرأيت الشعراء كل شجرة منها معلقة عنباً مختلفة الألوان والأنواع ، فأكلت حتى تملوت وأتيته بنقودين أحدهما أبيض ، والآخر أحمر ، فناولتهما له ، فرمى بهما في الأرض . وإذا بهما رمم .

قال : وكنت يوماً في جبل الجلود الذي في قبلة تونس فأصابني العطش ، فقال لي : عطشت ؟ قلت له : نعم . فناولني إبريقه وقال لي : ازل إلى العين التي في أسفل الجبل واملاؤه وسم الله واشرب . فنزلت إلى العين ، وهي التي بطرف البحيرة للحلّة ، فلأثني وشربت ماء هذا . وطلمت إليه ، فقال لي : هل شربت ؟ قلت له : نعم ، ماء هذا . فأخذ الإبريق من يدي وأراقه ، وقال : من شدة العطش راق لك وطاب .

وأخبرني للرباط عمر قال :

كنت يوماً بطرف الجبارين ، وإذا يسدي محمد الجببي على قدميه ، وإذا بأبي علي جدار راكب على حصان ، فلما رآه سيدي عبد الله الجببي أراه المبوطله . فقال له : لا تفعل . أنت فارس في الدنيا والآخرة إن شاء الله تعالى .

وقال سيدي أبو الحسن رضى الله عنه :

رأيت كأن رجلاً جاء إلى وقال : إن السلطان يأتي إليك . فقال : اللهم ألق على من زينتك ومحبتك وكرامتك ومن نموت وبويتك ما يبهز القلوب ،

وتذل النفوس ، وتخضع له الرقاب ، وتبرق له الأبصار ، وتقيد له الأفكار .
ويصغر له كل حبيب كبير ، ويسجد له كل ظلم كذاب يا الله يا مالك
يا عزيز يا جبار يا الله أحده يا واحد يا قهار .

وقال رضى الله عنه :

بت في م من المسلمين من الترك ، هل أدعو عليهم . فرأيت أستاذي رحمه الله .
يقول : قم . أجل لهم ، فاصبروا واشكروا وقوضوا وارضوا وسلوا وتوكلوا
واتقوا وأحسنوا ولا تهنوا ولا تحزنوا وأتكم الأعداء إن كنتم مؤمنين .
أمدبراً غير الله تريدون . أم حكماً غير حكمه تلتزمون . ومن أحسن من الله حكماً
لقوم يوقنون . قد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون
يؤذون ويظلمون ، وما أقل استعجالهم ودعاهم على الظالمين ، لم رقتهم بالله .
رب العالمين . وإن دعا منهم داع فيأذن من الله ، لا عن ضيق وسخط .

وقال رضى الله عنه :

إذا أعلأ القلب بأنوار ، وأعلأ الشمر بأنوار الأعلام جوت بصوته عن .
للزام والقصائص المتهددة إمامه من المؤمنين لما أطلق عليه من الثناء الأعلام الأدي .
لا غاية له أبد الآبدين . وإذا حجب العبد عن النور الأعلام وتقيد بالذور الأدنى
وتغير انهمره وتمكدر لساكن إله ، وظلمة وقته . فحسبه أن وفق للقيام .
بأسره ونهيه .

وقال رضى الله عنه :

الحبة مع الله برفض الشهوات والمشيتات ، وإن يعمل العبد إلى الله وقد
بقى معه شهوة من شهواته ، ولا مشيئة من مشيئاته .

وقال رضى الله عنه :

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى : قل لقلان بن فلان يقرأ هذه السكيات . فن قرأهن تنصب عليه الرحمة كالطور . الحمد لله الذى بدمى منه الحمد وإليه يعود كل شيء كذلك . لا إله إلا الله . اللهم اغفر لى شركى وكفرى وتقصيرى واغفر للمؤمنين والمؤمنات .

وقال رضى الله عنه : فى وقت عند دخوله الصلاة :

لا إله إلا الله السميع القريب المجيب . تجيب دعوة الداعى إذا دعاك ، وتجيب المضطر وتكشف سوء وتجمل من تشاء خليفة ، أن ربي لسميع الدعاء ، رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذوقى ربنا وتقبل دعائى . ربنا اغفر لى ولوالدى والمؤمنين يوم يقوم الحساب . أسألك بصلاتك على عبد رسولك أن تصلى على وملائكتك صلاة تخرجنى بها من الظلمات إلى النور . واجمأنى من المؤمنين ، فإنيك بالمؤمنين رحيم . اللهم اجعل هذه الصلاة صلة بينى وبينك ، ولا تجعلها مناصلة لى عنك ، واجعلها صلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، واذكرنى فيها معك بالذكر الأكر ، وأرنيه فى نفسى وفى على ، وأصعبنيه صحبة الكرامة إلى غاية أجلى لك على كل شيء قدير .

وقال رضى الله عنه :

سألت بعض أصحابى وأمر الناس على أن استخير له فى خير يأمله ففعلت فى أول ليلة طلب ذلك . ثم سألت فى اليوم الثالث فليأت لى الله تعالى فيما أراد . منى فرأيت أسأذى رضى الله عنه فقال لى : رجل يخاطب أهل الآخرة ويعول عليهم ، ويخاطب أهل الدنيا وينفق طيعه عنهم . إن ضيق عليه ليل إلى الله . وإن أمم عليه أخذ فى الشكر لله فإظلك به عند الله . أفلا تعقلون . أحله

على فواضل الأعمال يبارك له فيها يميني ، ويدخر فيما يبغي ، وسيجزي الله الشاكرين .

وقال رضى الله عنه :

رأيت كائى فى حلين مع اللائكة للقرين فى نعيم لا أبغى منه بدلا .
 قتلوا : مر إلى الزيادة ، فسرت معهم ، فدخلت فى موطن كريم لا أقدر على
 وصفه ، طامع فى الشهود ، فإذا أنا بشهود لا أقدر على وصفه ، فقل لى : من
 كفت جوارحه عن معصيتى ، وزينته بحفظ أمانتى ، وفدت قلبه لمشاهدتى ،
 وأطلقت لسانه لمتاجاتى ، ورفعت الحجاب بينه وبين صفائى ، وأشهدته
 صفائى أرواح كلانى فقد زحزحته وأدخلته جناتى ، وفاز بقربى وصحبة ملائكتى ،
 فن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز .

فهذه جنة معجزة لأهل الإيمان البالغ يقينا ، وسيدخلونها يوم الجزاء بأبدانهم
 ذوقا وحسا وعمانا ، ثم أناديهم بالمباراة والإشارة والطف والحقيقة : يا بنى آدم ،
 لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة .

وقال رضى الله عنه :

لما قل عن الله من عزه شدائد الزمان فى الأنطاف الجارية من الله ، وعزه
 لحياسة نفسه فى إحسان الله إليه ، فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون .

وقال رضى الله عنه :

عليك بالمطهرات الخس فى الأقوال ، والمطهرات الخس فى الأفعال ، والبراة
 من الخول والنوة فى جميع الأحوال وغص بقلبك إلى للمابى القائمة بالقلب .

وأخرج منها وعده إلى ارب ، واحفظ الله يحفظك ، واحفظ الله تجده أمامك ،
واعبد الله بها وكن من الشاكرين .

فالمطهرات الخمس في الأقوال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ،
والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

والمطهرات الخمس في الأفعال : الصلوات الخمس .

وقال رضى الله عنه :

« الحقائق هي النعمان القائمة بالقلوب ، وما اتضع لها وانكشف من الغيوب ،
وهي منح من الله وكرامات ، وبها وصلوا إلى البر والطاعات ، ودليها قول
حارثة : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت مؤمناً . . . الحديث .

وقال رضى الله عنه :

خرجت من منزلي لصلاة الصبح ، فلقدت ذكر : باسم الله رب جبريل ،
باسم الله رب ميكائيل ، باسم الله رب إسرافيل ، باسم الله رب عزرائيل ،
باسم الله رب محمد ، باسم الله رب إبراهيم ، باسم الله رب موسى ، باسم الله
رب كل شيء . وهو على كل شيء قدير .

وقال رضى الله عنه :

ومما يصلح أن يقال في أول الليل وفي أثنائه : أعوذ بالله وبقدرته وبكلماته
الذمات والعامات من شر ما كان ومن شر ما هو كائن في هذا اليوم وما بعده
إلى يوم النهاية ، وفي الدنيا وفي الآخرة وفي الأزل والأبد . وأبد الأبد الذي
لا غاية له ، ومن شر ما لا يكون أن لو كان كيف يكون . أعوذ بحلالك وبحلالك
وعظمتك وكراماتك ونورك وبهائك وسلطانك وقدرتك وإرادتك ونفوذ
مشيئتك وبجميع أسمائك وصفاتك وفضوتك وأخلاقك وأنوارك ، وبذاتك

من شر كل معلوم هو لك ، أنت ربى ، وعلمك حسبى ، فأعطنى من سعة رحمتك على سعة علمك ، فعلى الذى لم تدع للخير مطلبها ، ولا من الشر مهرباً ، آمنت بالله وملأنيبكته وكتبته ورسله واليوم الآخر وبالتدريج هذه وشبهه ، وبالملائكة المنفردة عن كليلة القائمة بذاته .

وقال رضى الله عنه :

الأذكار أربعة : ذكر تذكره ، وذكر تذكر به ، وذكر يذكرك ، وذكر تذكر به .

فالتذكر الأول : حفظ العوام ، وهو الذى تطرد به الغفلة أو تخافه من الغفلة .
والثانى : تذكر به أى مذكوره ، إما بالمعذب ، وإما بالنعيم ، وإما بالتقرب ، وإما بالبعد ، وغير ذلك ، وأما الله جل وعلا .

والثالث : يذكرك ، مذكرات أربعة : الحسنات من الله ، والسيئات من قبل النفس ومن قبل العدو وإن كان الله هو الخالق لها .

والرابع : تذكر به ، وهو ذكر الله لعباده ، ليس فيه متعلق ، وإن كان يجرى على لسانه ، وهو موضع القناء بالذكر أو بالمذكور على الأمل . فإذا دخلت فيها صار الذكر مذكوراً ، والمذكور ذاكراً ، وهو حقيقة ما ينفعى إليه فى السلوك ، والله خير وأبقى .

وعليك أيها الأخ بالذكر الموجب للأمن من عذاب الله فى الدنيا وفى الآخرة ، فهو للوجوب أيضاً لرضوان الله تعالى فى الدنيا والآخرة ، تمسك به ، وداوم عليه ، وهو أن تقول : الحمد لله ، وأستغفر الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، الحمد لله ، فإن للنن والإحسان من الله ، وأستغفر الله بإزاء قبل النفس وتقبل العدو ، وإن كان من الله خلقاً وإرادة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فإن العوارض ما يرد من الله عليك ، وما يصدر إليك منه .

وأتبعه فإن السر قلما يقع في الذكر وفي الفكر وفي السكت وفي الصمت
الأملا من هذه الأربعة الحسنة أو السيئة ، فقل الحمد لله ، فإن عرض لك عارض
من الله أو من نفسك لم يك بعد خيراً كان أو شراً ، فلتست بقادر على دفعه
أو جابه ، فقل : لا حول ولا قوة إلا بالله ، واجمع بين هذه الأذكار الثلاثة
في صوم الأوقات ، وداوم عليها ، تجمد بركايتها إن شاء الله تعالى والسلام .
وقال رضى الله عنه :

اقرع باب الذكر بالاجاء إلى الله تعالى والإنفقار إلى الله بملازمة الصمت
عن الأمثال والأجفاس وصراعة السر عن محادثة النفس في جميع الأنفاس إن
أردت النجى .

وقال رضى الله عنه : من أراد أن يسلم من هول الدنيا والآخرة فليقرأ
إذا السماء كورت .

وقال رضى الله عنه : إن أردت خور الدنيا والآخرة ، وكرامة المنفرة والرحمة ،
والإنجاة من النار ، والدخول في الجنة ، فاجهر بصيغة الله ، وأحسن مجاورة
أمر الله ، واعتصم بالله واستغفره ، وتوكل عليه إن الله يحب المتوكلين .

وقال له قائل : اشرح لي كيف أتوكل على الله وكيف أعتصم به ، وكيف
أستعين به ؟

فقال : من تعلق بشئ أو توكل عليه ، أو استند إليه ، واعتصم على شئ
سوى الله فليس بمتوكل . فالتوكل وقوع القلب والنفس والعقل والروح والبر ،
والأجزاء الظاهرة والباطنية على الله دون شئ سواه .

والاعتصام بالله : التمسك به ، والهجوء إليه والاضطرار . فخذ في الاعتصام
قبل أن تر قدرة أو إرادة أو حكماً أو أثراً في شئ أو على شئ أو من شئ
أو لشئ .

وأما الاستعانة بالله لا يتخذ العلم سبباً ، ولا السبب إله سبباً ، ولا الأول ولا الآخر ، وغرق الكل في العلم والقدرة والإرادة والكلمة كما غرقوا الدنيا في الآخرة في الصابنية ، والصابنية في الحكم ، والحكم في العلم الأزل :

وأما المجران المعصية فاجر حق تنسى . وحقيقة المجران نسيان للمجهور . هذا في صورة السكال ، فإن لم تكن كذلك فاجر على السكادة والمهاجرة ، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً . ومن أحسن مجاورة أسر الله فبالذكر والفكر والمبادرة والتسليم لأمر الله .

وإذا عارضك ذنب أو نقص أو لمز أو غفلة فاستغفر الله من ظلمك لنفسك ، ومن سوء عملك بعظيم جهلك ، ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً .

وقال رضى الله عنه : الأعمال بالنيات ، وإن لدية عملاً ، وتوفيقاً ، وكيفية ، ومعنى ، فتسلك الصفاء لخلائتها . والتوفيق في أوقاتها ، والمعصية في كيفياتها ، والتحقق لمعانيتها . وتلك صفة العبد وحسن التصديق لمطلق الربوبية ، والزاماً للنفس بوصف العبودية في محل النية .

ووقتها عند افتتاح العمل ، وكيفية : ارتباط القلب مع الجوارح . ومعنى النية أربعة أشياء : قصد ، والدم ، والإرادة ، والمشئنة ، كل ذلك بمعنى واحد . والنية صورتان : تقوية العمل بحسن التيقظ فيه . والصورة الثانية : الإخلاص بالعمل لله ابتغاء ما عنده من الأجر وإرادة وجه الله .

وقال رضى الله عنه : حقيقة الذكوة : ما اطمأن بمناه القلب ، وتجل في خفايق سعائب أنوار سعائب الرب .

وقال رضى الله عنه : انتزع عن الدنيا بالإينار ، ومن المعصية بالأسرار ، (١٣ م - هرة الأسرار)

ودأوم على سؤال الرحمة القدسية ، واستغنى بها عن الفاعلية ، ولا تعلق نفسك بشيء تكن من الراسخين في العلم المداين لا يغيب عنهم لا سر ولا علم . فليكن خطر بقلبك خطرات المصيبة والدنيا ، فألقها تحت قدميك حذارة وزهداً ، يملأ قلبك علماً ورشداً ، ولا تسرف فتتشاك ظلمتها ، وتدخل أعضاؤك لها .

ثم لا بد من معاقمتها . إما بالهزيمة أو بالنكسة ، أو بالإرادة والحركة ، فهناك يقهر القلب ويكون البعد كالذي استهوته الشهاطين في الأرض حوران له أصحاب يدعونه إلى الهدى اثنتا ، قل إن هدى الله هو الهدى . ولا هدى إلا لمن اتقى ، ولا تقوى إلا لمن أعرض عن الدنيا ، ولا يعرض عن الدنيا إلا من هانت عليه نفسه ، ولا تهون النفس إلا عند من عرفها ، ولا يعرفها إلا من عرف الله ، ولا يعرف الله إلا من أحبه ، ولا يحبه إلا من اصطفاه الله واجتبه ، وحال بينه وبين نفسه ..

وقل : يا الله يا قدير يا مرید يا عزيز يا حكيم يا حميد ، يا رب يا مالك يا موجود يا هادي يا منعم عبدي من لطفك رحمة إنك أنت الوهاب ، وأنعم على عبدك بنعمة الدين والهداية إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تعصير الأمور . بحرمة هذا الاسم الأعظم آمين .

وقال رضى الله عنه : سئلت عن العزائم قلت أمن غلب عليه شهود الإرادة تفسخت عزائمه لسرعة اللواد وكثرة واختلاف أنواعه . وأى وقت تسعه حتى يحل أو يعتد أو يعزم أو ينوى شيئاً من أموره مع تبدد إرادته ، واضمحلال صفاته . أين أنت من نور من نظره بنور ربه ، ولم يشغله للفتور إليه من نظره ، فقال : ما من شيء كان ولا يكون إلا وقد رأيته .

وقال رضى الله عنه : منازل السائرین ثلاثة : سائل يسأل عن عين التحقيق
يرفع الحجاب ، وسائل يسأل عن النياحة بالغناء عن نفسه ، والقليل منهم وجدته .
وقال رضى الله عنه : بسط المناجاة أربعة : إما أن تناديه من أوصافك
وأنت ناظر إلى أوصافه ، وإما أن تناديه من أوصافه وأنت ناظر إلى أوصافك ،
وإما أن تكون قائما بأوصافه عن أوصافك ، أو تكون قائما بأوصافه
في أوصافك . أو يملك الحق على بساط الحاجات ترمى ببصر قلبك سد الظلال
والغائقات . أو تكون ذاكرة للسنة ، ويكون البساط هنا الذكر ، أو يكون
أجلسه على بساط الذممة ، وأوصاف العهد الفقر والغفلة ، والفخر والضعف ،
والحاجة والمسكنة ، والجهل والذل .

وقال رضى الله عنه : مخازن الشيطان أربعة : إما أن يملك مفكر فيما
يقربك إلى الله أو مفكر فيما يبعدك عنه فتجتنبه ، وإما أن تجلس فيما سلف
من ذنوبك ، فتستغفر وتشكر ، وإما أن تجلس مفكرا فيما سبق من حسن
عمل فتشكر وتستغفر .

وقال رضى الله عنه : إذا جالست العلماء فخالسهم بالعلوم المتقولة والرواية
الصحيحة ، إما تقديم أو تسقيف منهم . وذلك غاية الریح . وإذا جالست العامة
والزهاد فخالسهم على بساط الزهد والعبادة حل لهم ما استمرواوه ، وسهل
عليهم ما استوعروه ، وذوق لهم من المعرفة ما لم يذوقوه ، وإذا جالست
الصدیقین ففارق ما تعلم ، ولا تنسب لما لا تعلم ، فظفر بالملم المكنون ،
وبهصار أجرها غير ممنون .

وقال رضى الله عنه : السكينة وجود الحق بلا عيب ، ورجوع إلى الحق

ينهر أرب الهم إلا لا قضاء اليهودية ، فحينئذ يكون خط النفس الخدمة ، وخط القلب المعرفة ، وخط العقل المكاشفة ، وخط الروح المحبة .

وقال رضى الله عنه : من تحقق الوجود فى كل موجود ، ومن كان بالوجود ثبت به كل موجود .

وقال رضى الله عنه : كيف يعرف بالمعارف من به عرفت للمعارف ، أم كيف يعرف بشيء من سيق وجوده وجود كل شيء ، وكيف يؤمن مع الفضل من عرف عدله ، أم كيف يجاس مع الشر من عرف فضله ، أم كيف يجهل من يرى تغلب الليل والنهار ، والغلب والأبصار ، والشدة والرخاء والنح والمطاء .

وقال يحكى عن أستاذه رضى الله عنه : أوبى من كنى فيه احتياج الخلق إليه ، وهو غنى عن كل شيء : المحبة لله تعالى ، والوفى بالله ، والصدق واليقين . والصدق فى اليهودية ، واليقين بأحكام الربوبية ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون .

وقال رضى الله عنه : استهان بدينه من غفل عن قلبه ، واتخذ لهبا من اشتغل بخلقه .

وقال رضى الله عنه : التوحيد مر الله ، والصدق سيف الله ، ومدد السوف بسم الله ، وترجمته : ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن . لا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال رضى الله عنه : العقوبات أربعة : عقوبة بالذئاب ، وعقوبة بالحجاب ، وعقوبة بالإمساك ، وعقوبة بالإهلاك . إهلاك السر بالطلوب .

معتوبة العذاب من جهة المحرمات ، وعقوبة الحجاب هي لأجل الطامات
فلا تكون معتوبة من جهة سوء الأدب . وعقوبة الإمساك تكون من جهة
الاستعجال أو التلبس ، فربما ينزل له ذلك فيهلك المرء .

وقال رضى الله عنه : همت أن أدعو على ظالم ، فتوزعت في ذلك ، فرايت
أستاذي رضى الله عنه يقول : إن يشأ إهلاك ظالم فلا تستعجل له ، فاستعجال
بالإهلاك للأعداء ، وإرادة النصر للأولياء من الشهوة الخفية ومن أعظم من
ينازع إرادة موله ، وتبع شهوة نفسه وهواه .

وقد أمر المصوم الأكبر ونهى بقوله : « واصبر كما صبر أولوا العزم من
الرسول ولا تستعجل لهم » . وبقوله : « واصبر فإن العاقبة للمتقين » .

فالإيمان محو الصفات بالصفات والأسماء بالأسماء وتفرق القدرات بالقدرات
لتحقيق ما هو الأول والآخر والظاهر والباطن .

فأى شيء كان معه آخر ، حتى يكون معه أولاً ، وأى شيء كان معه ظاهراً
حتى يكون معه باطناً ، فثبت من المخلوق في إثباته ، وما عي فهميشته وإرادته .
وخذ ذلك مع قوله : « يحس الله ما يشاء ويثبت وعده أم الكتاب » . وهو
العلم الأول ، وعنه صدر كل علم وكتاب .

وقال رضى الله عنه : إن أردت أن تنظر ببحر الإيمان والإيمان دائماً ،
فكن لدم الله شاكراً ، وبفضله راضياً ، وما يكمن من نعمة فمن الله ثم إذا مسك
الضر فإليه تجأرون .

وإن أردت النجاة منك أو منك فاعبد الله على الحبة لا على المتاجرة ،
وعلى المعرفة بالتعظيم والصيانة .

وقال رضى الله عنه : كرامة الله في الرضا تليها عن المصيبة إلى يوم القيامة .

وقال رضى الله عنه : المائل من عقل عن الله تعالى آياته ، وشغل بالذكر والذكر في آياته ، وفتح له السبيل بالجود والافتقار إليه ، والهدى ، والسؤال منه ، والاعتصام به ، فاستجاب الله له ، فليس يمسلم أحد ما يريد الله أن يعطيه ، ثم تلا : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار » . الآية .

وقال رضى الله عنه : من انقطع عن تدبيره إلى تدبير الله ، ومن اختاره إلى اختيار الله ، ومن نظره إلى نظر الله ، ومن صاحبه إلى علم الله ، بملزمة التسليم والرضا والتفويض والتوكل على الله فقد آتاه الله حسن الأب ، وعليه يترتب الذكر والذكر ، وما أرى ذلك من الخصائص ^(١) .

وقال رضى الله عنه : في قوله صلى الله عليه وسلم : « من صلحت نيته صاحبه » . تحسن الدنيا فيما بينك وبين الله توجيه القلب بالتعظيم لله ، والتعظيم لأمر الله ، والتعظيم لما به أمره . وفيما بينك وبين العباد توجيه النفوس بالتفويض لهم ، والتفويض بالحقوق وترك الحظوظ ، ونهب الموارض ، مع الصبر لله والتوكل على الله .

وقال رضى الله عنه : يا عبد الله ، انزع من عبادة النفس ، وإرادة الشيطان ، طاعة الهوى ، وحركة الرغضاء ، تسكن صائلاً . وانق الله في الخطوة والهمة

(١) يعني ليس ذلك من خصائص الأولياء العارفين ، بل هو سلوك عام جامع للصالحين من العامة . أما سلوك الفريق فهو كمنه الكمال هو مراد الله عما وشهوداً وبقية .

والسكوة وخركة الصبر تسكن صديقا . وإن تكدر عليك شيء من ذلك ،
فاجر الأسهات والأوطان والإخوان ومواقع الفتن تسكن مهاجرا . وإن
وافقت شيئا من ذلك فعب إلى الله واستغفره واجلأ إليه واستنت به ،
تسكن مؤمنا .

واتخذ الطهارة والصوم والصلاة والصبر والذكر وتلاوة القرآن والتبري
من الحول والقوة سلاحا تسكن سالما . وإن غلبت فاتخذ الإيمان حصنا ، وإن
دخل عليك فسلم الأمر كله لله ، وعليك بالإيمان والتوحيد ، والحب لله ،
وأغرق الدنيا في بحر التوحيد قبل أن تفرقك .

وقال رضى الله عنه : سر الأسرار سدد العلم والمعرفة ، وروح الأبرية والهمة
والأضطغاثية والتفانيض والفتولة .

وقال رضى الله عنه : من فارق للماضى في ظاهره ، ونبت حب الدنيا من
باطنه ، وژم حفظ جوارحه ومراعاة سره ، أتته الزوائد من ربه ، ووكل
حارسا يحرسه من عنده ، ووجهه الله في سره ، وأخذ الله بيده . في جميع أموره ،
وأتته زوائد العلم واليقين والدرة .

وقال رضى الله عنه : كل شهوة تدعوك إلى الرغبة في مثلها فهي مدة
الشيطان وسلاحه ، وكل شهوة تدعوك إلى طاعة الله والرغبة في سبيل الخيرات
فهي محمودة ، وكل حسنة لا تشمر لورا فلا تملها أجرا ، وكل سيئة أثمرت
خوفا وهربا فلا تبتد لها وزرا .

وقال رضى الله عنه : اللهم إني نبت إليك فقيدتى وأعنى وأقرنى وانصرنى
وثيقنى وأمصنى ، واسترني بين خلقك ، ولا تفضحنى عند رسولك .

تقول لي : إنك مشرك ، فقلت : وكيف ؟ فقلت لي : إنك خفت الفضيحة عند الناس ، فمكون قلبك متعلقاً^(١) بالناس لا بالله . وتعلم أن أحداً منهم لا ينفذك ولا يضرك ، فإدام قلبك متعلقاً^(٢) بملك واجتهادك فليست براحة إلى الله حتى تنأس من السكل (وتكون) متعلقاً بالرجاء في الله . وفي كل نفس تستعبد الروح والدد من الله . وإن لم تغل حاجتك و (حينئذ) يقطعك بذلك الدور إلى غيره . وبضيق عليك (حتى لا ترى غيره)^(٣) .

وقال رضى الله عنه : حقيقة الذكر الاعتصام عن الذكر إلى المذكور ، وعن كل شيء سواه .

وقال رضى الله عنه : إذا أكرم الله عبداً في حركاته وسكناته نصب له العبودية ، وستر عنه حظوظ نفسه ، وجهه يقلب في عبوديته ، والحظوظ عنه مستورة ، مع جرى ما قدر له ، ولا يلتفت إليها ، كأنه في معزل عنها .

وإذا أمان الله عبداً في حركاته نصب له حظوظ نفسه ، وستر عنه عبوديته ، فهو يقلب في شهواته ، وعبوديته لله بمعزل عنه ، وإن كان يجري عليه شيء منها في الظاهر . وهذا باب في الإمان والولاية .

أما الصديقية العظمى والولاية الكبرى ، فالحظوظ والحقوق عند ذوى البصيرة كلها سواء ، لأنه بالله فيما يأخذ ويترك .

وقال رضى الله عنه : الاستقامة بين يدي الله عز وجل على الشهود أنه يدخلك عبده ، ثم يرخص عليك الحجاب .

(١) لله ط : متناق . (٢) في طت وطس : متعلق .

(٣) ما بين الحصريتين ساقط من طت وطس .

وقال رضى الله عنه فى قول بعضهم : من لم تصح إرادته لم يزد مروره الإيمان عليه إلا إدهاراً ، فيقال : من أراد أن تصح إرادته فليوصل أمره على العلم برفض الجهل . وعلى رفض الدنيا بالإقبال على الآخرة وليلازم الخلوة ودوام الذكر . فهناك تظهر عليه آثار الخصائص بالنور والبهاء فى الوجه ، وقبل الغاس عليه من الرجال فى الخواصر والبهادى ، ويسارهم إليه بالسلام عليه من الرجال .

فإن قبل ذلك منهم قبل النسكين واليتحق فإنه يسقط من عين الله ، ويرد إلى ما خرج عنه . فتراه تارة يمدح هذا ، ويذم هذا ، ويمجد على هذا ، وقد ظهرت عورة نفسه بإدباره عن ربه ورفضه (له) بمعاتب نفسه .

فاحذر هذا الأذى العظيم ، فقد هلك به خلق كثير ، واعتصموا بالله ، ومن بمعصم بالله قد هدى إلى صراط مستقيم .

وقال رضى الله عنه : اعرف الله ثم استزقه من حيث شئت ، غير مكب على حرام ، ولا راغب فى حلال ، وانصح لله فى عبادته ، ولا تخذه فى أمانيه ، ولهبد الله باليقين تسكن إماماً من أئمة الدين ، وارفع عن علم الجاهلة إلى علم الخاصة ، تسكن من الوارثين ، ولك أسوة فى الرسلين ومحققى النبیین .

ومن نسب أو أضاف أو أحب أو أبغض أو تحبب أو تقرب أو خاف أو رجا أو سكن أو أمن بشئ غير الله ، أو تسمى^(١) حداً من حدود الله فهو ظالم ، والظالم لا يكون إماماً قال الله تعالى : « إني جامعك للناس إماماً ، قال ومن ذريق . قال : لا ينال مهدى الظالمين » .

(١) لم طت وطى : أو يتسمى .

ومن صدق الله في بقيقه فهو إمام ، قلت روايته أو كثرت . ومن كان إماماً فلا يضره أن يكون أمة وحده ، وإن قلت أتباعه .

وقال رضى الله عنه : وقد أراد أن يمشى لبعض في الهنغ عن رجل من الصالحين : اللهم اجعل مشى إليه تواضعاً لوجهك ، وابتغاء لفضلك ، ونصرة لك ورسولك ، وزينة لبزينة الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً . وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصديقون .

وخصني بالهمة والإيثار ورفع الحجاب عن الصدور بالليل والنهار ، وفقى شح نفسي ، واجعلني من الصالحين واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم .

وقال رضى الله عنه : يوصف بالبخل والتم من منع لأجل شيء من هذه الأوصاف : خوف الفقر ، وسوء القن ، والاحتقار لحمة المؤمنين ، وإيثار النفس والهوى .

وقال رضى الله عنه : إذا استحضرت شيئاً من أحوالك الظاهرة والباطنة قل : ما شاء الله لا قوة إلا بالله .

وقال رضى الله عنه : إذا خونك أحد من الجن أو الإنس قل : حسبنا الله ونعم الوكيل . ولما ورد عليك من يؤثر الهدايا على الآخرة قل : حسبنا الله ، سيوفنا الله من فضله ورسوله ، إنا إلى ربنا راغبون .

وقال رضى الله عنه : يقرأ لعن : وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجدون . وما هو إلا ذكر للماضي . وقل : يا قوي يا عزيز يا عالم يا قدير يا سميع يا بصير .

وقال رضى الله عنه : وقد شكى إليه الناس ما هم فيه من الظلم فقال : اللهم إني أبرأ من جور الجائرين ، وظلم الظالمين ، وإنا مجبولون ، فلا تجره علينا بشططك إنك على كل شيء قدير .

وقال رضى الله عنه : اجتمعت برجل في سياحتي ، فأوصاني فقال : ليس شيء في الأقوال أعون على الأحوال من : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . والاعتصام بالله . ففردوا إلى الله ، واعتصموا بالله ، ومن يمتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .

ثم قل : بسم الله فررت إلى الله ، واعتصمت بالله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ومن ينفق الذنوب إلا الله ، رب إني أهوذ بك من حل الشيطان إنه عدو مضل مبين . بسم الله قول باللسان ، صدر من القلب . ففردوا إلى الله . ثم تقول : شيطان : هذا علم الله فيك ، وبالله آمفت وعليه توكلت . أهوذ بالله منك . ولولا ما أمرني ما استعذت منك . ومن أنت حق أعتمم بالله منك .

وقال رضى الله عنه : الوسائل كلها في أربعة : في الأبدان والأموال والمقول والقلوب . قال الله تعالى : « قالوا : لم نك من المجرمين . ولم نك نعظم المسكين . وكنا نخوض مع المتكذبين . وكنا نكذب بيوم الدين » . فالصلاة للأبدان ، والإطعام للأموال ، والخوض للمقول ، والكذب للقلوب .

وقال رضى الله عنه : لا تؤخر طاعتك وقها ، فتعاقب بقوتها أو يفوت قهرها مثلها جرأ لتأخيرها عن ذلك الوقت ، فإن أسكل وقت سهم في اليهودية يتضمنه الحق منك بحكم الربوبية ، فقلت في نفسي :

قد أخرج الصديق^(١) الوتر إلى آخر الليل . فإذا بصوت في النوم يقول : تلك لي ، تلك عبادة وسنة ثابتة ألزمه الله لإيحاء مع المحافظة عليها ، فأني لك بها مع الليل إلى الراحة والتمتع بالشهوات ، والدخول في أنواع الخالقات ، والانتفاة عن المشاهدات . فمبهات مبهات .

فقلت في نفسي : أتدبير أم رفض ؟ فقال : بل تدبير يقتضى كمال الأدب ، والانتباه لما أغفل وهو وصية الله إليك ، وصية منك لمبادئه ، فقفه لها ولا تسكن من العاطلين .

وقال رضى الله عنه : اللهم إني أسألك حسن اللب ، ودوام الذكر والفكر والجد والاجتهاد ، والانتباه إليك ، والاطاعة لك ، والاستجابة منك ، والثقة بك ، والترك كل عليك ، والازدهار الواقع على البر ، الفاطم والمحبة والرضا . هذه أعمال الصديقين في بداية أمورهم .

وقال رضى الله عنه : أوصاني أستاذي رضى الله عنه أن أخاف من الله خوفاً آمناً ، من كل شيء ، فلا معنى للخوف من شيء ، لأنه عند كل شيء ، ومع كل شيء ، وفوق كل شيء ، وتحت كل شيء ، وقريب من كل شيء ، وبعيد بكل شيء ، تعالى عن الحدوث والأماكن ، وعن الجهات وعن الجهة والقرية بالمسافة ، وعن الدور بالخلوقات .

(١) المروف أن الذي كان يؤخر الوتر إلى آخر الليل هو سيدنا عمر رضى الله عنه . وقد وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أخذ بالزم ، ووصف سيدنا أبا بكر بأنه أخذ بالزم لأنه كان يترنل أول الليل . ولعل الناسخ غلط في النقل بسبب اتجاه الإمام القائل نحو سائر الصديق فالكثير من الأحوال .

والحق السكلى يوصف الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم . كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما هو عليه .

وقال رضى الله عنه : اركز الأشياء^(١) فى الصفات ركزها قبل وجودها . ثم انظر هل ترى لهن أين ، أو ترى لسكون كائنا .

وقال رضى الله عنه : العلم الحقيقى هو الذى لا تزاحم الأضداد ولا الشواهد . على نقي الأمثال ، والأنداد كعلم الرسول والصدىق والولى ، فمن دخل هذا الليدان كان كمن غرق فى بحر وتلاطمت عليه أمواجه فأى ضد يزاحه أو يلغاه ، أو يسمح به أو يراه ؟ ومن لم يدخل هذا الليدان ، واعترضه الدواير واحتاج إلى قوله : ليس كئله شيء . وهو السميع البصير .

وقال رضى الله عنه : إذا للنظر إلى الله يبصائر الإيمان والإيمان ، فأخانا : ذلك عن الدليل والبرهان ، ونستدل به على الخلق ، هل فى الوجود سوى ذلك الحق ، فلا نزاه ، وإن كان ولا بد فترام كالهباء فى الهواء ، وإن فنشتم لم تجدوا شيئاً ، والعيون فى الانصال ، ومقوت الأنوار كاللجم مع الأقار . أى : لا حكم لهم مع وجودهم ، واسكن يستعان بهم على الاعتداء فى الظلم . « وبالنجم هم يهتدون » .

والأكابر من العيون كالشموس مع الأقار ، وهم قليلون فى مقام ، وهكذا فهم أفهام النبیین والرسل والصدىقين والأولياء ، والقشبه ممن له سبب ونظير يعلى الأفهام للسالكين ، فتسكن قلوبهم بما يسمعون .

وقال رضى الله عنه : أين أنت من التوحيد المجرد عن التعلق بالله وبالمخلوق . وكل اجتم تستدعى به نعمة أو تشكى به فنة فهو حجاب عن الذات .

(١) هطت وطس : اركن .

ومن التوحيد بالصفات ، ومن أحاطت به صفة من الصفات الجميلة أغناه عن الاستغناء بالأسماء والكلمات ، ولا تدع ما هو لك لما ليس لك ، ولا تمنع ما فضل الله به غيرك ، واتسكن عبوديتك التسليم والرضا والتبذل لما ترى ، وحسن الظن بالله فيما تائق ، والاشتغال بما هو أولى . ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده . . ولو أشركوا لحبط ما كانوا يعملون .

وقال رضى الله عنه : إن لله رجالا يحق أوصافهم بأوصافه ، وفسح عقائدهم بأنواره ، وأبطل مزائهم^(١) بإرادته ، وأغنام بالرحمة الذاتية عن رحمة الصفاتية ، واصطفاهم لمناجاته ، وثبت قيمهم من أسرارده ما يعجز عامة الأولياء عن سماعه .

وقال رضى الله عنه : أيها المريض على سبيل نجاته ، الشائق إلى حضرة جنابه ، اجتنب الإكثار عما أباحه الله لك ، ودع ما لا يدخل تحت علمك بما أحله لك ، واترك الإكثار مما اشغلت الناس به شغلا بمراعاة شرك ، ففي ترك الاستكثار الزهد ، وفي ترك ما لا يدخل تحت علمك الورع ، وفي طاعة السلام : « البر ما أطمأت إليه النفس وأطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس بنفير ذلك . فانهم .

وفي الاشتغال بمراعاة السر الإشراف على حقائق الإيمان . فإن كنت تاجراً كيساً فدع ما تريد لما يريد بشرط الرضا بجميع أحكامه ، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون .

الدين الحرامها عقاب وحلالها حساب حسب الحديث ، والله اعلم بالحق لا حساب

(١) في طت رطس : وبطل مزائهم .

عليها الآجل ولا حجاب منها في العاجل هي التي لا إرادة فيها لصاحبها قبل وجودها ولا معها لمع وجودها، ولا أسف عليها عند فقدانها، والحزب الكريم من يأخذها منه على اللواجة، ويدعها به على اللواجة، لا أثر للأغيار^(١) على قلبه .
وقال رضى الله عنه : رأيت صائغاً يصير في جو السماء : إنما تساق لرزقك أو لأجلك أرلما يقضى الله به عليك ، وهي خمس لا سادس لها ، فأتى الله أينما كدت ولا تميل بالتقوى شيئاً . فإن العاقبة الدهقين ، فبعق يعجبهم ويحبهونه ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم .

قل : أعوذ بالله من سوء النضاء ومن جزع النفس عند ورود البلاء ومن الفرح والحزن والمهم والنعم في الشدة والرخاء .

وقال رضى الله عنه : سمعت قائلاً يقول : ما صبر من أحسن : ما سلم من تكلف ، ولا رضى من سأل ، ولا فوض من دبر ، ولا توكل من دعا ، وهي خمس وما أحوجك لهذه الخمس إن تابرت عليها . وقل : رب إني لما أنزلت إلى من خير فقير فزدني من فضلك واجمالي من الشاكرين لنعماك .

وقال رضى الله عنه : خمس من لم يكن فيه شيء منهن لا إيمان له : التسليم لأمر الله ، والرضا بقضاء الله ، والتفويض إلى الله ، والقوكل على الله ، والصبر عند المصدة الأولى .

وقال رضى الله عنه : يا من بيده ملكوت كل شيء وهو يعير ولا يحار عليه ، أجرني مما أوقعني فيه ، فقبل لي : لا تنن إلى الله في الجزع والسخط فيبتلك الله . فقلت : ضيق على هذا الأمر . فقال : نحن قدرناه عليك لتربيك ونبلدك ، ثم قال : انف النافع والضار عنهم لأنها ليست منهم ، واشهدا حتى فيهم ، وقر إلى بشهو التقدر الجاري عليك وعليهم أدلك ولم ولا تخنهم خوفاً مخفلاً به وتنفى وترد التقدر إليهم .

(١) له طس وطس : لأغيار .

وكل خوف يردك إلى غيره فصاحبه مذموم أو ناقص معلوم .

وقال رضى الله عنه : قيل لى : إذا تدانيت بدين فتدائن على الله ، فإن تدانيت على الله فعل الله أداؤه . وإن أردت أداؤه وربما سوفت وضيعت أو ما طلت أو هونت أو قدمت أو أخرت أو ظلمت أو كذبت أو خسرت وما رجحت .

فقلت : وكيف أتدائن على الله . فقال : تقطع النفس من الجهات ، وانزع القلب عن النادات ، وعاقه بمن ملك الأرض والسموات . وقل : اللهم عليك تدانيت وباسمك الذى خلقتنى به حملت ، وعلى الله توكلت وإليه أمرى فوضت ، فأهوذ بك من الدخول فى هوى الجاهل والنفس والفتن والهنس والرجس .

فإن عارضك عارض معلوم هو لك من الماديات التى تجرى إليك نفسك فاهرب إلى الله منها هروبك من النار ومن حل أهل النار . وقل : انتقذنى واغفر لى يا عزيز . فهذه من غرائب المعرفة فى علوم الجامعة ، فاهرب من نفسك واحسب أجرك على الله .

وقال رضى الله عنه لبعض أصحابه : رأيتك تكابد نفسك وتجاهد أمرك فى مجاذبة نفسك ، فقلت له : يا اسكع يا ابن لكع ، أعنى بذلك نفسى فى الآخرة ونفسك فى النبوة . ودع القدير حق فى القصة فأكلها ، وفى الشرية تشربها ، وفى الكلمة تقولها أو تتركها . أين أنت من الدبر العليم السميع البصير الحكيم الخبير جل جلاله وتقدست أسماؤه أن يشاركه غيره .

إذا أردت أمراً ففعله أو أمراً تتركه فاهرب إلى الله من ذلك هروبك من النار ولا تفتن فى شيء ، واصرخ إلى الله ، وعود نفسك فإن ربك يخلق ما يشاء ويختار ، ولا يثبت هذا إلا لصديق أو ولى ، فالصديق من له الحكم ، والولى من لا حكم له . فالصديق يحكم بحكم الله ، والولى يتقى عن كل شيء بالله ، والعلماء يدبرون ، ويختارون ، وينظرون ، ويفتشون وهم مع عتولهم وأوصافهم دائمون .

والشهداء يكابدون ويجهادون ويقاتلون ويجهون ويموتون وقد ثبت لهم
ارد معنى ولم يثبت لهم حسا وجسا .

وأما الصالحون فأجسادهم مقدسة وفي أسرارهم السكراسة والنازمة ،
ولا يصلح شرح أحوالهم إلا لصديق في ابتداء أسره أو ولي في نهايته ، فحسبك
ما ظهر من صلاحه واكتفائه عن شرح ما بطن من حاله .

وإذا أردت أسراً فتمله أسراً تتركه فاهرب إلى الله كما قلت لك ، وامرغ
بالله وعود نفسك ذلك ، وقل : يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن أسألك بحق أسمائي
بأسمائك ، وصفاي بصفتك ، وتديري بتديرك ، واختياري باختيارك وكن لي
بما كنت به لأولائك ، وأدخلني في الأمور مدخل صدق وأخرجني مخرج
صدق ، واجعل لي من لدنك سلطاناً نصراً .

واخذ من سوء الظن بالله ، وتوكل على الله إن الله يحب للتوكلين .

وقال رضي الله عنه : اترع باب الذكر بالجوء إلى الله والافتقار إليه بملزمة
انفصلت من الأمثال ، وسرعاة السر عن محادثة النفس في جميع الأنفاس إن
أردت النفي .

وقال رضي الله عنه : اللهم وسع أرزاقنا ، وكثر أضيافنا ، واجعلنا من
المفنين في سبيل مرضاتك تصدق بلا إسراف ولا تقير ، ووفقنا لذلك واحدا
بهديتك ، وأخلصنا بإخلاصك عن إخلاسنا ، وقنا من الشح والبخل ولين
ومن التهمة في الرزق ومن الشك وسوء الظن ، ومن الاختاد على النهج ، ومن
الغرض في القول والعمل ومن دعوى التوكل عليك وتفويض الأمر إليك مع
خلو الباطن عن مشاهدة قدرتك ومطالبة إرادتك ، وملزمة النظر إلى حلك .

وأقبح الناس من يحتال على الخلق في طلب الرزق بطاعة الله ، وبقلادة
بكتواب الله ، وأقبح منه من يحتال على الله بقطع العلائق والخلق بالسلاطيق بالدماء
(م ١٤ - حدة التكملة)

والفزع وشأثر العمل وقد جف القلم بما هو كائن والرزق مقسوم ليس تقوى
تقى تزبده ولا تجور فاجر ينقعه .

فأخاضنا بتوحيدك وفي العمل بطاعتك والهداء والتضرع والابجوء إليك
بعض المبودية الخالصة لوجهك ، وهب لنا من لذة رحمة إنك أنت الوهاب .

وقال رضى الله عنه : من اتقى الشرك فى التوحيد والمحبة فى أول خطواته
عزى الله له بالهدى للميز فى أواخرها مر به ثم لا يحجب عن الله ، ولا يدخل عليه
الخلل فى عزائه ، ومن أهدأ به الأمر فى أنفس الخطرات وأخذ منه الليل إلى
أشخاص الشهوات فطاعة للدد إلى أوقات الفترات .

هذا بيان من الله لأهل التيقظ من الذنابات ، قال الله تعالى : « ونفس
وما سراها . فألهما فجورها وتقواها » فاتق الله فى الشرك والنوحيد ولا تفرق
عنه بقتص ولا مزيد ، وإلك والشرك والمحبة بالميل إلى الشهوات ، أى شهوة
كانت ، ومن كان عبد الله خائف وجل مشفقاً من الله فى نياته كان فى أمن
من الله فيما يرد عليه من عظيم بلائه ، ودليله : من كان له فى الرضاء كان له
فى الشدة ، الحديث .

وقال رضى الله عنه : للمعرفة والمحبة وللواجب الحقيقية أذهبت عنك
الأمراض وحلل الأمراض .

وقال رضى الله عنه : أربعة أشياء كن بها وادخل متى شئت : لا تتخذ
من الكافرين ولها ، ولا من المؤمنين هدوا ، وارتحل بقلبك عن الدنيا ، وهذا
يقسك من الموت ، واشهد له بالوحدانية ، وأرسل بالرسالة ، وحسبك خلا ،
وقل : آمنت بالله وملأ سكتة وكتبته ورسله بالتقدير كله وبكلماته المتعنة
بمن كلمات ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وتقول كما قالوا : غفرناك وبنا
وإليك الصبر .

من كان بهذه الأربعة ضمن الله له أربعة في الدنيا وأربعة في الآخرة :
الصدق في القول ، والإخلاص في الفعل ، والرزق كالنظر ، والوفاية من الشر .
هذه في الدنيا ، وفي الآخرة للفترة العظمى ، والفترة الزلّية ، ودخول الجنة لا يخرج ،
والأحق بالدرجة العليا . وأربعة في الدخول على الله : الجلّاسة معه ، والسلام
من الله ، ورضوان من الله أكبر .

فإن أردت الصدق في القول ، فاستعن على نفسك بقراءة إنا أنزلناه .
وإن أردت الإخلاص ، فاستعن على نفسك بقراءة قل هو الله أحد .
وإن أردت الرزق ، فاستعن على نفسك بقراءة قل أعوذ برب الفلق .
وإن أردت السلامة من الشر ، فاستعن على نفسك بقراءة قل أعوذ برب الناس .
وقال رضى الله عنه : إذا سألت فاسأل الله ، فإن أعطاك فاشكر ، وإن
منعك فارض عنه ، وإياك وكزاة النفس وسوء الظن وغلبة الشهوة ، فحرم
المعرفة والرضا والمغفرة ونحجب عن الله وتطرد من الحل الأعلى إلى أسفل من
ذلك ولست تدري أن يرميك إلى حدود أسفل السافين .

وقال رضى الله عنه : إذا أردت أن تسأل حاجة من الناس فارفعها إلى الله
قبل أن ترفعها إليهم ، فإن قضاها لك منهم فاشكره واشكرهم وإن لم يقضها
لك فارض عن الله ، ولا تنسب شيئاً إليهم ، ولا تلم أحداً إلا بما ذمه الله ،
ولا تمدح أحداً إلا بما مدحه الله ، وإلا فأمسك فهو أسلم لك ، وأحد الرضا
من الله منك ، واعبد الله باليقين ترضع إلى الم درجات العلا وإن قل ذلك .

وقال رضى الله عنه : رأيت كائناً في الملكوت الأعلى تحت العرش في أرض
وفيهما خلق كثير ، فأرسل كلب على صود هناك فأخذ الصيد وتقدم رجل وأخذ
الصيد من الكلب وقال : أجمع علماء الأمة كانه على إباحته وعلى أنه حلال ،
وإنما ذلك بسبب إمساكه على سيده .

ثم نمت فראيت كأننا اجتمعنا في موضع آخر ، ورايت كأنى خصصت بالدخول على الملك الحق وكأنى بين يديه بلا مكان ، فقلت : يا رب ، هذا الرجل - أعنى برجل ينتمى إليه - لا يأتينى بشيء أراه إلا وجدت فيه تلميحاً وتميحاً ، فإذا النداء على : هذا جسد يطلب الفقه من الله في الفطنة ، ويمتدح إليه بالسكاسة ولم يعلم أن ذلك ضرب من الرياضة .

وآخر بما يخرج من رموس الصديقين أربعة أوجه من العلم : العلم والعمل والفقر والتبرى من الحول والقوة .

واعلموا أن العلم أفضل الدرجات وأن الجهل أقبح الصفات فعملوا وعلموا بما يعلمون ، هل علموا أن ذلك لا يتم إلا بالفقر إلى الله تعالى في كل شيء ، فعملوا ثم علموا ، ولو فقروا لعلموا بما يعلم الله منهم ، فالكلب أنفه منهم ، لأنه نهض لمراد سيده لا لمراده . فأجعت الأئمة أن سيده حلال فاحفظوا بذلك ، طريق الفضل إلى الله تعالى .

فقال قائل : انظر وجودك ، أكنت لنفسك بشيء هل الله كان لك بفضل ، فلما عرفت فضل الله عليك في حركة شيء من علمك وكسبك ففرقتها في فضل الله عليك قبل أن تفرقك .

قال رضى الله عنه : لقيت جماعة من الفقهاء من أصحاب ابن البراء فسلبت منهم فأعرضوا عني فمر ذلك علي ، فسمعت النداء : يا علي لقد أكبرت من شأنك وأعظمت من قدرك إذ أحسست بإعراضهم عنك ، فمن ثم إذ أقبلوا فكيف إذا أدبروا ، ولو كنت موقفاً لاشتغلت بإقبالك على الله ، عن إعراضهم عنك ، ولو كنت مسنداً لاشتغلت بإقبال الله عليك عن إقبالك أنت عليهم ^(١) .

وقال رضى الله عنه : قيل لى : ادع على ابن البراء . فقلت : يا رب أدموه

(١) في طس وطت : عن إقبالك أنت عليه .

بالصلاح والتوبة ؟ فقول لي ثانية : ادع عليه . فقلت : يا رب هلنى كيف أقول ؟
فقول لي : قل اللهم اقطع البركة من علمه وعمره ، واقطع دابره بسوء العاقبة له .
واجمله من تسكالا للمعتلين .

وقال رضى الله عنه : خطر بهالى يوماً أنى لست بشيء ، ولا همدى من اللذات
والأحوال شيء ، فتمست فى بيت مسك فكنت فيه غريقاً ، فهدوام غرق فيه
لم أجد له تلك الرائحة . فقول لي : علامة للزبد فدان للزبد ، لعظم للزبد .

وقال رضى الله عنه : قول لي : إن أردت رضى فى ناسى ومنى لا من
اسمك ومنك . قلت : وكيف ذلك ؟ قول : سبقت أسمائى عطائى (١) ، وعطائى
من صفائى ، وصفائى قائمة بذاتى ولا تمنح ذاتى . ولله أسماء دنوة وأسماء
حلية ، فأسماءه الحلية قد وصفه الله بها بقوله : « التائبون العابدون الحامدون... »
إلى آخرها ، وبقوله : « إن للصلين والمسلمات »... إلى آخرها .

وأسماءه الدينية معرفة كالصامى وللذنب والفاسق والظالم وغير ذلك .

فكما تمنح أسمائك الدينية بأسمائك الحلية ، كذلك تمنح أسمائك بأسمائك
وصفائك بصفاته ، لأن الحادث إذا اقترن بالتقديم فلا بقاء له إذا ناديه باسمه ،
كقولك : يا خفور يا ثواب يا قريب يا وهاب ، فاستدعيت بها العطاء لنفسك ،
وقد تنزلت لنفسك من أسمائه .

وكذلك إذا لاحظت أسمائك الدينية من المعاصى والنسق ، فاشتغلت
بسترها ومنفرتها فأنت باق مع نفسك ، وإذا ناديه باسمه العلى ولا غفلت
صفقه الحلية قائمة بذاته محقت أسمائك كلها وانعدم وجودك ، فمضت محرواً
لا وجود لك ألبتة ، فذلك محل الفناء والبقاء بعد الفناء ، ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

(١) فطت وطس : نال فى القفرة كلها .

فصل في العموم والخصوص

قال رضى الله عنه : اعلم أن العلوم التي وقع الثناء على أربابها هي ظلمة في علم ذوى التحقيق ، وهم الذين غرقوا في بحر تيار الذات ، وعموم الصفات ، فكأنوا هناك بلاדם ، وهم الخاصة العليا الذين ورثوا الأنبياء والرسل في أسرارهم ، وإن جلت مراتب الأنبياء والرسل فلم منها نصيب . إذ ما من نبي ولا رسول إلا وله من هذه الأمة وارث . فكل وارث على قدر إرثه من مورثه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العلماء ورثة الأنبياء » . ولا يكون وارثاً إلا وله نصيب معلوم من مورثه يقوم مقامه على سبيل التحقيق بالمقام والحال فإن مقامات الأنبياء قد جلت أن يلح حقائنها فهدم .

وكل وارث في المنزلة بقدر مورثه . إذ يقول جل وعلا : « ولقد فضلنا بعض الدين على بعض » فكما فضل الله بعضهم على بعض ، فكذلك فضل بعض الأولياء على بعض ، إذ الأنبياء أمين الخلق ، وكل عين مستند بها على قدرها ، وكل ولي له مادة مخصوصة . فانقسم الأولياء على حزبين حزب منهم أبدال الرسل ، وحزب منهم أبدال الأنبياء ، فأبدال الأنبياء الصالحون . وأبدال الرسل الصديقون ، فبين الصالحين والصديقين كما بين الأنبياء والرسل ، فهم ومنهم .

فقد أن منهم طائفة انغردوا بمادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهدونها بمن اليقين ، لتكنهم قليلون ، وهم في التحقيق كثيرون ، وكل نبي وولي له مادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن الأولياء من يشهد بهيئة ومنهم من تحق عليه عينه ومادته ، فيبقى فيما يرد عليه ، ولا يشغل بعالم

مادة ، فهو مستغرق بحاله لا يرى غير وقته ، ومنهم الذين يدوا بالنور الإلهي فنظروا به حتى عرفوا منه التصديق ، وذلك كرامة لهم لا يسكرها إلا من أفسر كرامات الأولياء ، فنمود بالله من لا سكران بعد العرفان .

وهم الذين أخذوا طريقا لم يأخذها غيرهم ، إذ الطريق طريقان . طريق خاصة ، وطريق عامة . وأعني بالخاصة المحبين الذين هم أبدال الرسل ، وأعني بالعامية الموبدين الذين هم أبدال الأنبياء فعلى جريهم السلام .

فأما طريق الخاصة فهو طريق علوى يتضمن العقل فى أقل القليل . من شرحها . أولسكن عليك بمعرفة طريق العامة ، وهى طريق الترقى من منزل إلى منزل إلى أن ينتهى إلى منزل هو مقعد صدق عند مليك مقتدر .

فأول منزل يطأه الحب لالترقى منه إلى الملا هو النفس ^(١) . فيشتغل برياضتها ويساهمتها إلى أن ينتهى إلى معرفتها ، فإن عرفها وتحقق بها فهناك تشرق عليه أنوار المنزل الثانى ^(٢) وهو القلب .

فيشتغل بسياسة ومعرفته . فإذا ضحك ذلك ولم يبق منه شيء رقى إلى المنزل الثالث وهو الروح .

فيشتغل بسياستها ومعرفتها . فإذا تمت المعرفة بها هبت عليه أنوار اليمين شيئا فشيئا مما تقدم له من أمر المنازل الثلاثة .

فهمالك يفهم ما شاء الله ، ثم يحده الله بنور العقل الأصلى فى أنوار اليمين ، فيشهدده مشهودا لا حول له ولا غاية بالإضافة إلى هذا العبد . وتضمنل جهنح

(١) فى طت وطس : فهو النفس .

(٢) فى طت وطس : الأنوار المنزل الثانى ، ولهاها الأنوار من المنزل الثانى .

السكانذات فيه . فتارة يشهدا فيه كما يشهد الهباء^(١) في الهواء بواسطة نور الشمس ، فإذا انحرف نور الشمس عن السكوة لا يشهد للهباء أثرًا ، فالشمس التي يصر بها^(٢) هو العقل الضروري بعد اللادة بنور اليقين .

فإذا اضطلع هذا النور وذهبت هذه السكانذات نودى عنه نداه خفيًا : « لا صوت له ، فيمد بالقيم عنه ، إلا إن الذي يشهده غير الله ، وليس من الله في شيء . فهداك ينتبه من سكرته فيقول : يا رب أغنى فؤاى جاهلك .

فولم يتبين أن هذا البعر لا ينبجيه منه إلا الله . فحينئذ يقال له : إن هذا للوجود هو العقل الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول ما خلق الله العقل » . وفي خبر آخر : « ثم قال له أقبل ... الحديث » .

فأعطى هذا العبد العقل والانتباه لنور هذا الوجود إذ لا يقدر على أخذه . وطائفة [أن] يمسح عن معرفته . فيقال له : هيئات ، لا تعرفه بنيره . فأمد الله بنور الروح الربانى ، فنزف به هذا للوجود ، فرق إلى ميدان الروح الربانى ، فذهب جميع ما تعلل به هذا العبد ، وتخلل عنه بالضرورة ، ويقول كل شيء موجود ثم أحياء الله بنور صفاته ، فأدرك بهذه الحياة فى معرفة هذا الموجود الربانى .

فلما استنشق من مبادئ صفاته كاد يقول : هو الله . فلحنته العناية الأزلية فتادته ألا إن هذا للوجود هو الذى لا يجوز لأحد أن يصفه ، ولا أن يصره من شيء من صفاته تغير أصله ، لكن بنور غيره يصر به فأمد الله بنور سر الروح . فإذا هو قاعد على ميدان السر .

(١) له طت وطس : انبابة .

(٢) له طت وطس : يصرها .

فنظرفعرف من أوصاف الروح الزباني بنور السر . فرغ همه لمعرفة^(١)
هذا الوجود الذي هو السر . فعنى عن إدراكه ففلاشت جميع أوصافه كأنه
ليس بشيء .

ثم أمره الله بنور ذاته فأحياء حياة باقية لا غاية لها ، فنظر جميع المعلومات
بقور هذه الحياة فصار أصل للوجودات ، نوره شائع في كل شيء ، لا يعرف
غيره ، فهو من قريب : لا تغتر بالله فإن المحبوب من حجب عن الله بالله ،
إذ يحال أن يحجبه غيره ، فيحى بحياة استودع الله فيها . فقال : أى رب بك
ملك إلهك فأقل عثرى ، فإنى أعوذ بك منك حتى لا أرى غيرك .

فهذا هو سبيل الترقى إلى حضرة اللا الأعل . وهو طريق المحبين إبدال
الأنبياء . والذي يعطى أحدهم من بعد لا يقدر أحد أن يصف منه ذرة .
والمدح على نعمائه الصلاة على سيدنا محمد خاتم أنبيائه وسلم تسليما .

أما الطريق المخصوص بالمحبوبين فهو منه إله به . إلى محال أن يتوصل
إليه بغيره .

فأول قدم لم بلا قدم أن ألقى عليهم من نور ذاته ، فقيم بين عباده ،
وحبب إليهم انكولات وصغر لديهم الأعمال الصالحات ، وعظم عند رب الأرضين
والسموات فينا هم كذلك ، إذ ألبسهم ثوب الندم ، فنظروا فإذا هم لام ،
ثم أرف عليهم ظلمة غيبتهم عن نظرم ، بل صاروا عندما لا علة له ، فانطمست
جميع الدال ، وزال كل حادث ، فلا حادث ولا وجود ، بل ليس إلا الندم الذي
لا علة له ، فلا معرفة تعلق .

اضمحلت المعلومات وزالت الوسومات زوالا لا علة فيه ، وبقي "من أشهد

إليه لا وصف له ولا صفة ولا ذاته ، فهناك ظهر من لم يزل ظهوراً لا حلة فيه ، بل ظهر أمره بذاته ظهوراً لا أولية له ، بل نظر من ذاته لذاته بذاته في ذاته . فيجى هذا المبدأ بظهوره حياة لا حلة لها ، نصار أولاً في الظهور لا ظاهر قبله . فوجدت الأشياء بأوصافه وظهرت بنوره في نوره .

فأول ما ظهر سره ، فظهر به قلبه ، ثم ظهر أمره بسره ، في سره ، وظهر بأمره الذوات في قول القلم ، ثم ظهر عنه بأمره في أمره ، وظهر به في عرشه . ثم في نور روحه ، ثم ظهر روحه بمقله في عقله ، وظهر بروحه كرسية في نوره بنور عرشه .

ثم ظهر قلبه بروحه في روحه . وظهر بقلبه حجبته في نور كرسية . ثم ظهرت نفسه بقلبه في قلبه ، وظهر بنفسه فلك النور والشر في نور حجبته بنور حجبته ، ثم ظهر جسمه بنفسه في نفسه ، وظهر بجسمه أجسام العالم الكثيف من أرض وسما .

وعلى الجملة كل كثيف بنور الفلك . فإذا أول قدم هذا المحبوب الفرد طارح النفس عدما ، وهو طرح لا حلة فيه ، وهو استتقال العدم بستوط الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية ، فهكون استتقال صفة معدومة لمدرم ، ومعنى الصفة المعدومة للمدرم ، أى لما انتهى المبدأ بدليل العلة وهو شهود الحق بلا شهادة ، متعلقة غير منفصلة شهادة لا غفلة فيها قام عليها دليل لا حلة فيه ولا له ، وهو شهود العدم المحض .

ومعنى قيام الدليل الذى لا حلة فيه ضرورة عدم الخلوقات للشهودات هو ذلك ، فتزادف عليه دليل العدم المحض وهو سكرة النديان الدائر ، حتى حى الحياة التى أشرنا إليها فيما تقدم من الكلام على هذا المقام .

فإذا طريق هذا العهد طريق علوى ، فأول ما طرح فى بحر الذات فانهدم
فأجى حياة طيبة فنقل من غهد تنقل إلى بحر الصنات ، ثم بحر القاب ، ثم بحر
النفس ، ثم بحر الحس ، ثم لقيه بحر السر فطرحه فى بحر الذفلة ، ثم بحر الوحوحة ،
ثم بحر العرشية ، ثم السكرى ، ثم الهجوبية ، ثم بحر الفلاسكية ، فلقوه بحر السر
المحيط ، فطرحه فى بحر الملكة الإلهيسية ، ثم بحر الجنية ، ثم الإنسانية ، فلقوه
هناك بحر النسر ، فطرحه فى بحر الجنات ، ثم فى بحر الدهان ، ثم طرحه فى بحر
الإحاطة ، وهو بحر السر .

ففرق هناك غرقا لا خروج منه أبد الأبد ، فإن شاء جعله بدلا من النهى به
عباده ، وإن شاء ستره بفعل فى ملكه ما يشاء .

وكل بحر من هذه قد انطوى على أبحر شتى ، لو دخل الصالح الذى هو يدل
النهى فى أقل من هذه البحور لفرق فيه غرقا لا نجاة له منه ، فهذه عبرة فى بيان
طريق المصوم والخصوص ، والحمد لله كنهها .

من معارفه رضى الله عنه

قال رضى الله عنه: لا تنشر عليك ليصدقك الناس، وانتشر عليك ليصدقك الله، وإن كانت لام العلة موجودة، فله تسكون بينك وبين الله من حيث أمرك خير لك من علة تسكون بينك وبين الناس من حيث نهاك، ولله تروك إلى الله، خير من علة تقطعك عن الله، فن أجل ذلك علقك بالثواب والعقاب.

إذ لا يرجى ولا يخاف إلا من قبل الله تعالى، وكفى بالله صادقاً ومصدقاً، وكفى بالله علماً ومعلماً، وكفى بالله هادياً ونصيراً وولياً، أى هادياً يهذى بك ويهذى إليك، ونصيراً ينصرك، وينصر بك، ولا ينصر عليك، وولياً يواليك، ويوالى بك، ولا يوالى عليك.

وقال رضى الله عنه: تأديباً وتعليماً من الله لمن له البصيرة في دين الله يقولون: إنهما شيئان: شيء قسمته لك وشيء صرفته عليك، فن اشقتل بهما أو بواحد منهما، فقد قل قته وعظم جهله وفعل عقله، وانست غفاته وقيل من يقتله لمن يوقظه.

فإن جاءك محبوب بالشرع أو بالطبع أو بهما أو جمعه أنت فهو من القسم الأول فكن في ولي فيما قسمته لك، كذلك بالرحمة فيما صرفته عليك وفيما يساق من السكره إليك، وإن الله لا يتعجب من عبد يمتد في صرف ما هو مضروف عنه ودفع ما لا بد له منه، فاعمل باليقين وانبت حوت أثبتك، وانقذ بالأمر حيث أمرك، واتق من الفعى حوت نهاك عن البصيرة في الوتين ولا تكن من الغافلين.

وقال رضى الله عنه: من أحب الله وأحبه فقد ثبت ولايته، والمحِب مل

الحقيقة من لا سلطان له على قلبه انير محبوه ولا مشيئة له غير مشيئته ، فإذا من ثبتت ولايته من الله له فلا يكره لقاء الله ، ويعلم ذلك من قوله تعالى : « إن زعمتم أنكم أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » .

فإذا الولي على الحقيقة لا يكره الموت إن عرض عليه ، وقد أحب الله من لا محبوب له سواه ، وأحب له من لا يحب شيئاً سواه ، وأحب لقاءه من ذاق أنس مولاه .

وتتمحض لك الحبة في مشرة فاعبرها ، فإرادها شيء : للرسول صلى الله عليه وسلم والصديق والفاروق والصحابه والتابعين والأولياء والعلماء الهداة إلى الله والشهداء والصالحين ولأئمة .

فإذا انتقر بعد الإيمان فالمشرة أشباه : السعة والهدية ، والهداية والضلالة ، والطاعة والمعصية ، والعدل والجور ، والحق والباطل ، فإذا أحببت أو أبغضت فأحبيب له وأبغض ، ولست بتالي بأيهما كنت ، وقد يجتمع لك الوصفان في شخص واحد ، ويجب عليك التهام بمحبهما جميعاً .

فإذا أجاز لك الحب لله فالمشرة الأولى فانظر هل ترجى لهموى هناك أمراً ، فكذلك اعتبر به من حظ إخوانك المباحين وللشايخ الصديقين ، والعلماء المهتدين وسائر من حضر .

فمن غاب عطفك أو مات فإن وجدت قلبك لا يتعلق له بمن حضر كمن لا يتعلق له بمن غاب أو مات فقد خلص الحب من الهوى ، وثبت الحب لله ، وإن وجدت شيئاً يتعلق به فممن تحب أو فنيا تحب ، فارجع إلى العلم وأتقن الأسرار في الأقسام الخمسة من الواجب والمندوب والمكروه والمختار والمباح .

وقال رضى الله عنه : سمعت بلقاء ملك من الملوك ، فمارضني ذنبي ، فسكنا
استغفرت وتبت ضعفت . فقول لي : قل اللهم إني أسألك الصلابة في الدين
والعمل باليقين وأعوذ بك من لقاء ذنبي فإن ذلك مما يضعف قلبي . وأشهدني
إياك بالإشهاد فهو أقوى لدى ولي . اللهم استرني بمغفرتك وارحني برحمتك
وقدرني بقدرتك وامدني بمشيئتك وعلني علماً يوافق عليك ، وهب لي حكماً
يصادف حكمك وأوجد لي لسان الصدق في عبادك ، وكن لي سمعاً وبصراً ولساناً
وقلباً وعقلاً ويداؤً ومؤيداً ، واعصمني من الخطايا والزيف والظنهور والكذب
في الأنوال والأفعال والقعود والأحوال والظنون والأوهام والبصائر والأبصار ،
والخواطر والأنكار في خفي المواجه والوساوس والهوى والفكر والقدر
والإرادات والحركات والسكنات وفيما علمت يا عالم الخفيات أنت ربي وعليك
حسبي لا أحال ، لا أفضل إن ربي غني كريم .

وإنما هي عبودية تجري على ما تشاء من الدعاء والسؤال والتمني والاحتوال
والأنوال والأفعال والقعود وغير ذلك مما تسكبه وتعلمه بلا كسب ولا سؤال
لأن ربي بكل شيء عليم .

وقال رضى الله عنه : رأيت رجلاً يستوصيني فقلت له : لا تتخذ الذميمة
وطناً ولا الدنيا بالحب لما وثقاً ، وأجر النفس والموتى ، واتممر بالله فنعيم
المولى ، وعليك بالحقيق في الإيمان والشهود في الإحسان والزم ذلك لما تجد
الازيد حكماً ، واستنظر الزيد من الله لا ترج شيئاً سوى الله ، إله مع الله تعالى الله
عما يشركون .

وقال رضى الله عنه : كنت ذات ليلة مقفلاً بالذكورة الموهبة الذامية عن
العلمية فأنادني الله علماً جليلاً وسمعت في الشيوب منها جليلاً فقلت في نفسي :

أليس هذا خيراً من الدخول في الحوائج للخلق والكون مع الله أتم من السكون في الحاجات للناس ، وإن كان مأذون فيها شرها . فبينما أنا كذلك إذ تمت قرأت كتاب السيل قد أحاط بي من كل جهة بحمل القضاء عن يميني وعن شمالي ، فجعلت أخوض لأخرج منه ، فلم أر براً أذهب إليه من الجهات الأربع ، فاستسلمت نفسي ووقفت في السيل كالسارية أو النخلة الثابتة .

فقلت في نفسي : هذا من فضل الله أن ثبت لهذا السيل ولا يصيبني شيء من القضاء ، وإذا بشخص جميل الصورة يقول لي : من أجل التصوف تعرض في الحوائج للخلق واستقضاؤها من لئالك الحق ، فاقضاء الله شكرت ، وما لم يقضه رضيت . وليس قضاؤها للوجب لشكر بآثم من عدم قضائها للوجب للرضا .

وقد علمني الله علماً قديماً بذات نفسي لا يفارقها ، بل هو لازم كاللباس في الأبيض ، والسواد في الأسود . وهو : الله لا إله إلا هو الواحد القهار . رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار . فانظر الألوهية الفردانية والوحدانية والقاهرة والبرهانية والغمز والنفرة ، وكيف لف هذا كله في كلمة واحدة . إن النفرة أنزل على العارف بالله كاسيل الحامل من القضاء ، وبثت الله فيما وبها من يشاء ولا يصيبه شيء من القضاء .

فانقبت من نومي وقد وعيت السر العظيم والحمد لله .

وقال رضى الله عنه : هل تدري ما علاج من احتلع عن المعاملات ولم يتحقق بمحقق الماشاهدات . علاجه في أربعة : طرح النفس على الله طرْحاً لا يصحبه الخول والقوة . والتسليم لأمر الله تسليماً لا يصحبه الاختيار مع الله . مدّان علاجاً باطنياً . وفي الظاهر زم الجوارح عن الخالفات . والفهم بمحقق الواجبات .

ثم تعقد على بساط الذكر بالإنتطاع إلى الله من كل شيء سواء بقوله :
« واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبغيلا » .

وقال رضى الله عنه : لا يستغفار إلا أمين وكم من عهد أمين في الأموال .
غير أمين على الفروج ، ورب عهد يكون آميناً في الأموال أميناً في الفروج .
غير أمين على الدين . والأمين على الدين هو الآخذ من الله ببصرة اليقين .
والإشراف كلها وعواقب الأمور في الدنيا والآخرة .

وقال رضى الله عنه : ما فجع الله بشيء من الدنيا ففرحت لأسعدين .
أو أحن بها ، فخطت أحد الله وأشكره ، والشكر معرفة قائمة بالقلب ، وكلمة
قائمة باللسان ، فسكت أجمع بينهما ، فواظبت على ذلك وقتاً من الليل ، فممت .
فرايت أسعاذى رحمه الله تعالى يقول : استعذ بالله من شر الدنيا إذا أقيمت .
ومن شرها إذا أدبرت ، ومن شرها إذا أنفقت ، ومن شرها إذا أمسكت . .
فجملت أقول كذلك . فوصل الشيخ كلامى فقال : ومن الصائب والزاي .
والأمراض البدنية والقلبية والنفسية جملة وتنهى بالسكينة ، وإن قدرت شيئاً .
فأكفى جلال الرضا والمحبة والتسليم ، وثواب المغفرة والعوبة والإجابة الموضحة .

وقال رضى الله عنه : رأيت في النوم طائفة من الزلان يصطادها فاس .
فلم أرى أقيح منهم صورة ، فمكتها الصبيان وجعلوا يلعبون بها ، فاستيقظت .
وتعجبت منها ثم نمت . فرايت رجلاً جميل الصورة يقول لى : أجرى الحيوانات .
وأقمها الزلان ، ولقد رأيتها تصطاد فهاهب بها الصبيان ، فسك ذلك أحق .
الرجال جربوا أهل العلم والرفاق ، ولقد رأيت النساء والدنيا تأخذ بقولهم فيأمنهم
بهم الشيطان . فاحذروا النساء والدنيا ، والنزم الصدق والتقوى ، واجبر
مواطن السوء تحفظ بالدرجات العلاء .

وقال رضى الله عنه : ليس شيء أشد وأشق في العمل والطاعة والتلاوة من ذكر ضبط النفس وحضور القلب ، وفهم المانى وإعطاء الحروف حقها ، مع إرادة وجه الله تعالى ، وهو موضع الإخلاص والمزجعة على العمل بما فيه ، وهو موضع الصدق ونهوض السر عن الدنيا ، وعن كل شيء سوى الله ، وهو موضع البتة .

وقال رضى الله عنه : أربع ليس في التحقيق من كان بهن : الحرب والطلب والدفع والجلب .

وقال رضى الله عنه : رأيت شخصاً يقول لى : يا بشر اك أربع : قد غفرن الذنب ، أو سقطن العيب واتضح الذهب وارتفع الريب . فلا امتراء ولا إشكال . واحكم بما أراك الله ، ولا تسكن للخائنين خصياً .

وقال رضى الله عنه : من أراد أن يسلم من أهل الدنيا والآخرة فليقرأ إذا الشمس كورت إلى آخرها .

وقال رضى الله عنه : اللهم إني أسألك الطاعة والحب لها وكراهة العصية والبغض لها ، والزهدي في الدنيا والحفظ بأمانة الشرع ، والرضا بما قسمت منها ، وهيناً للشكر مع الوجد ، والرضا مع الفقد ، والابتذل مع الفضل ، واجعل ثواب ما يذهب عنا أحب من منفعة ما بقى لنا ، وهب لنا إخلاصاً ذاتياً وعملاً صافياً وتوراً هادياً فإنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم .

وقال رضى الله عنه : من قرأ إنا أنزلناه في ليلة القدر كفى هم الباطن .

وقال رضى الله عنه : اللهم إني أسألك اقتباها ونظراً بك ، ومعرفة لك وتوكلاً عليك ورضاء بك وبرصورك ، وبما جاء من عندك ، وأسألك وصلة به وتحقيقاً بنوره ونظراً بنظره ، وإشراقاً على علمه إنك على كل شيء قدير .

وقال رضى الله عنه : رأيت ما العاس فيه من الضنك والضيق تغطر ببالى
أن أدعو الله لهم . فأخذتني سبة من النوم فسمعت قائلاً يقول لى : دع تدبيرك
إلى تدبير الله ، وارض بالله كفيلاً . فإن الناس قد ملوا النعم وأمنوا النقم ،
ونزعت منهم الرحمة والله يفعل ما يريد فرجعت عن الدعاء .

وقال رضى الله عنه : استوصيت أستاذى رضى الله عنه لما أردت الانفصال
هذه فقلت له : يا سيدى أوصنى فقال لى : يا على ، الله الله ، والناس الناس ،
نزه لسانك عن ذكركم ، وقلبك عن التنايل من قبلهم ، وعليك بحفظ الجوارح
وأداء الفرائض ، وقد تمت ولاية الله عندك ، ولا تذكرهم إلا بواجب حق الله
عليك ، وقد تم وركك . وقل : اللهم أرحنى من ذكركم ، ومن المراض من
قبلهم ونجنى من شرهم ، وأغنى بغيرك عن خيرهم ، وتولنى بالمصوصة من
بينهم ، إنك على كل شىء قدير .

وقال رضى الله عنه فى صفات المخلصين : قال : رجال جبلهم عن حصن
عبوديته ، وأخلصهم لإخلاص توحيد ربوبيته وإنهاج شريعته ، فيما وقع به
أسرارهم من أنوار حضرة ، وأمد أرواحهم بمعاني المعارف وخصائص عقائده ،
وأجال عقولهم فى آلاء عظمتهم ، وزكى نفوسهم فأحرزها وأخرجها من ظلمة
الجهل ، وهداهم بنجوم العلم وشمس معرفته ، وأيد عقائدهم ببرهان كتابه
وسننه ، ومحا عزائمهم بتحقيق غلبة مشيئته ، وطوى إرادتهم بيقين . وقفها على
إرادته ، وزينهم بزينة الزهد ، وحلته التوكل ، وشرف الورع ، ونور العلم ،
وضياء اللزقة ، وألمهم لفضلة وطوبه ، وتولاهم فأغنام به عن غمه ، وجعل
منهم مفاتيح لقلوب الوردى ، وبنابيع الحكمة الكبرى ، يعلقونها شرعا ،
ويعلقونها لأهلها سرأ وجهرأ ، ومنهم من سترته الأنفاد ، وحجبته عن الأخيار
لينفرد بالتمسكين فى حقيقة الأسرار ، تعرف كلا بسياهم باطنهم مع الحق .

وظاهرهم مع الخلق ، فهم م ولا م ، م في الوجود بوصف الفناء ظاهرين ، صفوا وانفردوا في سهرم سننا ، ظاهرهم الفقر ، وباطنهم الغنى ، يتخافون بأخلاق نبينهم صلى الله عليه وسلم كما قال العلي الأعلا : ووجدك عائلا فأغنى .

أفترأه أغداهم بالمال ؟ كلا . وقد شد الحجر على نؤاده وأطعم الجيش من صاع ، وخرج من مكة على قدميه صلى الله عليه وسلم وركب فوق البراق ، وخرج به إلى السماء العلا ، إلى سدة المنع ، ورأى ما رأى ، ما كذب النؤاد ما رأى .

فانظر إلى حال الفقى في الوصفين ، واشهد شرف أوصافه في الحالين ، فإن قلت بشر . قلت : نعم . لا كالنفس كما تقول في الياقوت : حجر لا كالنفس . وفي العباد نبي ورسول يدعو بالحق إلى الحق ، فأعطى الأولياء منه . هراتاً من النبيين بين الخلق إذ هم قوم أخذوا في التأسى ، بجد وإيمان ، واعتقدوا قول كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كأن ، وأقاموا في مقام التوحيد على قدم العجز من حظوظ النفس وملاحظة الحفظ ، واقفاد بالأساف رضى الله عنهم .

هذا قصد القوم وأصل الإخلاص فيما لو نفارت إلى حقيقة ذلهم وانفردم الذي هو عين الغنى والعز بولا م ، اشتد تحقق حالهم إلا على ولى في نهاية حاله أو صديق في بدايته ، لأن غايات الأولياء بدابات الصديقين ، تغذ الضر جهراً إليك واحبس عليه بكلفاً بديك ، ولا تكثرت بحسادك ، فقد قال لبيبة عليه السلام : قل أعود برب الفلق حتى قال له : ومن شر حاسد إذا حسد . ولا تسألني أن أقطعه عليك ، فكأنه جل وعز يقول له : سألني أن أكفيك شر حسادك ، ولا تسألني أن أقطعهم عنك . فإن الحساد مع النعم ، ولا بد من نعمة عليك .

فتأس يا مسكين إن أردت الشفاء ، فقله أن يقع بكشف خطاب ولا تطمع
أن يقع مع الحجاب .

ومن وصاياه رضى الله عنه : يا بني ازم بابا واحدا لا تضع لك الرقاب
قال الله عز وجل : « وأنبهوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب »
ولا تغفل عن الله ولا تأمن مكر الله ، ولا تلاحظ غير الله تحفظ بعلوم ومواهب
وقهوم وتبتل من الله أجراً غير ممنون .

وقال رضى الله عنه : الناظر في قولى معتقداً ومعتقداً ، وكل منهما على
قسمين : فمعتقد يتألف به ولا يعقل معناه ، ومعتقد يعقل معناه وإلفظه ، ومعتقد
يقصر لفظه ومعناه خسر ديناه وأخراه . ومعتقد يتعذر لفظه ، ومعناه
طوبى له ثم طوبى .

الفصل الخامس

في وفاته

وما جرى له في ذلك من خرق العادات

واستخلافه لسيدى أبى المماس للرعى

وأذكر منه كرامات بما نقله عن الثقات في الديار المصرية، نفع الله بهما .

حدثني من أئني به أنه قال : لما دخلت الديار المصرية ، وسكنت بها قلت : يا رب أسكنني بلاد القبط أدفن بينهم حتى يختلط خلج بلعهم ، وعظمي بعظمهم . فقبل لي : يا هل ، بل تدفن في أرض لم ينس الله عليها قط .

وحدثني سيدى ماضى بن سلطان رحمه الله : لما توجه رحمه الله في سفره التي توفي فيها قال : وكنت تزوجت امرأة من أهل الإسكندرية ، وكانت حاملا ، فجعلت تبكي وتقول لي : تتركني على ولادة وتساقر عني .

قال : فأخبرت بذلك الشيخ فقال : اجمعا إلى ، فأتيت بها إليه . فلما دخلت بها عليه قال لها : يا أم عبد الهائم ، أترك لي ماضى يسافر معي ، وأرجو لك من الله خيرا . فقالت له : يا سيدى ، التمسع والطاعة . فقدم لها وانصرفت ، فولدت ونحن مسافرون مولوداً ذكرأ فسمته عبد الهائم .

قال : فلما تجهز للسفر قال : احملوا معكم فأساً ومسحاة فإن توفي أحد منا وأريناه التزئ . قال : ولم يكن له بذلك عادة مقدمة في جميع ما سافرت معه ، فسكان ذلك إشارة لوفاته .

وحدثني ولده الشيخ الصالح شرف الدين بمدينة دمنهور في عام خمسة عشر وسبعمائة قال : كان عندنا شاب يقرأ معنا القرآن تربي معنا يتبنا لا أب له ، وأمه عندنا في الهدار ، فلما أراد الشيخ السفر أسرنا أن نتحرك معه بجميع الأهل والأولاد ، فنشوف الشاب لسفر معنا ، فقال الشيخ : احموه ، معكم ، فجاءت أمه إلى الشيخ فقالت له : يا سيدي لعل يكون نظركم عليه . فقال لها : يكون نظركم عليه إن شاء الله إلى حيثة .

قال : وسافرنا فلما دخلنا البرية مرض الشيخ والشاب ، فبات الشاب قبل أن يصل إلى حيثة بمرحلة ، فأردنا دفنه فقال : احموه إلى حيثة .

فلما نزلنا وغسلناه وصل عليه الشيخ ودفناه بها كان أول من دفن بها . وتوفي الشيخ في تلك الليلة .

قال : جمع أصعابه في تلك المشية وأوصاهم بأشياء ، وأوصاهم بحزب البحر وقال لهم : احفظوه لأولادكم فإن فيه اسم الله الأعظم .

وخلا بسيدى أبى العباس الرسى وحده ، وأوصاه بأشياء واختصه بما خصه الله به من البركات وقال لهم : إذا مات فعليكُم بأبى العباس الرسى فإنه الخليفة من بعدى ، وسيكون له عيسىم مقام عيسىم ، وهو باب من أبواب الله سبحانه وتعالى .

قال : فلما كان بين المشادين فقال : يا محمد . املا لي إناء بالماء من هذه البئر . فقلت له : يا سيدي ، ماؤها حار زقاق ، ولما عندنا عذب . فقال لي : اتقني منها فإن مرادى غير ما أنت تظن . قال : فأتيت به إناء مملوء بالماء ، فشرب منه ، ومضض فاه وبجه في الإناء ، ثم قال لي : رده إليها ، فردته إليها ، فحلا ماء البئر وعذب ، وكثر يافز الله تعالى .

قال : وبات تلك الليلة متوجهاً إلى الله سبحانه ذاكراً اسمه يقول : إلهي إلهي ، فلما كان الصبح سكن ، فظننا أنه نام ، فركبناه فوجدناه ميتاً رحمه الله تعالى .

واستدعيانا سهدى أبا العباس للرحى فنسله ، وصاينا عليه ، ودفعاه بمحمبرة ، وهذا الموضع بيرية عيذاب في واد على طريق الصيد ، وقد شربت من مائها ، وزرت ضريحه ، ورأيت له بركات نفخ الله به في الدنيا والآخرة .

قال : ولما دفناه اختلف أصحابه في الرجوع أو التوجه ، فقال لهم سيدي أبو العباس : الشيخ أمرني بالحج ، ووعدني بكرامات ، وتوجهنا ورأينا تهوينا وبركات ، ورجعنا صحبة ، وظهور من يده له ظهور عظيم ، وظهرت له كرامات كثيرة أذكر منها ما سمعته من الثقات ، إن شاء الله تعالى .

وقال رضى الله عنه : لما مرضت قلت : إلهي متى يكون اللقاء ؟ فقل لي : يا علي إذا وصلت إلى حمرة غيثنذ يكون اللقاء . وقد رأيت كائى أدفن إلى ذيل جبل بإزائه بئر قليلة الماء مالحلة يكثر ماؤها ويعذب .

وحدثني الشيخ الصالح الفاضل ، الخليلي الملقب ، قاضي الجماعة بتونس أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرزاق رحمه الله تعالى قال : لما توجه الشيخ أبو الحسن للحج في سفرته التي توفي فيها قال لأصحابه : في هذا العام أحج حجة النهاية ، فمات قبل أن يحج .

فلما رجع أصحابه إلى الديار المصرية سألوا الملقب عز الدين بن عبد السلام وأخبروه بمقالة فسكى ثم قال لهم : الشيخ والله أخبركم أنه يموت وما عندكم به حلم ، قد أخبركم أن الملك هو الذي يحج نيابة عنه ، لأنه جاء في الحديث عن

للذي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من خرج من بيته قاصداً للحج ومات قبل أن يحج فإن الله عز وجل يوكل ملكاً يغوب عنه بالحج في كل عام إلى يوم القيامة » .

وحدثني الفقيه القاضى الأعدل الأكل الأفضل حماد الدين قاضى القضاة بالإسكندرية في عام خمسة عشر وسبعمائة قال : توفيت امرأة بالإسكندرية ، وكانت مسرفة على نفسها ، فرثيت في حالة حسنة ، فقول لها : ما فعل الله بك ؟ قالت : مات اليوم الشيخ أبو الحسن الشاذلى ، ودفن بميمنة فنفرت لسكل من دفن اليوم من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، فنفرتى من أجله تعظيماً وإكراماً به .

فلما قدم الحاجج أخبروا بوفاته ، فوجدنا القاريخ صحيحاً .

وتوفى رحمه الله في سنة ست وخسين وستمائة وهو ابن ثلاث وستين سنة أو نحوها ، رحمه الله ورضى عنه .

وسمعت سيدى ماضى رحمه الله يقول في صفة : إنه كان آدم اللون نحيف الجسم ، طويل القامة ، حفيف المارضين ، طويل أصابع اليدين كأنه حجازى ، فصيح اللسان ، عذب الكلام . وكان يقول إذا تسكلم واستفرق في الكلام : ألا رجل من الأخيار يفعل عنا هذه الأسرار . هلموا إلى رجل صبره الله بحر الأنوار .

تم والحمد لله

هذا الكتاب

من أئمة المصادر التي تحدثت عن سيدي
على أبو الحسن الساذلي رضي الله عنه
بل يعتبر المرجع الوحيد الذي أخذ
منه كل من تحدث عن الإمام
الساذلي لأن مادة الكتاب جمعت
في عهد سيدي أبو الحسن فهو ترجمة
حقيقية كاملة لكل من أراد البحث في
حياة الإمام أبو الحسن رضي الله عنه
اللام تقبل منا هذا العمل واجعلنا أهلاً
للحديث عن أوليائكم وأمدنا بحمدكم وأسلكوا
في سلككم واحشرونا تحت لواؤهم. صلى الله
عليه وآله وآله وسلم. ^{الفقيه} إبراهيم بن خلف بن محمد الرضا
أبصار في الحسنة
دار آل الرضا في حجازة قبل قوص

